وزارة الثقافة

المختار من التراث العربي

(٧٣)

من نثر الدر

للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السفر الثالث

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر الحجي

الإشراف الفني : زهـــير الأمـــد

مــن نثر الــدر

الســفر الثالث

وزارة الثقافة

المختار من التراث العربي

٧٣

من

نثر الدر

للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السفر الثالث

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر الحجي

منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٧

من نشر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها مظهر الحجي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج؛ ٢٠ سم. - (المختار من التراث العربي؛ ٧١ - ٧٤).

١- ٨١٨,٠٢ س ع د م ٢- العنــوان ٣- أبو سعد الآبي
٤- الحجي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الرابع

(*) من الجزء الرابع من « نثر الدر » وقد تقدمت الأبواب الثلاثة في السمر الثاني من هذه الاختيارات .

نُكَتٌ من كلامِ الحُكَماء

قيلَ لبعضهم : أخرجْ هذا الغمَّ من قلبكَ . فقال : ليس بإذني دَخَلَ

قال رجلٌ لشَبيب بنِ شَيْبَةَ (١) : أنا والله أحبُّك يا أبا مَعْبَد . قال : أشهدُ على صدقِكَ . قال : وكيفَ ذاك ؟ قالَ : لأنّكَ لستَ بجارٍ قريبٍ ، ولا ابنِ عمٍّ نسيبٍ ، ولا مُشاكِلٍ في صِناعة .

وقالوا : صاحبُ السّوء قطعةٌ من النّار . ولذلك لمّا قال القائلُ : ما رأينا في كلِّ خيرٍ وشرٍّ خيراً من صاحبٍ . قال الآخر : ولا رأينا في كلّ خيرٍ وشرٍّ شرّاً من صاحب .

---

(١) شبيب بن شيبة المنقري البصري ، فصيح بليغ إخباري توفي سنة ١٦٢هـ .

قال بعضهم : العالمُ يعرفُ الجاهلَ لأنّه كان جاهلاً ، والجاهلُ لا يعرفُ العالِمَ لأنّه لم يكنْ عالماً .

سُئل بعضُهم عن الغِنَى فقال : شرٌّ مَحْبُوبٌ . وعن الفقرِ فقال : مُلكٌ ليس فيه مُحاسبةٌ .

الفُرصةُ ما إذا حاولتَه فأخطأك نفعُه لم يصلْ إليك ضَرُّهُ .

بلوغُ أعلى المنازل بغيرِ استحقاقٍ مِنْ أكبرِ أسبابِ الهَلَكَة .

كل شيء يَعِزُّ إذا قَلَّ ، والعقلُ كلّما كان أكثرَ كان أعزَّ وأغلى .

قال عامرُ بنُ عبدِ القَيْس (١) : الكلمةُ إذا خرجتْ من القلبِ وقعتْ في القلب ، وإذا خرجتْ من اللِّسانِ لم تجاوزِ الآذانَ .

قالوا : مَقْتَلُ الرَّجلِ بين لِحْيَيه .

---

(١) عامر بن عبد قيس العنبري ، تابعي ، هو الذي علم أهل البصرة القرآن وتوفي حوالي سنة ٥٥هـ .

التثبّت نصفُ العفو .

قال أكثمُ : الكرمُ حُسنُ الفِطْنة . واللّؤمُ سوءُ التّغافُلِ .

قيل : أسوأ الناسِ حالا من اتّسعت معرفتُه ، وبعُدَت همّتُهُ ، وضاقتْ مَقْدرته .

كان عبدُ الملكِ بنُ الحجاجِ يقول : لأنا للعاقلِ المدبِرِ أرْجى منّي للأحمقِ المُقْبِلِ .

وقالوا : أمرانِ لا ينفكّانِ من الكذبِ : كَثْرَةُ المواعيدِ وشدّةُ الاعتذارِ .

قال خالدُ بنُ صفوانَ (١) : السّفرُ ثلاثُ عتبات ؛ فأوّلُها : العزمُ ، والثّانيةُ : العُدّةُ ، والثالثةُ : الرّحيلُ ، وأشدُّ هنّ العزمُ .

قال أكثمُ بنُ صَيْفيّ : العافيةُ الملكُ الخفيّ .

وقال الفضلُ بنُ سهلٍ : ليستِ الفرصةُ إلاّ ما إذا أخطأكَ نفعُه لم ينلكَ ضررُه .

---

(١) خالد بن صفوان أحد فصحاء العرب ، توفي بعد سنة ١٢٠هـ .

قالوا : سوءُ حملِ الغنى يورثُ مقتاً ، وسوءُ حملِ الفاقةِ يضعُ شرفاً

وقال أكثمُ : مَنْ جزعَ على ما خرج من يده فليجزعْ على ما لم يصلْ إليه

قال بعضُهم : ظفَرُ الكريمِ عفوٌ ، وعفوُ اللئيمِ عقوبةٌ .

كان يقال : لا ينبغي لأحدٍ أن يدعَ الحزمَ لظفرٍ نالَه عاجزٌ ، ولا يرغبَ في التضييع لنكبة دخلتْ على حازمٍ .
وكان يقال : ليس من حُسْنِ التوكّلِ أن تُقالَ عثْرَةٌ ثمّ يركبَها ثانية .

قيل : لولا الإغضاءُ والنسيانُ ، ما تعاشرَ النّاسُ لكثرة الأضغان .

قالوا : ثلاثٌ يرغمن العدوّ : كثرةُ العبيدِ ، وأدبُ الولَدِ ، ومحبّةُ الجيرانِ .

يُقال : سوءُ القالةِ في الإنسان إذا كان كذبا نظيرُ الموت ؛ لفساد دنياه ، وإذا كان صدْقا أشدُّ من الموت لفساد آخرته .

قالوا : يُرضي الكرامَ الكلامُ ، ويُصادُ اللّئامُ بالمال ، ويُستَبى النبيلُ بالإعظام ، ويُستصلحُ السَّفلَةُ بالهوانِ .

قالوا : أمران أنسٌ بالنّهار وحشةٌ بالليل : المالُ والبستانُ .

قالوا : لا يزالُ المرءُ مستمراً مالم يعثر ، فإذا عَثَر مرّةً في الخبَار (١) لجّ به العِثار ولو كان في جَدَد (٢) .

قال بعضَهم : ما شيّبتني السّنون ، لكنْ شُكري مَن أحتاجُ أنْ أشكره .

قالوا : المتواضعُ كالوَهْدَةِ يجتمعُ فيها قَطْرُها وقَطْرُ غيرها ، والمتكبّرُ كالرَّبوةِ لا يقرّ عليها قطرُها ولا قطر غيرها .

يُقال : إنّه لا يصبرُ ويصدُق في اللِّقاء إلاّ ثلاثةٌ : مستبصرٌ في دينٍ ، أو غَيْرانٌ على حُرْمَةٍ ، أو ممتعضٌ من ذُلٍّ .

---

(١) الخبار : الأرض الناعمة .

(٢) الجدد : الأرضه المستوية .

قال بعضهم : في مجاوزتاكَ مَنْ يكفيك فقرٌ لا مُنْتَهَى له حتى تنتهي عنه .

وكان يُقال : العفافُ زينةُ الفقرِ ، والشُكْرُ زينةُ الغِنى .

اعتذارٌ مِنْ مَنْعٍ خيرٌ من وَعْدٍ ممطولٍ .

خيرُ المُزاحِ لا يُنالُ ، وشرُّه لا يُقالُ . وإنما سُمّي مُزاحا لأنَّه أُزيحَ عن الحقّ .

اليأسُ من أعوانِ الصَّبرِ .

قيل لبعضِ الحكماءِ : أيُّ الأمورِ أعجلُ عُقوبةً وأسرعُ لصاحبها صرعةً ؟ قال : ظلمُ من لا ناصرَ له إلاّ اللهُ عزّ وجلّ ، ومجاورةُ النّعم بالتقصيرِ واستطالةُ الغنيّ على الفقيرِ .

يقال : من سَعادة المرءِ أن يضعَ معروفَه عند مَن يشكره .

قالوا : شيئان لا يُعرفُ طعمُهما إلاّ بعدَ فقدِهما : العافيةُ والشبابُ .

نظر شابٌّ إلى شيخٍ يقاربُ خُطاه فقال له : مَنْ قَيَّدَكَ ؟ قال : الذي تركتُه يفتلُ قَيْدَكَ .

قيل لشيخٍ قد ذهبَ منه المأكلُ والمشرب والنّكاحُ : هل تشتهي أن تموتَ ؟ قال : لا . قيل: ولِمَ ذاك ؟ قال : أحبُّ أن أعيشَ وأسمعَ الأعاجيبَ .

قيل لبعضهم : ما بالُ الشّيخ أحرصُ على الدّنيا من الشّاب ؟ قال : لأنه قد ذاقَ من طعمِ الدنيا مالم يذقْه الشابُ .

قالوا : الدَّيْنُ عُقْلةُ الشَّريفِ ، ما استرقَّ الكريمَ أفظُّ من الدَّيْن .

اختصمَ رجلان إلى سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ (١) في النُّطقِ والصمتِ : أيُّهما أفضلُ ؟ فقال : بماذا أُبَيِّنُ لكما ؟ فقالا : بالكلام . فقال : إذاً الفضلُ له .

وقيل لبعضهم : السكوتُ أفضل أمِ النُّطْقُ ؟ فقال : السكوتُ حتى يُحْتاجَ إلى النطقِ .

---

(١) سعيد بن المسيب المخزومي المدني أحد الأعلام العلماء ، وفقيه المدينة جمع بين الحديث والفقه ، والورع . توفي سنة ١٩٤ .

قيل : العقلُ يأمركَ بالأنفعِ ، والمروءةُ تأمركَ بالأجملِ .

قيل لبعضهمْ : ما جِماعُ العقلِ ؟ فقال : ما رأيتُه مجتمعاً في أحدٍ فأصِفَه ، ومالا يوجدُ كاملاً فلا حَدَّ له .

قال الزُّهْرِيُّ : إذا أنكرتَ عقلكَ فاقدحْه بعاقلٍ .

وقيل : عظمتِ المؤونة في عاقل متجاهل ، وجاهلٍ مُتَعاقلٍ .

وقيل : إنكَ تحفظُ الأحمقَ مِنْ كُلِّ شيءٍ إلا مِنْ نَفْسِهِ .

قيل لبعضهم : العقلُ أفضلُ أمِ الجَدُّ ؟ فقال : العقلُ من الجَدِّ .

قال بعضهم : ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره وطاعةُ نفسه عليه ممتنعةٌ .

قيل لآخر : أتحبُّ أن تُهدى إليك عيوبُك ؟ فقال : أمَّا من ناصحٍ فنعَمْ ، وأمَّا من شامتٍ فلا .

قيل لآخر : هل شيءٌ أضرُّ من التّواني ؟ قال : الاجتهادُ في غير موضعه .

وقيل : العجزُ عجزانِ عجزُ التّقصيرِ . وقد أمكن الأمرُ ، والجدُ في طلبه وقد فاتَ .

وقيل لآخر : أسأتَ الظنّ . فقال : إن الدّنيا لمّا امتلأت مكارهَ وجبَ على العاقلِ أن يملأها حَذَراً .

تأمّل حكيمٌ شَيْبَتَهُ فقال : مرحباً بزهرةِ الحِنكةِ ، وثمرةِ الهدى ، ومقدّمَةِ العفّةِ ، ولباسِ التّقوى .

قيل : لا يسود الرّجلُ حتى لا يبالي في أيِّ ثوبيه ظهرَ .

سمع حكيمٌ رجلاً يدعو لآخرَ ويقول : لا أراكَ اللّهُ مكروها . فقال : دعوتَ له بالموتِ فإنّ من عاش لابد له في الدنيا من مكروه .

قالوا : من صفاتِ العاقلِ ألاّ يتحدّثَ بما يُستطاعُ تكذيبهُ .

قيل لبعضهم : متى يُحْمَدُ الكذبُ ؟ فقال : إذا قرَّبَ بين المتقاطعين . قيل : فمتى يُذمُّ الصّدقْ : قال : إذا كان غيبة .

صَحِبَ رجلٌ آخر سيّئَ الخلُقِ فلما فارقه قال : قد فارقته وخُلقُه لا يُفارقُه .

المُزاحُ فَحلٌ لا يُنتج إلاّ الشرَّ .

المروءةُ التامّةُ مُباينةُ العامةِ .

أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداه ، وأحسن ما في اللئيم أن يكفَّ عنك أذاه .

السَّفَلُ إذا تعلّموا تَكَبَّروا ، وإذا تمولوا استطالوا ، والعِليّةُ إذا تعلّموا تواضعوا ، وإذا افتقروا صالوا .

ثلاثٌ لا يُستصلحُ فسادُهُنَّ بشيءٍ من الحِيَلِ : العداوةُ بين الأقاربِ ، وتحاسُدُ الأكفاءِ ، وركاكةُ الملوكِ (١) .

قيل لحكيم : أي شيء مِنْ أفعال العبادِ يُشبه أفعالَ اللهِ ؟ قال : الإحسانُ إلى الناسِ .

يُقال : السَّخي شجاعُ القلبِ ، والبخيلُ شُجاعُ الوجه .

البخيلُ يعيشُ عَيْشَ الفقراءِ ، ويحاسبُ مُحاسَبَةَ الأغنياءِ .

---

(١) الركاكة : الضعف .

العُزلةُ توفِّرُ العرضَ ، وتسترُ الفاقةَ ، وترفعُ ثِقلَ المكافأة .

ما احتنكَ أحدٌ قطُّ إلا أحبَّ الخلوةَ .

خيرُ الناسِ مَنْ لم تجرِّبه ، كما أنَّ خيرَ الدُّرِّ مالم تَثْقُبْهُ .

قيل : أجلُّ ما ينزلُ من السّماءِ التوفيقُ ، وأجلُّ ما يصعدُ إلى السماءِ الإخلاصُ .

قيل : كلُّ مالٍ لا ينتقلُ بانتقالِكَ فهو كفيلٌ(١) .

وقيل : ما دارُ مَنْ يشتاق إلى السّفر بدارِ سلامةٍ .

قال حكيمٌ : مَنِ الذي بلغَ جَسيماً فلم يبطَرْ ، واتَّبعَ الهوى فلم يعطَبْ ، وجاورَ النّساءَ فلم يفتتِنْ ، وطلبَ إلى اللِّئامِ فلم يَهُنْ ، وواصلَ الأشرارَ فلم يندَم ، وصَحِبَ السُّلطانَ فدامتْ سلامتُه ؟ .

اثنان يهونُ عليهما كلُّ شيء ؛ العالمُ الّذي يعرفُ العواقبَ ، والجاهلُ الّذي يجهلُ ما هو فيه .

---

(١) كفيل : ضامن .

وقيل : شرٌّ من الموتِ ما إذا نزلَ تمنّيت لنزوله الموتَ ، وخيرٌ من الحياةِ ما إذا فقدتَه أبغضتَ لفقده الحياةَ .

لِتَكُن النوائبُ منك ببالٍ ، فأكثرُ المكارِهِ فيما لم يُحْتَسَبْ .

قال سُفيانُ : ما وضعَ أحدٌ يدَه في قصعةِ غيرِهِ إلاّ ذَلَّ له .

وقال أبو حمزةَ السَكُوني : قال لي أبو عبيدِ اللّه : من أكلَ من ثَريدِنا وَطْئِنَا رقبتَه .

قال رجلٌ لمعروفٍ (١) : يا أبا محفوظ ، أتحرَّكُ لطلبِ الرِّزْقِ أم أجلسُ ؟ قال : لا بلْ تحرَّكْ ؛ فإنّه أصلحُ لك . فقال : أمِثلُك يقولُ هذا يا أبا محفوظ ؟ فقال : ما أنا قلتهُ ولا أمَرْتُ به ، ولكنَّ اللّه تعالى قالَه وأمرَ به حيثُ قال لمريمَ : « وَهُزِّي إليكِ بِجِذْعِ

---

(٢) معروف الكرخي صاحب الأحوال والكرامات أسلم على يد علي بن موسى الرضا وتوفي سنة ٢٠٠هـ .

النَّخْلَةِ تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً » (١) ولو شاء أن يُنزلَه عليها بلا هزٍّ لفعَلَ .

قال بعضهم : رأيت عِكْرِمةَ بباب بَلْخ(٢) فقلتُ له : ما جاءَ بكَ إلى هٰهنا ؟ فقال : بَنَاتي .

قال وهبٌ : الدراهمُ خواتيمُ ربِّ العالمينَ بمعاشِ بني آدمَ ، لا تُؤكلُ ولا تُشربُ ، وأينَ ذهبْتَ بخاتَمِ ربك قُضيتْ حاجتُكَ .

قيل لبعضهم : لِمَ تُحِبُّ الدراهمَ وَهي تُدْنيكَ من الدنيا ؟ فقال : هي وإنْ أدنتني من الدّنيا فقد صانَتْني عنها .

قيل لسُفيانَ بنِ عُيَيْنةَ(٣) : ما أشدَّ حُبّكَ للدّرهم ! فقال : ما أحبُّ أن يكون أحدٌ أشدَّ حبّاً لما ينفعُه مِنّي .

---

(١) سورة مريم : ٢٥ .

(٢) من أجمل مدن خراسان ، قيل بناها الاسكندر ، افتتحت في أيام عثمان .

(٣) سفيان بن عيينه الهلالي ، شيخ الحجاز وأحد أعلامه ، عابد فقيه عالم توفي ١٩٨هـ .

قيل لبعضهم : أين بلغتَ في العلومِ ؟ قال : إلى الوقوفِ على القصورِ ، عنها .

قال ابنُ السّماكِ : الكمالُ في خَمْسٍ ؛ ألاّ يعيبَ الرَّجلُ أحدا بعيبٍ فيه مثلُه حتى يُصلحَ ذلك العيبَ من نفسه ، فإنّه لا يفرغُ من إصلاحِ عيبٍ واحدٍ حتى يهجُمَ على آخر فتشغلَه عيوبُه عن عيبِ النّاسِ ، والثانيةُ ألاّ يُطْلقَ لسانَه ويدَه حتّى يعلمَ أفي طاعة ذاكَ أو في معصية ، والثّالثةُ الا يلتمسَ من النّاسِ إلاّ مثلَ ما يُعطيهم من نفسه ، والرابعةُ أن يَسْلَم من النّاس باستشعارِ مُداراتهم ، وتَوْفيَتِهم حقوقَهم ، والخامسةُ أن يُنفقَ الفضلَ من ماله ويُمسكَ الفضلَ من قَوْله .

قالوا : إذا أقبلتِ الدنيا أقبلتْ على حمارٍ قَطُوفٍ(١) مَدِينِي ، وإذا أدبرتْ أدبرتْ على البُراق .

التُّؤَدَةُ حَسَنَةٌ في كلِّ شيء إلا في المعروفِ فإنّها تُنَغِّصُه .

---

(١) القطوف : البطيء .

أصابَ متأمِّلٌ أو كادَ ، وأخطأ مستعجلٌ أو كادَ .

قيل لبعضهم : كيفَ لا يجتمعُ المالُ والحكمةُ ؟ قال : لعزّة الكمالِ .

كان يقال : لكلّ جديدٍ لذّةٌ إلاّ من الإخوانِ .

العجزُ عجزانِ : التقصيرُ في طلبِ الأمرِ وقد أمكنَ ، والجِدُّ في طلبه وقد فاتَ .

قال يزيدُ بنُ أُسَيِّدٍ : أسَرُّ السّرور قَفْلَةٌ على غَفْلَةٍ .

قيل : ستّةٌ لا تُخطئهم الكآبةُ : فقيرٌ حديثُ عهدٍ بالغنى ، ومُكْثِرٌ يخافُ على مالِه ، وطالبُ مَرْتَبَةٍ فوقَ قُدْرتهِ ، والحسودُ والحقودُ وخليطُ أهل الأدبِ وهو غيرُ أديبٍ .

قال خالدُ بنُ صفوانَ : مَنْ لم تكنْ له دابةٌ كثُرَتْ ألوانُ دوابِّهِ (١) .

قال عبدُ اللّهِ بنُ أبي بكرٍ : لو كنتُ شاعرا لبكيتُ على المروءةِ .

---

(١) لأنه يستعير أو يكتري كل يوم دابة .

وقال بعضهم : طلبتُ الرّاحةَ لنفسي فلم أجد شيئاً أرْوحَ لها من تركِ مالا يعنيها . وتَوَحّشْتُ في البَرّيّةِ فلم أرَ وَحشةً أشدَّ من قرينِ سوء، وشهدتُ الزحوفَ(١) ولقيتُ الأقرانَ فلم أر قِرْنا أغلب للرّجل من امرأةِ سوء، ونظرتُ إلى كلّ ما يُذلّ العزيزَ ويَكسرُه فلم أرَ شيئاً أذلّ له ولا أكسرَ من الفاقة .

قالوا : أوّلُ أمرِ العاقلِ آخرُ أمرِ الجاهلِ .

قال رجلٌ لعبد الحميد : أخوك أحبُّ إليك أمْ صديقُك ؟ قال : إنّما أُحِبُّ أخي إذا كان صديقاً .

قالوا : أسوأ ما في الكريم أن يكفَّ عنك خيرَه ، وأحسنُ ما في اللئيمِ أنْ يكفَّ عنكَ شَرَّه .

كان الكنديُّ يقول : المسترشدُ مُوَقّى والمحترسُ مُلَقّى (٢) . وكان يقول : العبدُ حر ما قنعَ والحُرُّ عَبْدٌ ما طمعَ .

---

(١) الزحوف : الحروب .

(٢) ملقى : ممتحن لا يزال يلقاه مكروه .

قيل لمحمَّد بنِ الجَهْمِ (١) بعدَ ما أُخِذَ مالُه : أما تُفكِّر في ذهاب نعمتك ؟ فقال : لابدَّ من الزَّوالِ ، فلأنْ تزولَ نعمتي وأبقَى خيرٌ من أن أزولَ عنها وتبقَى .

قال الشَّافعيُّ : اغتنموا الفرصةَ فانها خُلسٌ أو غُصصٌ .

أغاظَ سفيهٌ لحليم فقيل له : لِمَ لَمْ تغضبْ ؟ فقال : إنْ كان صادقا فليس ينبغي أن أغضبَ ، وإنْ كان كاذبا فبالحرَى ألاَّ أغضبَ .

قال بعضُهم : ما أحسَنَ حُسْنُ الظنّ إلا أنَّ منه العجزَ ، وما أقبحَ سوءَ الظن إلاّ أنّ فيه الحزمَ .

لما قَبضَ ابنُ عُيَيْنَةَ صلةَ الخليفةِ قال : يا أصحابَ الحديثِ ، قد وجدتم مقالاً فقولوا . متى رأيتمْ أبا عيالٍ أفلحَ ؟ وقال : كانت لنا هِرّة ليس لها جِراءٌ فكانت لا تكشفُ القدورَ ، ولا تعيثُ في الدور ، فصارَ لها جِراءٌ فكشفتْ عن القدورِ ، وأفسدتْ في الدورِ .

---

(١) محمد بن الجهم البرمكي ولي للمهدي بعض الولايات .

قال بعضهم : إذا أنا فعلتُ ما أُمِرْتُ به وكان خطأً لم أُذَمَّمْ عليه ، وإذا فعلتُ مالم أُومرْ به وكان صَوابا لم أُحْمَدْ عليه .

قال آخرُ ما استُنْبِطَ الصّوابُ بمثل المشورة ، ولا حُصِّنَتِ النّعمُ بمثل المواساة ، ولا اكتُسِبَتِ البغضةُ بمثل الكِبْرِ .

قيل لرَوْح بنِ زِنْباعٍ : ما معنى الصّديقِ ؟ قال : هو لفظٌ بلا معنى . يعني لِعَوَزِه .

وقال آخر : السّفرُ ميزانُ الأخلاق .

قال عليُّ بنُ عُبيدةَ : العقلُ مَلِكٌ والخِصالُ رعيته ، فإذا ضَعُفَ عن القيام عليها وصلَ الخللُ إليها .

قال : الكذّابُ يُخيفُ نفسهَ وهو آمنٌ .

قال بعضُهم : لو لم أدعِ الكذبَ تأثُّما لتركتُه تكرّما .
وقال آخرُ : لو لم أدعِ الكذبَ تعفّفاً لتركته تظرّفا .
وقال آخرُ : لو أدعِ الكذبَ تحوُّباً(١) لتركته تأدُّبا .
وقال آخر : لو لم أدع الكذب تورُّعاً لتركتُه تصنُّعاً .

---

(١) التحوب : البعد عن الإثم .

قال بعضهم : الإفراطُ في الزِّيارة مملٌّ كما أن التَّفريطَ فيها مُخِلٌّ .

قال العتبيُّ (١) : إذا تناهَى الغَمُّ انقطعَ الدَّمعُ .

وقال إبراهيمُ بنُ أدهم (٢) : أنَا منذُ عشرينَ سنةً في طلب أخٍ إذا غضبَ لم يقلْ إلاّ الحقَ فما أجدُ .

وقال غيره : إذا وَليَ صديقٌ لك ولايةً فأصبتَه على العُشْرِ من صداقته فليس بأخٍ سوءٍ .

قصد ابنُ السّماك رجلاً في حاجةٍ لرجل فتعسَّر ، فقال له : اعلم ، أنّي أتيتُكَ في حاجةٍ ، وإنّ الطّالبَ والمطلوبَ إليه عزيزان إن قُضيتْ ، وذليلان إن لم تقضِ ، فاختَرْ لنفسكَ عزَّ البَذْلِ على ذُلِّ المنعِ ، واخترْ لي عزَّ النُّجحِ على ذُلِّ الردِّ . فقضاها له .

وقصدَ آخرُ آخرَ مرّةً في حاجة فتلوّى ، فكاد ينكلُ عن الكلام ، ثم سبقَ إلى معنىً فخبّره وقال للمسئول :

---

(١) محمد بن عبيد الله بن عمرو الأموي ؛ أخباري أديب شاعر توفي سنة ٢٢٩هـ .

(٢) إبراهيم بن أدهم الزاهد صاحب الكرامات والأحوال توفي سنة ١٦٢هـ .

أخبرني حينَ غدوتُ إليك في حاجتي ، أُحسنُ بك الظنَّ ، وأصوغُ فيك الثناء ، وأتخيرُ لكَ الشكرَ ، وأمشي إليك بقدمِ الإجلالِ ، وأكلّمُك بلسانِ التواضعِ ، أصبتُ أم أخطأتُ ؟ قال : فأفحمَ الرّجلُ وقال : بل أصبتَ . وقضى حاجته وسأله المعاودةَ .

قال أبو العتاهيةِ : قلتُ لعليِّ بن الهيثمَ (١) : ما يجبُ للصديقِ ؟ قال : ثلاثُ خِلالٍ : كتمانُ حديثِ الخلوةِ ، والمواساةُ عند الشدّةِ ، وإقالةُ العثرةِ .

قيل : سوءُ حَمْلِ الغنى يورثُ المدحَ ، وسوءُ حملِ الفاقةِ قد يَضعُ الشّرفَ .

قيل : الهوى شريكُ العمى .

قيلَ لصوفيٍّ : ما صناعتُك ؟ قال : حُسْنُ الظنِّ بالله وسوءُ الظنِّ بالنّاس .

ثلاثةٌ لم يُـمْنَ بها أحدٌ فسلم : صحبةُ السّلطان ، وإفشاءُ السرِّ إلى النساءِ وشُرْبُ السُّمَ للتجربةِ .

---

(١) علي بن الهيثم المعروف بجونقا كاتب شاعر ، كان أحد الكتاب المستخدمين بديوان المأمون .

لكلِّ شيءٍ محلٌّ ، ومَحلُّ العقل مُجالسةُ النّاسِ .

أعجبُ الأشياء بديهةُ أمْنٍ وردتْ في مقامِ خوفٍ .

قال ابنُ المقفَّعِ : الحِرصُ مَحْرمةٌ ، والجُبنُ مَقْتَلَةٌ ، فانظرْ فيمن رأيتَ أو سمعتَ : من قُتِلَ في الحربِ مُقبلاً أكثرُ أم قُتِلَ مُدْبراً ، وانظرْ مَنْ يَطْلبُ بالإجمال والتكرُّم أحقُّ أن تسخُوَ نفساكَ له أم مَن يطلبُ بالشّرَهِ والحِرْصِ .

قال بكرُ بنُ المعتمرِ (١) : إذا كان العقلُ تسعةَ أجزاءٍ احتاجَ إلى جزءٍ من جهل ليُقْدِمَ على الأمور ؛ فانّ العاقل أبداً مُتوانٍ متوقّفٌ مترقّبٌ متخوّفٌ .

قال ابن المقفّع : عملُ الرّجلِ بما يعلمُ أنّه خطأٌ هوًى ، والهوى آفةُ العفافِ ، وتركُه للعمل بما يعلمُ أنّه صوابٌ تهاونٌ ، والتّهاونُ آفةُ الدّينِ . وإقدامه على ما لا يدري أصوابٌ هوَ أمْ خطأٌ لِجاجٌ ، واللّجاجُ آفةُ العقلِ .

سُئل بعضُهم : أيُّ الصّدقِ السكوتُ عنه أمثلُ ؟ قال : تزكيةُ المرءِ نفسَه .

---

(١) بكر بن المعتمر كان مقربا للأمين ، قلده ديوان الخاتم ، ولأبي العتاهية شعر في مدحه .

وكان يقال : ثلاثةٌ يُؤثرون المال على أنفسهم : تاجرُ البحرِ ، والعاملُ بالأجرِ ، والمرتشي على الحُكم .

قالوا : قبّحَ اللهُ الدّنيا ، فإنّها إذا أقبلتْ على الإنسان أعطتْه محاسن غيره ، وإذا أدبرتْ عنه سلبته محاسن نفسه .

أعجزُ الناسِ من قَصّر في طلبِ صديقِهِ ، وأعْجَزُ منه مَنْ وجَدَه فَضيّعَه .

قال رجل لأبي عبيد الله (١) : لئِن أصبحتِ الدنيا بك مشغولة لتمسينّ منك فارغةً . فقال : أنْفَقُ مايكون التعبُ إذا وعد كَذّابٌ حريصا .

اجتمع علماءُ العربِ والعجمِ على أنّه لايُدْرِكُ نعيمٌ إلا ببُؤسٍ ، ولاراحةٌ إلا بتعبٍ .

العاداتُ قاهراتٌ ، فمن اعتاد شيئا في سِرّه وخَلَواته فضحَه في علانيته وعند الملأ .

قيل : المنى تُخْلِقُ العقل ، وتُفْسِدُ الدين ، وتُزْري بالقناعة .

---

(١) معاوية بن عبيد الله كاتب المهدي ووزيره توفي سنة ١٧٠هـ .

قال قتيبة لحصين : ماالسرور ؟ قال : عقل يقيمك ، وعلم يزينك وولد يسرك ، ومال يسعك ، وأمن يريحك ، وعافية تجمع لك المسرات .

أسر رجل إلى صديق له حديثاً فلما استقصاه قال له : أفهمت ؟ قال : بل نسيت .

وقيل لآخر : كيف كتمانك للسر ؟ فقال : أجحد المخبر وأحلف للمستخبر .

والعرب تقول : من ارتاد لسره فقد أذاعه .

وقالوا : الأخ البار مغيض الأسرار .

قيل لبعضهم : إن فلاناً لايكتب ، قال : تلك الزمانة الخفية (١) .

قال بعضهم : قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان مابينهما من الإساءة .

قالوا : ركوب الخيل عز ، وركوب البراذين (٢) ذلة ، وركوب البغل مهرمة ، وركوب الحمير ذل .

---

(١) الزمانة : مرض يدوم .

(٢) البراذين : جمع برذون وهو الجواد الهجين غير العربي .

قالوا : أربعٌ يسوِّدْن العبد : الصّدقُ والأدبُ والفِقهُ والأمانةُ .

قال الزُّهريُّ : الكريمُ لا تُحكِّمه التَّجاربُ .

قالوا : العقلُ يظهرُ بالمعاملة ، وشِيَمُ الرِّجالِ تُعرفُ بالولاية .

قال رجلٌ من قريش لشيخٍ : علّمْني الحلم . فقال : هو الذّلُ ، أفتصبرُ عليه ؟ .

ويقال : ماقلَّ سُفهاءُ قومٍ إلاّ ذلُّوا .

وعزّى رجلٌ الرشيد فقال : ياأمير المؤمنين ، كان لك الأجرُ لابك وكان العزاءُ لك لاعنك .

كان يقال : لك ابنُك ريحانُك سبعاً ، وخادمُك سبعا ، ثم عدوٌّ أو صديقٌ .

قيل لبعض الحكماء : ماالشيءُ الذي لايَحْسُنُ أن يُقال وإنْ كان حقّاً ؟ فقال : مدحُ الإنسانِ نفسَهُ .

جلس بعضُ الزُّهّادِ إلى تاجرٍ ليشتري منه شيئاً ، فمرَّ به رجلٌ يَعْرِفه ، فقال للتاجرِ : هذا فلان الزَّاهدُ

فأرْخصُ ماتبيعُه منه . فغضب الزاهدُ وقام وقال : إنما جئْنا لنشري بدراهمنا لا بمذاهبنا .

قيل لبعضهم : ماالشيء الذي لايُستَغْنى عنه في حالٍ من الأحوال ؟ فقال : التوفيقُ .

قيل لبعضِ مَنْ يطلبُ الأعمال : ماتصنعُ ؟ قال : أخدمُ الرجاءَ ، حتى ينزل القضاءُ .

قال بعضهم : أوسعُ مايكون الكريمُ مغفرةً ، إذا ضاقتْ بالمذنبِ المعذرةُ .

قال آخرُ : أمتعُ الجلساءِ الذي إذا عَجَّبْتَه عجب ، وإذا فكَّهتَه طَرب ، وإذا أمسكتَ تحدث ، وإذا فكَّرتَ لم يَلُمْك .

قيل لبعضهم : متى يُحْمَدُ الغنى ؟ قال : إذا اتصل بكرم . قيل : فمتى تُذَمّ الفِطْنَةُ ؟ قال : إذا اقترنتْ بلؤمٍ .

قال مالكُ بنُ دينارٍ (١) : من طَلَبَ العلم لنفسه فالقليلُ يكفي ، ومن طلبه للناسِ فحوائجُ النَّاسِ كثيرةٌ .

---

(١) مالك بن دينار البصري الزاهد الراوية . توفي سنة ١٢٧ هـ .

قال رجلٌ لآخر : إني أتيتُك في حاجةٍ فإن شئت قضيتَها وكنّا جميعا كريمينِ ، وإن شئت منعتَها وكنا جميعا لئيمينِ .

قال بعضُ النُّساكِ : قد أعياني أنْ أنزل على رجلٍ يعلمُ أني لا آكلُ من رِزْقِهِ شيئاً .

قيل : مَثَلُ شُرْبِ الدّواء مَثَلُ الصابونِ للثّوب يُنَقّيه ولكنْ يُخْلِقه .

كان يقال : النظرُ يحتاجُ إلى القَبول ، والحسبُ إلى الأدبِ ، والسُّرورُ إلى الأمنِ ، والقُربى إلى المودة ، والمعرفةُ إلى التجاربِ ، والشَّرفُ إلى التواضعِ والنجدةُ إلى الجِدّ .

قال بعضهم : أعناقُ الأمور تشابه في الغيوبِ ، فربَّ مَحبوبٍ في مكروهٍ ومكروهٍ في محبوبٍ . وكم من مغبوطٍ بنعمةٍ هي داؤه ، ومرحومٍ من داءٍ فيه شفاؤه .

وقيل : ربَّ خيرٍ في شرٍّ ، ونَفْعٍ في ضُرٍّ .

قال ابنُ المقفّعِ : الحسدُ خُلق دنيٌّ ، ومن دناءته أنه يُوكَّلُ بالأقربِ فالأقربِ .

قال قَتَادةُ(١) : لو كان أحدٌ مكتفيا من العلم لاكتفى نبيُّ اللهِ موسى عليه السلامُ إذ قال : « هَلْ أتَّبِعُكَ عَلَى أنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رشْداً(٢) » .

قال دغْفَلُ بنُ حنظلة (٣) : إنَّ للعلم أربعاً : آفةً ونكداً وإضاعةً واستجاعةً فآفتُه النّسيانُ ، ونكَدُه الكذبُ ، وإضاعتُه وضعُه في غير موضعه ، واستجاعته أنك لاتشبعُ منه .

قال بعضهم : عيادةُ النوكَى الجلوسُ فوق القدر ، والمجيء في غير وقت .

قال أكثمُ بنُ صيْفِيّ : «أحبُّ أن أكْفَى كُلَّ أمرِ الدّنيا . قالوا : وإن أسمنْتَ وأبْتنت ؟ قال : نعم . أكرهُ عادة العجزِ .

قال أبو عثمانَ : كتبَ شيخٌ من أهل الرّيّ على بابِ داره : جزى اللهُ مَنْ لايعرفُنا ولانعرفهُ خيرا ، فأما

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسي ، حافظ ثقة ، وعالم جليل ، توفي سنة ١١٧هـ .

(٢) سورة الكهف : ٦٦ .

(٣) دغفل بن حنظلة الشيباني السدوسي ، نسابة العرب .

أصدقاؤنا الخاصّةُ فلا جزاهم الله خيرا ، فإنا لم نُؤْتَ قطُّ إلا منهم .

قيل لرجلٍ من أهلِ البصرةِ : مالَكَ لايَنمى مالُك ؟ قال : لأني اتّخذتُ العيال قبل المالِ ، واتخذ الناسُ المالَ قبلَ العيالِ .

كان خالدُ بنُ صفوانَ يكره المُزاحَ ويقول : يصيبُ أحدهم أخاهُ ويصْكُّهُ بأشدَّ من الحديدِ ، وأصلبَ من الجَنْدَلِ ، ويفرغُ عليه أحرَّ من المِرجَلِ ثم يقول إنّما مازَحْتُهُ .

كان يقال : لا ينبغي لعاقلٍ أن يشاورَ واحداً من خمسةٍ : القطّانَ والغزّالَ والمعلّمَ وراعيَ الضّأنِ ولا الرجّلَ الكثيرَ المحادثةِ للنّساءِ .

قال رجلٌ لابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ : ما تركَ لكَ أبوك ؟ قال : تركَ لي مالاً كثيراً . فقال : لا أُعلّمك شيئاً هو خيرٌ لك مما ترك أبوك ؟ إنه لا مالَ لعاجز ، ولا ضياعَ على حازم ، والرّقيقُ جَمالٌ وليس بمال ، فعليكَ من المال بما يَعُولُكَ ولا تعولُه .

وقيل لخُرَيم النَّاعمِ(١) : ما النّعمةُ ؟ فقال : الأمنُ ؛ فإنه ليسَ لخائف عيشٌ ؛ والغِنَى ؛ فإنّه ليسَ لفقيرٍ عيشٌ . والصّحةُ ، فإنه ليس لسقيمٍ عيشٌ قيل : ثمّ ماذا ؟ قال : لا مزيدَ بعدها .

قيل : خيرُ الكلام ما أغنى اختصارُه عن إكثارِه .

أراد رجل الحَجَّ . فأتى شُعْبَةَ بن الحجاج(٢) فودّعه فقال له شُعبَة : أمَا إنّكَ إن لم تَرَ الحِلْمَ ذلاً ، والسفهَ أنَفَا سَلِم حجُّكَ .

رُوِيَ عن بعضِ الأئمةِ أنه قال : الإنصافُ راحةٌ ، والإلحاحُ قِحَةٌ ، والشُّحُّ شناعةٌ ، والتَّواني إضاعةٌ ، والصحّةُ بضاعةٌ ، والخيانةُ وَضاعةٌ ، والحرصُ مَفْقَرةٌ والدَّناءةُ محقرةٌ ، والبُخْلُ غلٌّ ، والفقرُ ذلٌّ ، والسخاءُ قُربةٌ ، واللؤمُ غُرْبَةٌ ، والذّلّةُ استكانةٌ ، والعَجْزُ مَهانةٌ ، والأدبُ رياسةٌ ، والحَزْمُ كياسةٌ ،

---

(١) هو خريم بن عامر بن الحارث المري لقب بالناعم .

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بسطام ، شيخ البصرة ، والمحدث الأشهر موصوف بالعلم والزهد والرحمة والقناعة ، كان رأسا في العربية والشعر بجانب معرفته بالحديث . توفي سنة ١٦٠هـ .

والعُجْبَ هلاكٌ ، والصبرُ ملاكٌ ، والعجلةُ زلَلٌ ، والإبطاءُ ملَلٌ .

ثلاثةُ أشياء لاثباتَ لها : المالُ في يدِ من يبذِّرُ ، وسحابةُ الصيّفِ ، وغضبُ العاشقِ .

قيل للشّبلي(١) : ما الفرقُ بينَ رقّ العبوديةِ ورقِّ المحبّةِ ؟ فقال : كم بين عبدٍ إذا أُعتقَ صار حُرّاً ، وبين عبدٍ كلُما أُعتقَ ازداد رِقّاً ؟ .

قالوا : الزّاهدُ في الدّينار والدّرهم أعزُّ من الدّينار والدّرهم .

وقيل لمحمد بن واسع : كيف أنت ؟ قال : كيف أكون ، وأنا إذا كنتُ في الصّلاةِ فدخلَ إنسانٌ غنيٌّ أُوسّعُ له بخلافِ ما أوسّعُ للفقيرِ .

سُئل بعضهم : أيُّما أحمدُ فيَ الصّبيِّ الحياءُ أم الخوفُ ؟ فقال : الحياءُ لأنّ الحياءَ يدلُّ على عقلٍ والخوفُ يدلّ على جُبنٍ .

---

(١) الشبلي قيل اسمه دلف بن جحدر وقيل : جعفر بن يونس ، زاهد متصوف ، له مقامات وأحوال توفي سنة ٣٣٤ .

قالوا : ربَّ حَرْبٍ جُنِيَتْ بلفظةٍ ، وربَّ وُدٍّ غُرِس بلحظةٍ .

شكا رجلٌ إلى بشرِ بنِ الحارثِ (١) كثرةَ العيالِ فقال له : فرَّغكَ فلم تشكره ، فعاقبكَ بالشُّغلِ .

كان يُقال : إذا تزوَّج الرّجلُ فقد ركِبَ البحرَ ، فإن وُلِدَ له فقد كُسِرَ به .

قالوا : أصبرُ النّاس الّذي لا يُفشي سرَّه إلى صديقه مخافةَ أن يقعَ بينهما شيءٌ فيُفشيَه .

قالوا : ثمانيةٌ إذا أُهينوا فلا يلوموا إلاّ أنفسَهم : الآتي طعاماً لم يُدْعَ إليه والمُتأمِّرُ على ربِّ البيتِ في بيته ، وطالبُ المعروفِ من غير أهله ، وراجي الفضلِ من اللئام ، والدّاخلُ بين اثنين لم يُدخلاه ، والمستخفُّ بالسلطانِ ، والجالسُ مجلساً ليسَ له بأهلٍ ، والمقبلُ بحديثه على مَنْ لا يسمعهُ .

قالوا : ثمرةُ القناعةِ الرَّاحةُ ، وثمرةُ التَّواضعِ المحبَّةُ ، وثمرةُ الصبرِ الظَّفَرُ .

---

(١) بشر بن الحارث المروزي المشهور ببشر الحافي ، زاهد له مناقب ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٢٧هـ .

قال بعضهم : نحن في دهرِ الإحسانُ فيه من الإنسانِ زلّةٌ ، والجميلُ غريبٌ ، والخيرُ بدعةٌ ، والشفقةُ مَلَقٌ . والدعاءُ صلةٌ ، والثناءُ خداعٌ، والأدبُ مَسْألةٌ ، والعلمُ شَبَكةٌ ، والدِّينُ تلْبيسٌ ،والإخلاصُ رياءٌ ، والحكمةُ سَفَهٌ ، والقولُ هَذَرٌ ، والإطراقُ ترهُّبٌ ، والسكوتُ نفاقٌ ، والبذلُ مكافأةٌ ، والمنعُ حَزمٌ والإنفاقُ تبذيرٌ .

جلس رجلٌ إلى سهلِ بنِ هارونَ فجعل يُسمعه كلاماً سخيفاً من صنوفِ الهزلِ ، فقال له : تنحَّ عنّي ؛ فإنّه لا شيءَ أميلُ إلى ضدّه من العقلِ .

قيل لبعضِ العلماءِ : أيُّ عِلْقٍ(١) أنْفَسُ ؟ فقال : عقلٌ صُرِفَ إليه حظ .

قالوا : الاعتبارُ يفيدُكَ الرّشادَ ؛ وكَفاكَ أدباً لنفسك ما كرهتَ من غيرك . الجَزَعُ من أعوان الزّمان . الجودُ حارسُ الأعراضِ . العفوُ زكاةُ القلبِ . اللّطافةُ في الحاجةِ أجدى من الوسيلةِ . مِنْ أشرفِ أفعالِ الكريم غَفْلَتُهُ عمّا يعلمُ .

---

(١) العلق : النفيس من كل شيء .

احتمالُ نخوةِ الشّرَّفِ أشدُّ من احتمال بَطَرِ الغِنَى وذلَّةُ الفقرِ مانعةٌ من الصَّبر .

قيل لبعضهم : مَنْ أبعدُ النّاسِ سَفَراً ؟ قال : من كان في طلبِ صديقٍ يرضاه .

قال يونسُ بنُ عُبيد (١) : أعياني شيئان : درهمٌ حلالٌ وأخٌ في اللّه . .

استشارةُ الأعداءِ من باب الخذلانِ .

قالوا : إذا أرادَ اللّهُ بعبدٍ هلاكا أهلكه برأيهِ ، وما استغنى أحدٌ عن المشورةِ إلا هَلَكَ .

قال أكثمُ بنُ صيفيّ : الحرُّ لا يكون صريعَ بطنه ولا فَرْجِهِ .

قيل : ستُّ خِصالٍ تُعْرَفُ في الجاهلِ : الغَضَبُ من غير شيء ، والكلامُ في غير نَفْعٍ ، والعَطِيَّةُ في غير موضعٍ ، ولا يعرفُ صديقهُ من عدوّه . وإفشاءُ السِّرِ ، والثّقةُ بكلّ أحدٍ .

---

(١) يونس بن عبيد بن دينار حدث عن أنس ، وتوفي سنة ١٣٩هـ .

قال محمَّدُ بنُ واسعٍ : إني لأغبِطُ الرجلَ ليس له شيء وهو راضٍ عن اللّه .

قالوا : سوءُ العادةِ كمينٌ لا يُؤْمَنُ .

التجنّي وافدُ القَطيعةِ .

مِنك مَنْ نَهاكَ ، وليس منك مَنْ أغراكَ .

يا عجباً من غفلةِ الحُسَّادِ عن سَلامةِ الأجسادِ .

من سَعادةِ المرءِ أن يطولَ عُمُرُه ويرَى في عدوّه ما يسرُّه .

تُورَثُ الضغائنُ كما تورثُ الأموالُ .

كم من عزيزٍ أذلّه خُرْقُه ، وعزيزٍ أذلّه خُلُقُه .

لا يَصْلُحُ اللَّئيمُ لأحدٍ ولا يستقيمُ إلاّ من فَرَقٍ أو حاجةٍ ؛ فإذا استغنَى أو ذهبت الهيْبَةُ عادَ إلى جَوهره .

قيل لبعضهم : ما أبقى الأشياء في أنْفُس النّاسِ ؟ قال : أمّا في أنفسِ العلماءِ فالنّدامةُ على الذنوبِ ، وأمّا في أنفسِ السُّفهاء فالحقدُ .

إذا انقضى مُلْكُ القومِ جُبِّنوا في آرائهم .

الضعيفُ المحترسُ من العدوّ القويّ أقربُ إلى السّلامةِ من القويّ المغترِّ بالعدوّ الضعيف .

الحزنْ سوءُ استكانةٍ والغضبُ لؤمُ قدرةٍ .

كل ما يُؤكلُ يَنْتُنُ ، وكلُّ ما يُوهَبُ يأرَجُ(١) .

لا يصعبُ على القويّ حملٌ ، ولا على اللّبيبِ عملٌ ، ولا على المتواضع أحدٌ .

الطرشُ في الكرام ، والهَوَجُ والشجاعةُ في الطوالِ ، والكيَسُ في القصارِ والملاحةُ في الحُولِ ، والنُبْلُ في الرَّبعةِ ، والذّكاءُ في الخُرسِ ، والكِبْرُ في العُورِ ، والبَهتُ في العميانِ .

بالكُلفةِ يُكتَسَبُ الأصدقاءُ وبكلّ شيء يُمكنُ اكتسابُ الأعداءِ .

أفقرُ النّاسِ أكثرهم كسباً من حرام ؛ لأنه استدانَ بالظلم مالا بدَّ له من ردّه ، وأنفدَ في اكتسابه أيّامَ عُمره ، ومنعَه في حياته من حقّه ، وكان خازناً لغيره ،

---

(١) يأرج : يفوح طيبه .

واحتملَ الدَّيْنَ على ظهرهِ ، وطُولبَ به في حين فَقْرِهِ .

ألأمُ النّاس من سعى بإنسانٍ ضعيفٍ إلى سلطانٍ جائرٍ.

أعسرُ الحيلِ تصويرُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ عند العاقل المُمَيِّزِ .

الرِّيبةُ ذلٌّ حاضرٌ ، والغَيْبَةُ لؤمٌ باطنٌ .

القلبُ الفارغُ يبحث عن السّوءِ ، واليدُ الفارغةُ تنازعُ إلى الإثم .

لا يَصْرِفُ القضاءَ إلاّ خالقُ القضاءِ .

لا كثير مع إسرافٍ ، ولا قليل مع احترافٍ ، ولا ذنبَ مع اعترافٍ .

من كل شيء يقدرُ أن يُحْفَظَ الجاهلُ إلاّ من نفسه .

المتعبدُ على غير فقهٍ كحمار الرّحى يدور ولا يَبرحُ .

المحرومُ من طالَ نَصَبُه ، وكان لغيره مَكسبُه .

كيفَ يحبُّ الدنيا من تغرُّه ، وتسوؤه أكثرَ ممّا تَسُرُّه .

مع العجلةِ الحِذَارُ ، وربّما خَطِيء المخاطرُ بالقضاء .

شرُّ أخلاقِ الرّجالِ البخلُ والجُبن وهما خيرُ أخلاقِ النساءِ .

إذا جاءَ زمانُ الخذلانِ انعكستِ العقولُ .

سَعَةُ السمحاءِ أحد الخِصْبَين ، وكثرةُ المالِ عند البخلاءِ أصعب الجَدْبَين .

من سوء الأدب مؤانسةُ من احتشمكَ ، وكَشْفُ خلّةِ مَن سَتَرَها عندكَ ، والنزوعُ إلى مشورةٍ لم تُدعَ إليها .

قال إبراهيمُ التيميُّ(١) : نِعْمَ القومُ السُّؤَّال ؛ يدقُّون أبوابكم ويقولون : هل تُوجّهون إلى الآخرة شيئاً بشيء ؟ .

* * *

(١) ابراهيم بن أبي يزيد التيمي العابد ، قتله الحجاج سنة ٩٢هـ .

الباب الخامس

جِنْسٌ آخرُ من الأدَبِ والحِكَمِ
وهو ما جاء لَفْظُهُ على لَفْظِ الأمْرِ والنَّهْيِ

كان يُقال : إذا غضبَ الكريمُ فألِنْ له الكلامَ ، وإذا غضبَ اللئيمُ فخذْ له العَصَا .

وقال بعضهم : غَضَبُ العاقلِ في فِعله ، وغضبُ الجاهل في قَوله .

قال بعضُهم وقد رأى رجلا يَتكلّم فَيُكْثِرُ : أنصفْ أذنيكَ من فَمِكَ ؛ فإنّما جُعِل لكَ أذنان وفَمٌ واحدٌ لتسمعَ أكثرَ ممّا تقولُ .

قالوا : دَعِ المعاذرَ فإنّ أكثرَها مَفَاجِرُ .

وقال إبراهيمُ النَّخَعيُّ(١) : دعِ الاعتذارَ فإنّه يخالطه الكذبُ .

---

(١) إبراهيم النخعي : فقيه العراق ، توفي سنة ٩٦هـ عن تسع وأربعين سنة .

قالوا : مكتوبٌ في الحِكمة : أُشكرْ لمن أنعمَ عليكَ ، وأنعمْ على من شَكركَ .

قال إبراهيمُ النخعيُّ : سلْ مسألةَ الحَمقى ، واحفظْ حِفْظَ الأكْياسِ . يعني العِلم .

قالوا : مُروا الأحداثَ بالمِراء ، والكهولَ بالفكرِ ، والشيوخَ بالصمتِ .

وقال : عوِّد نفسكَ الصّبرَ على جليسِ السوء ؛ فإنّه لا يكاد يُخْطِئكَ .

قال حاتمٌ لعديّ ابنِه : يا بُنَيَّ إني رأيتُ الشَّرَّ يتركُكَ إِن تركتَه ، فاتركْه .

وكان يقال : لا تطلبوا الحاجةَ إلى ثلاثةٍ : إلى كذوبٍ ، فإنّه يقرِّبها وإن كانت بعيدةً ويباعدُها وهي قريبةٌ ، ولا إلى أحمقَ ؛ فإنّه يريدُ أن ينفعَكَ فيضرّك ؛ ولا إلى رجلٍ له إلى صاحبِ الحاجةِ حاجةٌ ، فإنّه يجعلُ حاجتَكَ وقايةً لحاجته .

وقالوا : لا تصرفْ حاجتَكَ إلى مَنْ معيشتُه من رؤوسِ المكاييلِ وألسنةِ الموازينِ .

وكان يقال : إيّاكَ وصدرَ المجلسِ وإذْ صَدَّرك صاحبُه ، فإنّه مجلسُ قُلْعَةٍ (١) .

قالوا : احذرُوا صولةَ الكريمِ إذا جاعَ ، واللئيمِ إذا شبعَ .

قال بعضهم : سِرُّكَ دمُك ؛ فلا تُجْرِيَنَّهُ في غيرِ أوداجِكَ .

كان يقال ، إيّاكَ وعزّة الغضبِ ؛ فإنّها تُصَيِّرُكَ إلى ذلّةِ الاعتذارِ .

قال بعضهم : إذا أُرسلتَ لتأتيَ ببعرٍ فلا تأتِ بتمرٍ ، فيؤكَل تمرُك ، وتعنَّفَ على خلافك .

قالو : إذا وقَعَ في يدكَ يومُ السّرورِ فلا تُخْلِه فإنّك إذا وقعتَ في يدِ يوم الغمّ لم يُخْلِكَ .

قالوا : إذا أردتَ أن تُؤاخيَ رجلاً فانظرْ مَنْ عدوُّه . وإذا أردتَ أن تعاديَ رجلاً فانظرْ مَنْ وليُّه .

قيل : إذا قلدتَ أحدا مهمّاً فعجّلْ له مَنْفَعَةً ، وأجمل له في العِدَةِ ، وابسُط له في المُنْيَةِ .

---

(١) قلعة : يتحول عنه .

قال بعضُهم : الانقباضُ من النّاسِ مكسبةٌ للعداوة ، والانبساطُ مجلبةٌ لقرينِ السّوء ، فكنْ بينَ المنقبضِ والمسترسلِ ؛ فإن خيرَ الأمورِ أوساطُها .

كان يقال : اجعلْ عمركَ كنَفَقةٍ دُفعتْ إليك . فأنتَ لا تحبُّ أن يذهبَ ما تُنْفِقُ ضياعاً ، فلا تُذْهِبْ عمرَك ضَياعاً .

قيل : مَنْ أظهرَ شُكركَ فيما لم تأتِ إليه فاحذَرْ أنْ يكفُرَكَ فيما أسديتَ إليه .

لا تستعنْ في حاجتك بمن هو للمطلوبِ أنصحُ منه لكَ .

لا يُؤمننَّكَ من شرِ جاهلٍ قرابةٌ ولا إلفٌ ، فإن أخوفَ ما تكونُ لحريقِ النارِ أقربُ ما تكونُ منها .

لا ترفعْ نفسَكَ عن شيء قرَّبك إلى رئيسكَ .

كُنْ في الحرصِ على تَفَقّدِ عَيبكَ كعدوكَ .

عليكَ بسوءِ الظّنِ فإنْ أصابَ فالحزمُ ، وإن أخطأ فالسّلامةُ .

رِضا النّاسِ غايةٌ لا تُدركُ ، فتحرَّ الخَير بجهدِك ، ولا تكْرهْ سُخطَ مَنْ يرضيه الباطلُ .

إذا رأيتَ الرجلَ على باب القاضي من غيرِ حاجةٍ فاتّهِمْهُ .

رأى رجلٌ ابنه يماكسُ في ابتياعِ لحمٍ ، فقال : يا بنيَّ ، ساهِلْ فما تُضَيِّعُهُ من عِرْضِكَ أكثرُ ممّا تنالُه من غرَضِكَ .

وقال بعضهم : الدَّيْنُ رِق ، فلا تبذلْ رقّكَ لمن لا يعرفُ حَقَّكَ .

وقال بعضُهم : احذَرْ كلَّ الحذرِ أن يخدعَكَ الشَّيطانُ فيمثّلَ لكَ التّواني في صورة التَّوكّلِ ، ويورثَكَ الهُوينا بالإِحالةِ على القَدَرِ ، فإنّ اللهَ أمرنا بالتوكّلِ عند انقطاعِ الحِيَلِ ، وبالتّسليم للقضاءِ بعدَ الإعذارِ فقال : (خُذُوا حِذْرَكُمْ) (١) (وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (٢) .

وقال النبيّ عليه السلام : « اِعْقِلْ وتوكّلْ » .

---

(١) سورة النساء : ٧١ .

(٢) سورة البقرة : ١٩٥ .

قالوا : لتكنْ عنايتُكَ بحفظِ ما اكْتَسَبْتَهُ كعنايتِكَ باكتسابِه ، ولا تصحبْ غَنياً ؛ فإنَّك إنْ ساويتَهُ في الإنفاقِ أَضَرَّ بِكَ ، وإن تفضَّل عليك استذلّك .

إذا سألتَ كريماً حاجةً فدَعْهُ يتفكَّرُ ؛ فإنه لا يُفكِّرُ إلاّ في خيرٍ . وإذا سألتَ لئيماً حاجةً فَغَافِصْه(١) ولا تَدَعْهُ يتفكّرُ فيتغيَّرُ . وفي ضدّ ذلك : إذا سألتَ لئيماً حاجةً فأَجِّلْه حتى يروضَ نفسه .

العدوُّ عدوان : عدوٌّ ظلمتَه ، وعدوٌّ ظلمَك . . فإن اضطرَّكَ الدّهرُ إلى أحدِهما فاستعنْ بالّذي ظلمَك ؛ فإنّ الآخرَ مَوْتورٌ .

لا تستصغرنَّ أمرَ عدوِّك إذا حاربتَه ، لأنكَ إنْ ظفرتَ به لم تُحْمَدْ ، وإن ظفر بك لم يُعْذَرْ ، والضعيفُ المحترِسُ من العدوّ القويّ أقربُ إلى السلامةِ من القويّ المغترِّ بالضّعيفِ .

لا تصحبْ مَنْ تحتاجُ أنْ تكتمَه ما يعرفُه اللهُ منكَ .

صُنِ الاسترسالَ منكَ حتّى تجدَ له مُستَحقّاً ، واجعلْ أُنْسَكَ آخرَ ما تبذلُه من وُدِّكَ .

---

(١) غامض : أخذ على غرة .

قال آخرُ : لا تجاهدِ الطّلبَ جهادَ المغالبِ ، ولا تتّكل اتّكالَ المستسلمِ ؛ فإنّ ابتغاءَ الفضْلِ من السُّنّة ، والإجمالَ في الطّلبِ من العفّةِ . وليستِ العفّةُ بدافعةٍ رزقا ، ولا الحرصُ بجالبٍ فضلا .

سمعَ بعضُهم إنساناً يتكلمُ بما لا يعنيه فقال له : يا هذا إنمّا تُملي على حافظَيْكَ ، وتكتبُ إلى ربّكَ ؛ فانظرْ على مَنْ تُملي ، وإلى مَنْ تكتبُ .

قال بعضُهم : أقمِ الرغبةَ إليكَ مقامَ الحرمةِ بكَ ، وعظّمْ نفسَكَ عن التعظُّم ، وتطوّلْ ولا تتطاولْ (١) .

قال آخرُ : عاملُوا الأحرارَ بالكرامةِ المحضةِ ، والأوساطَ بالرّغبةِ والرّهبةِ والسّفْلَ بالهوانِ .

كُنْ للعدوّ المكاتمِ أشدَّ حذَراً منكَ للعدوّ المبارزِ .

قال سَلْمُ بنُ قُتَيبةَ (٢) : لأهلِ بيته : لا تمازحوا

---

(١) التطول : التفضل ، والتطاول : الترفع على الناس ، والتطول ممدوح ، والتطاول مذموم .

(٢) سلم بن قتيبة الباهلي : قائد ولي خراسان أيام هشام وولاه المنصور البصرة مات سنه ١٥٩ .

فيستخفَّ بكم السُّوقَةُ . ولا تدخلوا الأسواقَ فتدِقَّ أخلاقكم ولا تَرَجَّلُوا فيزْدرِيَكم أكْفاؤُكم .

قال آخرُ : احفظْ شيئَكَ ممّن تستحيي أن تسأله عن شيءٍ إنْ ضاعَ لكَ .

إذا كنتَ في مجلسٍ فلم تكنِ المحدِّثَ ولا المحدَّثَ فقُمْ .

قالوا : لا تُدْخِلْ في مشورتكَ بخيلاً فيقصرُ بعقلكَ ، ولا جباناً فيُخَوِّفكَ مالا يُخافُ .

قال ابنُ المُقَفَّعِ : الخَتْمُ حَتْمٌ ، فإذا أردتَ أن تَختِمَ على كتابٍ فأعدِ النظرَ فيه فإنما تختمُ على عقلكَ .

كان يقال : إذا قال أحدكم : واللهِ . فلينظُرْ مايضيفُ إليها .

دخلَ عبدُ العزيزُ بنُ زُرارةَ الكِلابيُّ على معاويةَ فقال : ياأميرَ المؤمنينَ جالِس الألباءَ ، أعداءً كانوا أو أصدقاء ، فإنَّ العقلَ يقعُ على العقلِ .

كان بعضهم يقول : أحيوا الحياءَ بمُجالسةِ مَنْ يُسْتحْيا منه .

كان يقال : إذا وجدتَ الشيءَ في السوقِ فلا تطلبْه من صديقٍ .

قال العبّاسُ بنُ الحسنِ العلويُّ(١) : اعلمْ أنَّ رأيكَ لايتّسعُ لكل شيءٍ ، ففرغْه للمهمِّ من أموركَ ، وأنّ مالكَ لايُغني النّاسَ كلّهم ، فاخصُصْ به أهلَ الحقِ ، وأنّ كرامتَك لاتُطبِّقُ العامةَ ، فتوخَّ بها أهلَ الفضلِ ، وأنّ ليلكَ ونهارَكَ لايَستوعبانِ حوائجَك فأحسنْ قِسمتَكَ بين عملكَ ودَعتكَ .

وكان يقال : أحيوا المعروفَ بإماتته .

وقال قيسُ بنُ عاصمٍ(٢) : يابنيَّ اصحَبُوا مَنْ يذكرْ إحسانَكُم إليه وينسَى أياديَه لديكم .

وكان مالكُ بنُ دينارٍ يقول : جاهدوا أهواءكُم كما تجاهدونَ أعداءكُم .

إذا رغبتَ في المكارمِ فاجتنبِ المحارمَ .

* * *

---

(١) العباس بن الحسين العلوي شاعر بني هاشم وأديبهم . عاش في عصر الرشيد .

(٢) قيس بن عاصم المنقري أسلم سنة ٩هـ ، وكان مشهوراً بالحلم ، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية .

أراد رجلٌ سفرا فقال له بعضُهم : إنَّ لكلّ رفقةٍ كلباً يَشْرُكُهم في فضلةِ الزّادِ ، ويَهرُّ دونَهم ، فإن قدرتَ ألا تكونَ كلبَ رفقتِكَ فافعلْ ، وإيّاكَ وتأخيرَ الصّلاةِ عن وقتِها فإنّكَ مُصلّيها لامحالةَ ، فَصَلِّها وهي تُقْبَلُ منكَ .

قال ابنُ السماكِ : إنّ مِنَ النّاسِ ناساً غرَّهم السَّتْرُ ، وفتَنَهُم الثَّناءُ . فلا يغلبَنَّ عليكَ جهلُ غيرك بكَ علْمَكَ بنفسكَ .

قيل : لاتثقنَّ كلَّ الثّقةِ بأخيكَ ، فإنّ صرعةَ الاسترسالِ لاتُسْتقالُ .

من أمثال التّرْكِ : اسكتْ تربحْ ماعندكَ ، وشاورْ تربحْ ماعند غيركَ .

قيل : لاتكنْ مثلَ من تغلبُه نفسُه على مايظنّ ولايغلبُها على مايستيقنُ انتقمْ من الحرصِ بالقناعةِ كما يُنْتَصَرُ من العدو بالقصاصِ .

أوصى أبُو الهُذَيْلِ(١) أصحابَه فقال : لاتدخلوا

---

(١) أبو الهذيل هو محمد بن الهذيل بن عبد الله ، مشهور بكنيته وهو شيخ المعتزلة توفي سنة ٢٣٥هـ .

في الشهادةِ فتصيروا أُسَرَاءَ الحكّامِ ، ولا في القضاءِ ، فإنّ فرحةَ الولايةِ لاتفي بتَرْحَةِ العَزْلِ ، ولا في روايةِ الحديثِ فيكذّبَكُم الجهّالُ والصبيانُ ، ولا في وصيّةٍ فيُطْعَنَ عليكم بالخيانةِ ، ولا في إمامةِ الصّلاةِ فمَنْ شاءَ صلّى وراءكم ومن شاء لم يُصلِّ . وقال : لاتُجالسوا مَن لايوثَقُ بدينه وأمانتِه ، ولاتبدأوا المخالفينَ بالسّلامِ فإنهم إنْ لم يجيبُوا تقاصَرتْ إليكم نفوسُكُم ولحقَتْكم خَجْلَةٌ .

عَوِّدْ نفسكَ السّماحَ ، وتخيّرْ لها من كلّ خُلُقٍ أحسنَه ، فإنّ الخيرَ عادةٌ ، والشّرَّ لجاجةٌ ، والصُّدودَ آيةُ المقتِ ، والعِللَ آيةَ البخلِ .

كُنْ سَمْحاً ولاتكنْ مُبَذِّرا ، وكُنْ مُقَدِّرا ولاتَكُنْ مقتِّراً .

إيّاكَ والمُرْتَقَى السّهلَ إذا كان المُنْحَدَرُ وَعْراً .

احترسْ من ذِكْرِ العِلْمِ عند مَنْ لايريدُه ، ومن ذِكْرِ القديمِ عند من لاقديمَ له ، فإنّ ذلك يُحدِثُ التعْييرَ ، وبالحَرى أن تتّخذه سلّما إلى الضِّغْنِ عليكَ .

إذا زللْتَ فارجعْ ، وإذا ندمتَ فأقْلعْ ، وإذا أسأتَ فاندَمْ ، وإذا مَننتَ فاكْتُمْ ، وإذا منَعتَ فأجْملْ . ومن يُسلف المعروفَ يكنْ ربحُه الحمدَ .

اطلبِ الرّحمة بالرّحمةِ .

اتّقِ العِثارَ بحسنِ الاعتبار .

لاتستأنسْ بمن لم تَبْلُ خلائِقه .

لاتأمنِ العدوّ على حال .

لاتفرح بالرّجاء فإنه غرورٌ ، ولاتتعجّلِ الغمّ بالخوف فإنّه شَكّ .

حاسِبْ نَفْسَك تَسْلَمْ وتَسْعَدْ .

لن يخلوَ أحدٌ من ذمّ ، فاجهدْ أن تخلوَ من ذَمّ الأخيارِ .

حاربْ عدوّكَ ماحاربَكَ بشخصِه ، فإذا أخفَى شخصَهُ فاحرُسْ نفسَكَ منه ، لأنّ مَنْ يعلمُ أنه لاينجيهِ منكَ إلا الموتُ لاينجيكَ منه إلاّ مثلُ ذلك ، والمستسلمُ للموتِ لايبالي على ماأقدم .

احذرْ فلتاتِ المِزاح وصرعاتِ البَغْيِ .

لاتجاهدِ الطَّلبَ جهادَ المُغالِبِ ، ولاتتكلْ على القَدَرِ اتكالَ المُسْتَسْلِمِ فإنّ ابتغاءَ الفضلِ سُنّةٌ ، وإجمالُ الطلبِ عفّةٌ ، وليستِ العِفّةُ بدافعةٍ رِزقا ، ولا الحرصُ بجالبٍ فضلا ، والرزقُ مقدُورٌ والأجلُ موقوفٌ ، وفي استعجالِ الحريصِ اكتسابُ المآثمِ .

لاتشبهنَّ رضاكَ بغضبكَ ، فتكون ممّن لايضرَ غضبُه ولا ينفعُ رضاه .

اغتنم العملَ مادامت نفسُكَ سليمةً ، واجعلْ كل ساعةٍ بشغلها لآخرتك غنيمةً .

لاتكونَنَّ لغيرِ الله عبداً ماوجدتَ من العبوديّةِ بُدّاً .

احمِ نفسَكَ القُنوطَ ، واتّهمِ الرّجاءَ .

لاتُعَيِّرْ أخاكَ واحمدِ الذي عافاكَ .

انظر ماعندك فلا تَضَعْه إلا في حقّه ، ومااليس عندك فلا تأخذْه إلا بحقّه .

احتملْ مِمّنْ أدلَّ عليكَ ،واقْبَلْ ممّن اعتذرَ إليك.

ليكُنْ عمَلُكَ فيما بينكَ وبينَ أعدائكَ العدلَ ، وفيما بينك وبين أصدقائك الرضا ، فإنّ العدوَّ خصْمٌ تصْرِفُه بالحجّة ، وتغلبُه بالحُكْم . والصّديقُ ليس بينك وبينه قاضٍ ، وإنما هو رضاه وحُكْمُه .

إذا أردتَ أن تخدعَ النّاس فتغلبَ عليهم .

إذا صافاكَ عدوُّك رياءً منه فتلقَّ مصافاته إيّاكَ بأوكدِ مودّةٍ ، فإنّه إذا ألفَ ذلكَ واعتادَه خلَصَت لكَ مودّتُهُ .

فكّرْ قبل أن تعزِمَ ، وأعرِضْ قبل أن تصرِمَ ، وتدَبّرْ قبلَ أن تهْجُمَ ، وشاورْ قبلَ أن تُقْدِمَ .

* * *

الباب السادس

جِنْسٌ آخرُ مِنَ الحِكَمِ والأمْثالِ والآدابِ وهو ما كانَ في أوّلِهِ « مَنْ »

مَنْ كَثُرَتْ نِعمةُ اللّهِ عنده كَثُرَ عَدُوّه .

مَن يصحب الزّمانَ يرَ الهوانَ .

مَنْ لم يمتْ لم يفُت .

من صَدَقَ النّاسَ كرهوه .

من يطُلْ ذيلُه ينتطِقُ به .

من فَسَدَتْ بطانَتُه كان كمن غُصَّ بالماءِ ، فإنّه لو غُصَّ بغيره أجازَ به غُصّتَهُ .

من أكثر أسقط .

من اتّبعَ غيَّ النّاس كان أغوى .

من لَقِيَ النّاسَ بما يكرهونَ ، قالوا فيه مالا يعلمونَ .

من أحبَّ الذّكرَ فليستعملِ الصّبرَ .

ومَن شَحَّ على دينه فليستعمل الخوفَ ، ومن ضَنَّ بعِرْضِهِ فليمسكْ عن المِرَاءِ .

من صَفا قلبُه صفا لسانُه .

من خالَطَ خُلِّطَ له .

من لم يَضِنَّ بالحقِّ عن أهله فهو عينُ الجَوادِ .

وقال الصَّادقُ(١) رضيَ اللّه عنه : مَنْ أيقظَ فتنةً فهو أكلُها .

ومن كلامِ أميرِ المؤمنينَ رضيَ اللّهُ عنه : من اشتاقَ إلى الجنّةِ سَلا عن الشهواتِ ، ومن أشفقَ من النّارِ كفَّ عن المحارمِ ، ومن زهِدَ في الدّنيا تهاوَنَ بالمصائبِ ، ومن ارْتَقَبَ المَوْتَ سارعَ في الخَيْرِ .

وقالوا : من استغْنى كَرُمَ عن أهلِهِ .

من قَرَّب السَّفِلَةَ واطّرَحَ ذوي الأحسابِ والمروءات استحقَّ الخِذْلانَ .

---

(١) جعفر الصادق بن محمد الباقر ، أحد الأئمة الأثني عشر عند الشيعة ، وسيد بني هاشم في زمانه توفي سنة ١٤٨هـ .

منِ انتقمَ انتصفَ ، ومن عفا تفضَّلَ ، ومن شفا غَيظَه لم يُذْكَرْ في النَّاسِ فضلُهُ .

من كظَمَ غيظَه فقد حَلُمَ ، ومَن حلُمَ فقد صبَرَ ، ومَن صبرَ فقد ظَفِرَ .

من طلبَ الدُّنيا بعملِ الآخرة خَسِرَهما ، ومن طَلبَ الآخرةَ بعمل الدُّنيا ربحَهما .

قال بعضهم : مَن مَلَكَ نفسَه عندَ أربعٍ حرَّمه اللّه على النَّار : حين يغضبُ وحين يرغبُ ، وحين يَرْهَبُ ، وحين يَشْتَهي .

قال بكرُ بنُ عبدِ اللّهِ : مَن كان لهُ من نفسِهِ واعظٌ عارضَه ساعةَ الغفلةِ وحينَ الحَميَّةِ .

من أمّلَ أحداً هابَه ، ومن قصُرَ عن شيءٍ عابَهُ .

قيل لحكيم : مَنْ أسوأ النّاس حالاً ؟ قال : من لم يثقْ بأحدٍ لسوءِ ظَنِّه ، ولا يثقُ به أحدٌ لسوءِ أثَرِهِ .

قيل لبعضهم : من أحبُّ النَّاس إليكَ ؟ قال : من كَثُرَتْ أياديه عندي قال : فإن لم يكنْ ؟ قال : مَن كَثُرَتْ أياديَّ عندَه .

كان يُقال : من طالَ صمتُه اجتَلَبَ من الهيبةِ ما ينفعُه ، ومن الوحشةِ مالا يضرُّه .

من طلب موضعاً لسِرِّهِ فقد أفشاهُ .

قيلَ لحكيم : مَن أنعَمُ النَّاسِ عيْشاً ؟ فقال : من كُفِيَ أمرَ دنياه ، ولم يهتمَّ بأمرِ آخرتهِ .

وقيل : من زاد عقلُه نقَصَ حظُّه . وما جعلَ اللّهُ لأحدٍ عقْلاً وافراً إلاّ احتَسَبَ عليه مِنْ رِزْقِهِ .

مَن قال : لا أدري . وهو يتعلَّمُ أفضلُ مِمَّنْ يدري وهو يتعظَّمُ .

مَن انتحلَ من العلمِ الغايةَ لم يكنْ لجهلهِ نهايةٌ .

من يَدَّعِ العلمَ جُلَّهُ أعقلُ ممّن يدّعيه كُلَّهُ .

مَن جاعَ باعَ .

من أحسنَ الاستماعَ استعجلَ الانتفاعَ .

من حَلُمَ سادَ . من اعترفَ بالجريرَةِ فقد استحقَّ الغفيرةَ (١) .

---

(١) الغفيرة والغفران بمعنى واحد .

مَن رَغِبَ عن الإخوانِ جَسُرَ على الزّمانِ .
من اتّبعَ هواهُ أضلّهُ .
من جَهِلَ النِّعَمَ عرفَ النِّقمَ .
من كانت له فكرةٌ فله من كلِّ شيءٍ عبْرَةٌ .
من انتهزَ الفرصةَ أمِنَ الغُصَّةَ .
من سكتَ فسلِمَ كان كمن قال فغَنِمَ .
من كَرِهَ النطاحَ لمْ ينل النّجاحَ .
من كان له من نفسه واعظٌ كان له من اللّهِ حافِظٌ .
من كساه الحياءُ ثوبَه ، حجبَ عن العيون عَيْبَهُ .
من كَرُمَ محتدُه حَسُنَ مَشْهدُهُ .
من خَبُثَ عُنْصُرُه ساءَ مَحْضَرُه .
من خانَ هانَ .
من أدمنَ قرعَ الباب ولَجَ .
من استوطأ مركبَ الصّبرِ فلَجَ(١) .
من أخذَ في أموره بالاحتياطِ سَلِمَ من الاختلاطِ .
من نَشَرَ صبرَه طوى أمرَه .

---

(١) فلج : ظفر .

منِ امتنَّ بمعروفه أفسدَهُ .

من قلَّ حياؤه كَثُرَ ذَنْبُه .

من لانَ عودُه كَثُرَتْ أغصانهُ .

من حَسُنَ خلقُه كَثُرَ إخوانُه .

من يُبْرِئ بصيرتَكَ من العَمى أكملُ ممَّن يُصِحّ بصرَك من القَذَى .

مَنْ غرَّه الشبابُ تقطّعت به الأسبابُ .

من ختَمَ البِضَاعَةَ أَمِنَ الإضاعةَ .

من نَظَرَ بعينِ الهوى حارَ ، ومن حَكَمَ بحُكْمِ الهوى جارَ .

من ساءَ خلقُه عذَّبَ نفسَه . من أحبَّكَ نَهاكَ ، ومن أبغضَكَ أغراكَ . من أحسنَ الاعتذارَ استوجبَ الاغتفارَ .

من طال صبرُه ضاقَ صدرُه .

من احتاجَ إليكَ ثقُل عليكَ .

من زرعَ شيئا حَصَدَهُ ، ومن قدَّمَ خيراً وجدَه .

مَن تنزّه عن المطامعِ لم يُعْتَبدْ .

من لم يحتمل بشاعةَ الدواء دامَ ألمهُ .

من تَعلّل بالمُنى أفلس .

مَن اغتاب خَرَقَ ، ومن استغفرَ رَقّعَ .

من بَخُلَ عليك ببِشرِه لم يَجُدْ عليك ببِرِّه .

من كَفَّ عنك شرَّه فاصنعْ به ما سرّه .

من تشاغَلَ بالسّلطانِ لم يتفرّغْ إلى الإخوان .

من اسْتَغْنَى برأيه فقد خاطَرَ .

من عرف الأيّامَ لم يُغْفِلِ الاستعدادَ لها . من أحبَّ مَنْ لا يعرفهُ فإنما يُمازحُ نفسه .

من حصَّنَ شَهْوَتَهُ صانَ قدرَه . من ضاقَ خلقُه ملّه أهلُه .

من تقدَّمَ بحُسْنِ النيّةَ بَصَّرَهُ التّوفيقُ . من قاربَ النّاس في عقولهم سَلِمَ من غَوائِلهمْ . مَن التحَفَ بالقناعة حالفَه العزّ

من كانت له إلى الناس حاجةٌ فقد خُذِلَ .

منْ عالجَ الشَّوقَ لم يستبْعِدِ الدّارَ . من يزرع الشّوكَ لا يحصد به العنب .

من اطمأنَّ قبلَ الاختبارِ ندمَ .

منْ وصَلَكَ وهو مُعْدِمٌ(١) خيرٌ ممّن جفاكَ وهو مُكْثِرٌ .

من لم يغضِ على القذى لم يرضَ أبداً .

من تقلّبتْ به الأحوالُ علم جواهرَ الرّجال .

من حفظَ ماله فقد حفظَ الأكرَمَيْنِ : الدِّينَ والعِرضَ .

من تأدّبَ صَغيراً انتفعَ كبيراً .

من عَدَلَ سَفيها عرَّضَ للشتمِ نَفْسَهُ .

مَنْ زَنَى زُنِيَ به .

من عتَبَ على الدهرِ طالتْ معتبتُه .

من سألَ فوقَ قدرِه استحقَ الحرمانَ .

من شتمَ حليماً رجعَ ذَميماً .

من كَفَرَ النِّعمةَ مُنِع الزِّيادةَ .

---

(١) المعدم : الفقير أو قليل المال .

مَن لم يُدارِ عيشَه ماتَ قبل أَجَلِهِ .

من لاحَى الرِّجالَ ذهبتْ كرامتُه . من اتَّخذَ التَّقْوَى صاحباً كانتْ له رِدْءاً من المُلِمَّاتِ .

من كَتَم الأطبّاءَ مرضَه فقد غَشَّ نفسه .

من أَحَبَّ أنْ يصرِمَ أخاه فَلْيُقْرِضْه ثم يَتقاضاه .

مَن أحبَّك لشيء زال حبُّه بزوالِه .

مَن قال في الناسِ ما يكرهونَ قالوا فيه مالا يعلمون .

من طلبَ ما عندَ السلطانِ بالغِلْظَةَ لم يزدَدْ منه إلا بُعْداً .

من عاملَ الناسَ فلم يظلمْهم ، وحدَّثهم فلم يكذبْهم ، ووعدَهم فلم يُخلفْهم ، فقد حَرُمتْ غيبتُه ، وكَمُلَتْ مُروءتُه ، وظَهرتْ عدالتُه ، ووجبتْ أُخُوتُه .

من استحيا من غَيرِه ولم يَسْتَحْيِ من نفسه فليسَ لنفسِهِ عنده مقدارٌ .

من أدَّبَ ولدَه صَغيراً سُرَّ به كبيراً .

من كَثُرَ خيرُه كثرَ زائِرُه .

من أطال الحَديثَ عَرَّضَ نفسَه للملالَة وسوءِ الاستماعِ .

من أظهرَ شُكْرَكَ فيما لم تأتِ إليه فاحذر أنَ يَكْفُرَ نعمتَكَ فيما أسديتَ إليه .

مَن تحدَّثَ بحديثٍ قبل أن يتدبَّره لم يسلمْ من عيبه .

من نَظَرَ في العواقبِ لم يَشْفِ غيظَه .

من زوَّج كريمتَه من سَفيهٍ فقد عقَّها .

من مَنع بِرَّهْ قلَّ أنصارُهُ .

من أطلقَ لسانَه أهدرَ دمه .

من تذكَّرَ قُدْرَةَ اللّهِ عليهِ لم يستعملْ قُدْرتَه في ظلم عبادِه .

من منعَ النَّاسَ ما يريدُ منهم مثلَه ظلمَ نفسَه .

من استقصىَ على النّاسِ قلَّ صديقُه ، ومن أغضَى على العوراء(١) سَهُلَ طريقُه .

---

(١) العوراء : الكلمة القبيحة .

من نظر في دينه إلى من هو فوقه يستصغرُ عملَه ، ونظر في دنياه إلى من هو دونَه ليستكثرَ ما أعطى فقد وُفِّقَ لحظّه .

قال يَحيى بنُ أكْثَمَ : من لم يَرْجُ إلا ما هو مُسْتَوجِبٌ كان قَمِنا أن يُدركَ حاجتَه . من عَرَف ثمار الأعمالِ فهو جَديرٌ ألاّ يغرس ألا طَيِّباً . من صحِب الحُكماءَ ظَفر بحُسنِ الثّناءِ .

من اغترّ بالعدوِ الأريبِ خان نفسَه .

من عَدِم مالَه أنكره أهلُه ومعارفُه . من جانب هواه صحّ رأيُه .

من عاقب بريئا فنفسَه عاقَب .

من عَرَضتْ له بَليِّةٌ رُحِم ، ومن جناها ذُمَّ .

من لم يجلس في شَبيبته حيثُ يَهوَى جلسَ في كِبَرِه حيثُ لا يهوى .

من لم يركبِ المصاعبَ لم ينل الرّغائبَ .

من كان أغلبْ حصاله عليه الإحسانَ اغتُفِرَتْ زَلَّتُه ، وأُقيلتْ عَثْرتُه .

مَن ردَّ الكرامةَ نصبَ شَرَكاً وثيقاً للعداوة .

من بخل بدينه عَظُمَ ربحُه .

من قاهَرَ الحقَّ قُهِرَ .

من تركَ التّوقّي فقدِ استسلمَ لقضاءِ السُّوءِ .

من لم تؤدّبه المواعظُ أدّبتْهُ الحوادثُ .

من تعوَّدَ الكفايةَ لم يعرفْ مقدارَ الرّاحةِ .

من لم يعرفْ قدَره أوشك أن يَذِلَّ ، ومن لم يدبِّرْ مالَه أوشكَ أن يَفْتَقِرَ

من رَقَّ وجهُه رقَّ عِلْمُه .

من لم يتحرَّزْ بعقله من عقلِه هلكَ من قِبَلِ عقله .

من حُرِم العقلَ فلا خيرَ له ولا للنّاس في حياتِهِ ، ومن حُرِم الجُودَ فلا خيرَ له ولا للناسِ في سُلطانِه ، ومن حُرِم الفهم فلا خيرَ له ولا للنّاسِ في قَضائِه .

من رَضِيَ عنه الجميعُ المختلفُونَ استحقّ اسمَ العَقْلِ .

* * *

الباب السابع

في سياسةِ السُّلطانِ وأدبِ الرَّعيَّةِ

قال بعضُ الحكماء : إنّ قلوبَ الرّعيّةِ خزائنُ واليها فما أودعَه وجدَه فيها .

قالوا : صنفانِ متباينانِ إنْ صلُحَ أحدُهما صلحَ الآخرُ : السلطانُ والرعيّةُ .

قال بعضُ الحكماء : إذا صحبتَ السلطانَ فلتكنْ مداراتُكَ له مداراةَ المرأةِ القبيحةِ لزوجها ؛ فإنّها لا تدعُ التّصنّعَ له في كلِّ حالٍ .

قال الأعمشُ : إذا رأيتَ العالِمَ يأتي بابَ السلطان فاعلمْ أنه لِص . قال بعضُ الحكماءِ : ليُغلِقِ السلطانُ بابَ الأنسِ بينَه وبين كُفاتِهِ الّذين تنفُذُ أمورُهم في ملكه ؛ فإنّ مؤانستَه إيّاهم تبعثُ عليه بهم الجرأةَ وعلى الرّعيّةِ الغشمَ .

قالوا : صنفانِ لو صلُحا صلُحَ جميعُ الناسِ الفقهاءُ والأمراءُ .

قيل : مَنْ داخلَ السلطانَ يحتاجُ أن يدخلَ أعمى ويخرجَ أخرسَ .

قيل للعتّابي : لم لا تقصدُ الأميرَ ؟ قال : لأنّي أراه يُعطي واحدا لغيرِ حَسَنَةٍ ولا يدٍ ، ويقتلُ آخرَ بلا سيّئةٍ ولا ذنبٍ ولستُ أدري أيَّ الرجلين أكونُ أنا ، ولستُ أرجو منه مقدار ما أُخاطرُ به .

قيل : العاقلُ مَنْ طلبَ السّلامةَ من عملِ السلطانِ ، إن عفَّ جنى عليه العفافُ عداوةَ الخاصَّةِ ، وإن بَسَطَ جنى عليه البَسْطُ ألسنةَ العامةِ .

قال سعيدُ بن حُميد : (١) مجلسُ السلطانِ كالحمَّامِ ؛ مَنْ فيه يريدُ الخروجَ ومن هو خارجٌ يريدُ الدخولَ فيه .

ابنُ المقفّعِ : إقبالُ السلطانِ تعبٌ ، وإعراضُهُ مَذَلَّةٌ .

---

(١) سعيد بن حميد ، شاعر عباسي ، من أولاد الدهاقين ، كان فصيح اللسان وعاش إلى أيام الواثق .

قالوا : ينبغي للملك أن يتفقّد أمرَ خاصته في كلّ يومٍ ، وأمرَ عامّته في كلّ شهرٍ ، وأمرَ سلطانه في كلّ ساعةٍ .

قال بعضهم : إذا كنتَ حافظاً للسّلطان في ولايتك ، حذِراً منه عند تقريبه لك ، أميناً له إذا ائتمنكَ ، تَشْكُرُ لهُ ولا تكلّفه الشكرَ لكَ ، تعلّمه وكأنك تتعلمُ منه ، وتؤدبه وكأنّه يؤدّبك ، بصيراً بهواه ، مؤْثِراً لمنفعته ، ذليلاً إن ضامكَ ، راضياً إذ أعطاكَ ، قانعاً إن حرمكَ ، وإلاّ فابعَدْ منه كلّ البعدِ .

قال حكيمٌ : محلُّ الملِك من رعيّته محلُّ الرّوحِ من البدنِ ، ومحلُّ الرعيّةِ منه محلّ البدنِ من الرّوح . فالروحُ تألمُ لألمِ كلّ عضوٍ من أعضاءِ البدنِ ، وسائرُهُ لا يألمُ لألمِ غيره ، وفي فسادِ الروحِ فسادُ جميعِ البدنِ ، وقد يَفْسُدُ بعضُ البدن وغيرُه من سائرِ البدنِ صحيحٌ .

قال سهلُ بنُ هارون : ينبغي للنديمِ أن يكونَ كأنّما خُلِق من قلبِ الملكِ ؛ يتصرفُ بشهواته ، ويتقلّبُ بإرادته ، إذا جدَّ جدَّ ، وإذا تطلّقَ تطلّقَ ، لا يملّ

المعاشرةَ ، ولا يسأمُ المسامرةَ ، إذا انتشى تحفّظَ ، وإذا صحا تيقّظَ ويكونُ كاتماً لسرِّه ، ناشراً لبرِّه ، ويكونُ للملِكِ دونَ العبدِ ؛ لأنَّ العبدَ يخدمُ نائباً والنَّديمُ يحضرُ دائباً .

كان مسروقٌ بنُ الأجدعِ (١) ينهى عن عملِ السلطانِ ، فدعاه زيادٌ وولّاه السلسلةَ ، فقيل له في ذلك ، فقال : اجتمع عليّ زيادٌ وشريحٌ والشيطانُ ، فكانوا ثلاثةً وكنتُ واحداً فغلبوني .

قيل لبعضِ مَنْ يتصرّفُ مع السلطانِ : لا تصحبْهم (٢) ؛ فإنّ مثَلَهم مثَلُ قِدْرٍ أسودَ كلّما مسّه إنسانٌ سوّده . فقال : إن كان خارجُ القدرِ أسودَ فانّ داخلَه لحمٌ سمين ، وطعام لذيذ .

كان يُقال : لا سلطانَ إلّا برجالٍ ، ولا رجالٌ إلّا بمالٍ ، ولا مالَ إلا بعمارةٍ ، ولا عمارةَ إلّا بعدلٍ وحُسْنِ سياسةٍ .

---

(١) مسروق بن الأجدع الهمداني ، أدرك الجاهلية ، وهو تابعي مات سنة ٦٣ هـ .

(٢) اي السلاطين .

قال بعضُ الملوكِ في خطبته : إنما نملكُ الأجسادَ لا النيّاتِ ، ونحكُم بالعدلِ لا بالرضا ، ونفحصُ عن الأعمالِ لا عن السرائرِ .

قيل : أفضلُ ماعُوشِرَ به الملوك قِلَّةُ الخلافِ وتخفيفُ المؤونةِ .

قيل : لايقدرُ على صُحبةِ السلطانِ إلاّ مَنْ يَستثقِلُ لما حملوه ، ولايُلحفُ إذا سألهم ، ولايغتر بهم إذا رضُوا عنه ، ولا يتغيرُ لهم إذا سَخطوا عليه ، ولا يطغَى إذا سلّطوه ، ولا يبطَرُ إذا أكرموه .

قال فيلسوفٌ : إذا قرّبَك السلطانُ فكنْ منه على حَدِّ السِّنانِ ، وإن استرسلَ إليكَ فلا تأمنْ انقلابَه عليكَ ، وارفُقْ به رفقكَ بالصَّبِيِّ ، وكلِّمْه بما يَشتهي .

ودخلَ يزيدُ بنُ عمرَ بنِ هُبَيرةَ (١) على المنصورِ فقال له : ياأمير المؤمنين ، توسَّعْ توسُّعاً قُرشياً ، ولاتَضِقْ ضِيقاً حِجَازيا . وقال : ياأميرَ المؤمنينَ ،

---

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراقين لمروان بن محمد ، كان جوادا كريما ، وقتل سنة ١٣٢هـ .

إنَّ سلطانَكم حديثٌ ، وإمارتكُم جديدةٌ ، فأذِيقوا النَّاسَ حلاوةَ عَدْلها ، وجنِّبوهم مرارةَ جَوْرِها(١) ، فو اللهِ ياأميرَ المؤمنينَ لقد مَخَضْتُ(٢) لك . ثم نهضَ فنهضَ معه تسعُمائةِ من قَيْسٍ ، فأتْأرَه(٣) المنصورُ بصرَه ثم قال : لايعزُّ مُلكٌ فيه مثلُ هذا .

قالوا : عَدْلُ السلطانِ أنفعُ للرَّعيةِ من خِصْبِ الزَّمانِ .

كان الفضلُ بنُ الرَّبيعِ يقول : مساءلةُ الملوكِ عن أحوالهم من كلامِ النَّوْكَى(٤) ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبَح الأميرُ ؟ فقلْ : صبَّحَ اللهُ الأميرَ بالكرامةِ . وإنْ أردتَ أن تقولَ كيفَ يجدُ الأميرُ نفسَه ؟ فقل : وَهَبَ اللهُ للأميرِ العافيةَ ونحو هذه الأشياء فإنَّ المسألةَ توجِبُ الجوابَ فإن لم يجبْكَ اشتدَّ عليكَ وإنْ أجابَكَ اشتدَّ عليه .

---

(١) الجور : الظلم .

(٢) مخض الرأي : قلبه وتدبر عواقبه . والمقصود هنا : نصحت لك .

(٣) أتأره النظر : أتبعه إياه .

(٤) النوكى : الحمقى .

قيلَ لابنِ عباسٍ : إن الناسَ قد فَسدوا ولا يُصلحهُم إلاّ الشرُّ . قال : باللهِ الذي لا إلهَ إلاّ هُو لَلجَوْرُ أشبُّ للشَّرِّ ، والعدلُ أطفأ للجورِ . وفي العدلِ كِفايةٌ ، وإليه انتهتِ السّياسةُ . وقد يصيبُ الوالي في رعيّتهِ بأربَعٍ من نفسِهِ وأربَعٍ من أنفسهم ، فأمّا الأربعُ اللّواتي منهمْ فالرّغبةُ والرّهبةُ والأمانةُ والنصيحةُ . وأمّا الأربعُ اللّواتي من نفسِهِ فإعطاءُ مَنْ نَصَحه ، والجزاءُ لمن أبْلاهُ ، وعقوبةُ ذي الذنبِ بقَدْرِ ذَنْبِهِ ، والتَّنْكيلُ بمن تَعَدَّى أمرَه . فإن هو لم يفعلْ ذلك وتراخَى ابتُلِيَ منهم بأربعٍ : بالغِشِّ والخذلانِ والخيانةِ والنَّكدِ .

قيل : لِيَعْلَمْ من نالَ شرفَ المنزلةِ من السلطانِ وهو دنيُّ الأصلِ أنه ثأرُ الأشْرافِ ، وأنه لانجاةَ له منهم إلا أن يَغْمُرَهم بالإحسانِ إليهم .

إذا كان الملكُ ضعيفاً ، والوزيرُ شَرِهاً ، والقاضي كَذوباً ، فرقوا المُلْكَ شعَاعاً(١) .

---

(١) شعاع : متفرق .

إذا قنعَ الملكُ بإفسادِ دينه لم تقنعْ رعيَّتُه إلا بإزالةِ مُلْكِهِ .

ظلمُ الرعيةِ استجلابُ البليّةِ .

أحزمُ الملوكِ من ملَكَ جِدُّهُ هزْلَه ، وقهرَ رأيُه هواه ، وعبّرَ عن ضميرِه .

دخلَ أبو مُجَلِّزٍ(١) على قُتيبةَ بخراسانَ وهو يضربُ رجُلاً بالعصا فقال : أيُّها الأميرُ ، إنّ اللهَ جعلَ لكلِّ شيءٍ قَدْراً ، ووقتَ له وقتاً ، فالعصا للأنعامِ والهوامِ والبهائمِ العظامِ ، والسَّوطَ للحدودِ(٢) والتّعزيرِ(٣) ، والدِّرَّةُ للأدبِ ، والسيفَ لقتال العدوّ والقَوَدِ(٤) .

قالوا : عمَلُ السلطانِ حديثٌ فكنْ حديثاً حسناً .

---

(١) أبو مجلز لاحق بن حميد البصري أحد علماء البصرة ، وكان ينزل خراسان . توفي سنة ١٠٧هـ .

(٢) أي لمعاقبة الذين يستحلون ماحرم الله كشرب الخمر أو غير ذلك من المحرمات .

(٣) التعزير : تأديب المذنب تأديبا لا يبلغ الحد الشرعي .

(٤) القود : القصاص .

إذا ضيعَّت الملوكُ سننَ أديانها فلتعلمْ أنَّها تهدمُ أساسَ مُلكِها .

لاينبغي للملكِ أن يكونَ سفيها ومنه يُلتمسُ الحِلْمُ ، ولاجائراً ومنه يُلتمسُ العَدْلُ .

إذا لم يُثِبِ (١) الملكُ على النَّصيحةِ غشَّتْه الرعيَّةُ .

وفدَ على معاويةَ عُبيدُ بنُ كعبٍ النُّمَيريّ فسأله عن زيادٍ وسياستِه فقال : يَستعملُ على الجدِّ والأمانةِ دونَ الهوى ، ويعاقبُ فلا يعدُو بالذَّنبِ قدرَه ويَسْمُرُ ليستجمّ بحديثِ الليلِ تدبيرَ النَّهار قال : أحسن . إن التثقيلَ على القلبِ مَضَرةٌ بالرأي . فكيف رأيُه في حقوقِ النّاسِ فيما عليه ولَهُ ؟ قال : يأخذُ مالَه عفواً ويُعطي ماعليه عَفوا . قال : فكيف عطاياه ؟ قال : يعطي حتّى يقال جوادٌ ، ويمنعُ حتى يقال بخيلٌ .

قالوا : التذلّلُ للملوكِ داعيةُ العزِّ والتعززُ عليهم ذلُّ الأبدِ .

---

(١) أثاب : كافأ .

كثرةُ أعوان السّوءِ مَضَرّةٌ للأعمالِ .

الدّالةُ على الملوك تُعرِّضُ للسّقوطِ .

خيرُ الملوك من مَلَكَ جَهْلَه بحِلْمِه ، وخَرَقَهُ برِفقِه ، وعَجَلَتَه بأناتِه ، وعُقوبتَه بعفوِه وعاجِلَه بمراقبةِ آجِلِه ؛ وأمْنَ رَعيَّتِه بعدلِه ، وسدّ ثُغورِهم بهيبتِه ، وجَبْرَ فاقتهم بجُودِه . يَعْلمُ وكأنَّه لايعلمُ ، ويحسمُ الدّاءَ مِنْ حيثُ استبْهَمَ .

السلطانُ في تَنَقُّلِه وتنقّلِ الناسِ معه كالظلِّ الذي تأوي إليه السّابلةُ .

شدّةُ الانقباضِ من السلطانِ تورثُ التُّهمةَ ، وسهولةُ الانبساطِ تورثُ الملالةَ .

من سعادةِ جَدِّ(١) المرءِ ألاّ يكون في الزمانِ المختلط مُدَبّراً للسّلطانِ .

من سَكَراتِ السلطانِ أن يرضَى عمّن استوجَبَ

---

(١) الجد : الحظ .

السُّخطَ ، ويسخطُ على من استوجبَ الرِّضَا من غير سَبَبٍ مَعلومٍ .

بلغ بعضَ الملوك حُسنُ سياسةِ مَلِكٍ فكتبَ إليه :

قد بَلغتَ من حُسنِ السّياسة مَبْلَغاً لم يبلغْه مَلِكٌ في زمانك ، فأفدني الذي بَلّغَكَهُ . فكتبَ إليه :

« لم أهزِلْ في أمرٍ ولانَهيٍ ، ولاوعدٍ ولاوَعيدٍ ، واستكفيتُ أهلَ الكِفايةِ ، وأثَبْتُ على الغَنَاء لا على الهَوى ، وأودعتُ القلوبَ هيبةً لم يشُبْها مَقْتٌ(١) ، ووُداً لم يَشُبْهُ كَذِبٌ ، وعَمَمْتُ بالقُوت ومنعتُ الفُضولَ(٢) » .

أمران جليلانِ لا يَصْلُحُ أحدُهما إلاّ بالتَفَرُّدِ به ، ولا يصلحُ الآخرُ إلا بالتعاونِ عليه : وهما المُلْكُ والرأي ، فإن استقامَ المُلْكُ بالشّركاءِ استقامَ الرّأيُ بالتفرّد به .

لاشيءَ أهلكُ للسّلطانِ من صاحبٍ يُحسن القولَ ولا يُحسنُ العملَ .

---

(١) لم يشبها مقت : لم يخالطها بغض .

(٢) الفضول : مالا فائدة فيه .

اصْحَبِ السلطان بإعمال الحذر، ورفض الدّالة، والاجتهاد في النُّصْح واصْحَبْهُ بثلاثٍ: بالرّضا والصّبر والصّدق.

اعلمْ أنّ لكلّ شيء حدّاً، فما جاوزه كان سَرَفاً، وما قصَّر عنه كان عَجْزاً. فلا تبلغْ بك نصيحةُ السلطان أن تُعادي حاشيتَه من أهله وخاصّته؛ فإنّ ذلك ليس من حقّه عليك. ولكنَّ أقْضى لحقّه عنك، وأدْعى للسّلامة إليك أن تستصلح أولئك جَهدك، فإنك إذا فعلت ذلك شكرت نعمته، وأمنْتَ حُجّتَهُ، وفَلَلْتَ عدوّك عنده.

إذا جاريت عند السّلطان كُفْئا من أكفائك فلتكُنْ مجاراتُك إيّاه بالحُجّة، وإنْ عَضهَك (١)، وبالرفق وإن خَرُق بك؛ واحذرْ أن يستلجّك (٢) فتحمَى، فإنّ الغضب يُعمي عن الفرصة، ويقطعُ عن الحُجّة، ويُظهرُ عليك الخَصْمُ.

احترسْ أن يعرفَك السّلطانُ باثنين: بكثرة الإطراء

(١) عضه: كذب وادعى عليه الإفك.

(٢) يستلجك: يعادى في خصومتك.

للنّاس عنده ، وبكثرةِ ذمّهم ؛ فيعدّ ذلك غلاًّ منك فإنه إذا رأى كثرة إطرائك للنّاس وذمّهم ضرّ ذلك صديقك وإنْ كان حقّاً، وأمن عدوُّك كيْدك وإن كان مُعورا(١) وعليك بالقصد والتحرز ؛ فإنّه إن يعرفْك به كنت لعدوّك أضرّ ولصديقك أنفع .

لا تتوردْ على السّلطان بالدّالة وإنْ كان أخاك ، ولا بالحجّة وإن وثقت أنّها لك ، ولا بالنصيحة وإن كانتْ له دونك فإنّ السّلطان تعرضُ له ثلاثٌ : القُدرةُ دون الكرمِ ، والحميّةُ دون النّصفَةِ ، واللّجاجُ دون الحظّ .

سُئل بعضهم : أيُّ شيء أرفعُ بذكرِ الملوكِ ؟ قال : تدبيرُهم أمر البلاد بعدلٍ ، ومنعهم إيّاها بعزّ . قيل : فما الّذي على الملوك لرعيّتهم ، وما الّذي على الرعيّةِ لملوكهم؟ قال : على الملوك لرعيّتهم ماتأمنُ عليه أنفسُهم ويرغدُ عليه عيشُهم . وللملوكِ على رعيّتهم الشّكرْ والنّصيحةُ .

اِعلمْ أن الملوك تحتاجُ إلى الوزيرِ ، وأشجعُ الرّجالِ يحتاجُ إلى السلاحِ وأجودُ الخيلِ يحتاج إلى السّوطِ ، وأحدّ الشّفار يحتاج إلى المِسنّ .

صلاحُ الدّنيا بصلاحِ الملوكِ . وصلاحُ الملوك بصلاحِ

---

(١) معوراً : أعور الفارس : بدا فيه موضع خلل للطعن والضرب .

الوزراء ، ولا يصلحُ المُلْكُ إلاّ لأهله ولا تَصْلُحُ الوزارةُ إلاّ لمستحقّها .

خيرُ الوزراءِ أصلحهُم للرَّعيَّة ،وأصدقُهم نيَّةً في النَّصيحة، وأشدُّهم ذبّاً(١)عن المملكة ، وأشدُّهم بصيرةً في الطّاعة ، وآخذُهم لحقوقِ الرّعيةِ من نفسه وسلطانه .

ليس شيءٌ للملوك أوْلى بالفرحِ والسّرورِ به في مُلكها من سيرةٍ حَسَنَةٍ يسيرُونها ، وسُنّةٍ صالحة يُجرونها ، ووزيرٍ صالح يُؤيّدون به .

الوزيرُ الخَيِّر لا يرى أنَّ صلاحَه في نفسه كائنٌ صلاحاً حتّى يتّصل بصلاحِ المَلِك ورعيّته ، وتكون عنايتُه فيما عَطّفَ المَلِك على عامّته ، وفيما استعطف قلوب العامة على الطّاعةِ لملكه،وفيما قوّم أمرَ المَلِكِ والمملكةِ من تدبيرِه ، حتّى يجمع إلى أخذِ الحقّ وتقديمه عُموم الأمنِ والسّلامةِ ، ويجمع إلى صلاح الملك صلاح أتباعه وإذا طرقتِ الحوادثُ ، ودهَمَتِ العظائمْ ، كان للملك عُدّةً وعَتَادا ، وللرعية كَافياً محتاطا، ومن ورائها ذاباً ناصرا، يَعْنيه من صلاحها مالا يَعْنيه من صلاح نفسه دونها.

* * *

(١) الذب : الدفاع .

الباب الثامن

نوادرُ للنِّساء المَواجِنِ والجَواري

استعرض رجُلٌ جاريةً فقال : في يديكِ عمل ؟ قالت : لا ولكن في رِجليّ .

وأُدخل على المنصور جاريتانِ فأعجبتاه . . فقالت التي دخلت أولا : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله قد فضّلني على هذهِ بقوله : « والسّابقُون الأوّلُون » (١) فقالت الأخرى : لا بلْ قد فضّلني بقولهِ : « ولَلآخِرةُ خيرٌ لكَ مِن الأُولى » (٢) ،

طُلِبتْ جاريةُ محمود الورّاق (٣) للمعتصمِ بسبعةِ آلاف دينار ، فامتنع من بيعها ، واشْتُريتْ له بعد ذلك من ميراثه بسبعمائةِ دينار ، فذكر المعتصمُ لها ذلك يوما

---

(١) سورة التوبة : ١٠٠ .

(٢) سورة الضحى : ٤

(٣) محمود الوارق شاعر عباسي له حكم وأمثال ومواعظ ، توفي في حدود المائتين والثلاثين .

فقالتْ : إذا كان الخليفةُ ينتظرُ بشهواته المواريث فسبعونَ ديناراً في ثمنِي كثيرٌ . فكيف سبعمائة ؟

وطلب آخرُ من عشيقته خاتماً كان معها فقالتْ : يا سيّدي هذا ذهبٌ وأخافُ أن تذهب ، ولكن هذا العودُ حتى تعودَ .

وقال بعضهم لأخرى: أرى شفتَكِ مُتشققةً ، فقالت : التينُ إذا احْلَوْلى تشقق .

عُرِضَتْ على المعتزّ (١) جاريةٌ فقال لها : ما أنتِ من شَرْطي قالت : ولكنك من شَرْطي واللهِ . فاشتراها وحَظِيَتْ عنده .

غاب رجلٌ عن امرأته ، فبلغها أنه اشترى جارية ، فاشْتَرتْ غلامَين ، فاتّصل الخبرُ بزوجها ، فجاء مُبادراً وقال لها : ما هذا ؟ فقالت : أما علمت أن الرَّحَا إلى بغلين أحوجُ من البغلِ إلى الرحا . بعِ الجارية حتّى أبيع الغلامين ففعل ذلك .

خطب ثُمامةُ العَوفيُّ امرأةً فسألتْ عن حرفته فكتب إليها :

---

(١) الملك : ما يملك ، أي يمضغ من صمغ الصنوبر والفستق ونحوهما .

وسائلةٍ ما حِرْفَتي ؟ قلتُ : حِرْفَتي
مقارعَةُ الأبطالِ في كلِّ مأْزقِ

وضربي طُلى الأبطالِ (١) بالسّيفِ مُعْلِماً
إذا زحفَ الصَّفّانِ تحت الخوافقِ

فلمّا قرأت الشعر قالتْ للرسول : قل له : فديتُكَ أنتَ أسدٌ فاطْلُبْ لنفسكَ لَبْؤَةً ؛ فإني ظَبْيَةٌ أحتاجُ إلى غَزالٍ .

قال رجلٌ لجارية اعترضها – وكان دميماً فكرهته وأعرضتْ عنه : إنما أريدُكِ لنفسي . قالت : فمن نفسك أفِرُّ .

وذكر بعضُهم قالَ : مرَّت بي امرأةٌ وأنا أصلي في مسجدِ رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم ، فاتقيتُها بيدي ، فوقعتْ على فَرْجِها فقالت : يا فتى ، ما أتيتَ أشدُّ ممّا اتّقَيْتَ .

دخلتْ عَزَّةُ على عاتكةَ بنتِ يزيدَ فقالتْ : أخبريني عن قولِ كُثَيّرٍ :

---

(١) الطلى : جمع طلية وهي العنق أو أصوله .

قَضَى كلُّ ذِي دَيْنٍ فوفَّى غريمَه
وعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنَّىً غَرِيمُها

ما هذا الدَّيْنُ الَّذي كُنتِ وعدتِه ؟ قالت : كنتُ وعدتُه قُبْلةً ، فلم أفِ له بها . فقالت : هلاّ أنجزتِها له وعليَّ إثمها .

وقال عُقيلُ بنُ بلال : سمعتني أعرابيةٌ أُنشد :

وكَمْ ليلةٍ قد بِتُّها غيرَ آثِمٍ
بمهضومةِ الكَشْحَيْنِ ريَّانةِ القُلْبِ(١)

فقالت لي : هلاّ أثِمت أخزاك الله .

* * *

(١) القلب : السوار .

الباب التاسع

نَوادِرُ القُصّاصِ *

قيل لأبي القُطوفِ وكان يُفتِي ويُحدِّثُ ويَقُصُّ وهو قاضي حَرّان . ماترى في السّماعِ ؟ فقال : أما على الخَسْفِ (١) فلا . وقيل له : ماتقولُ في نبيذِ العَسل ؟ قال : لاتشرْبه . قيل : ولمَ ؟ أحَرامٌ هو ؟ قال : بل هو نعمةٌ لاتقومُ بشكرِها .

وقيل لِطِرْبال : ماتقولُ في الإبط يُمَسّ ، أيُتوضأ منه ؟ قال : يابنْ أخٍ ، كما يكونُ الإبطُ يُغْتَسلُ منه .

وكان أبو سِنانٍ السَّدُوسيُّ يقولُ : فلانٌ عندِي أكْفَرُ من رامَهُرْمُز .

(*) حافظ المؤلف على كلام القصاص على الرغم ما فيه من تخليط . والقصاص : مفردها : قاص ، وهو من يجلس في مسجد للوعظ .

(١) السماع على الخسف : على غير أكل .

وبكى حوله ولده وهو يريدُ مكّةَ فقال : لاتبكوا ، بأبي أنتم . فإنّي أريدُ أن أضحّي عندكم .

قال أبو عثمانَ : وكان عندنا قاصٌّ يقال له : أبو موسى فأخذ يوماً في ذِكْرِ قِصَرِ أيّام الدّنيا وطُولِ أيّام الآخرةِ ، وتصغيرِ شأن الدنيا وتعظيمِ شأن الآخرة ، فقال : هذا الذي عاشَ خمسينَ سنةً لم يعشْ شيئا وعليه فضلُ سنتين ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : خمسٌ وعشرونُ سنة ليلٌ هو نائمٌ فيها ، لايعقلُ قليلاً ولاكثيراً ، وخمسُ سنين قائلةٌ(١) ، وعشرُون سنةً إمّا أن يكونَ صبياً ، وإمّا أن يكونَ معهُ سُكْرُ الشّبابِ وهو لايعقلُ ، ولابدَّ من صُبحةٍ بالغداةِ ، ونَعْسَةٍ بين المغربِ والعشاء ، وينالهُ فيها كالغَشْيِ الذي يصيبُ الإنسانَ مرارا في دهره ، فإذا حصَّلْنا ذلك فقد صحَّ الذي عاش خمسين سنة لم يعشْ شيئاً وعليه فضلُ سنتين .

قرأ سيفويه القاصُّ : « ثُمَّ في سِلْسلةٍ ذرَعُها

(١) قال : نام وسط النهار .

تسعونَ ذراعاً » فقيل له : فإن اللهَ يقولُ : « سَبْعُون ذراعاً(١) » ، وقد زدت أنت عشرين ذراعا فقال : نعمْ هذه عشرات ابُغا(٢) ووصيف(٣) ، فأمّا أنتم فيكفيكم شريطٌ بدانقٍ ونصفٍ .

سأل واحدٌ سيفويهِ عن حفْظه القرآنَ فقال : أحفظُه آيةً آيةً ، قيل له : فما أوّلُ الدُّخانِ ؟ قال : الحطبُ الرَّطْبُ .

وكان أبو كعبٍ القاصُّ يقول في دعائه : اللّهمّ صلّ على جبريلَ ، واغفرْ لأمنا عائشةَ ، وعافني من وجعِ البَطْنِ .

كان أبو عقيلٍ القاصُ يقول : الرَّعْدُ مَلَكٌ أصغرُ من نحْلةٍ وأعظمُ من زُنبور . فقالوا : لعلّكَ

---

(١) الآية : « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه » سورة الحاقة : ٣٢ .

(٢) بغا الشرابي : قائد تمرد وطغى واستبد في الدولة العباسية قتل سنة ٢٥٤ هـ .

(٣) وصيف التركي أكبر أمراء الدولة في عهد المعز ، استصفى أمواله المعز ، وسجنه وقتل وصيف سنة ٢٥٣ .

تريدُ أصغرُ من زنبور وأعظمُ من نحلة . فقال : لو كان كذا لم يكن بعجبٍ .

وسأله رجلٌ وهو في الجامع عن مسألةٍ في الحيْضِ لم يعرفْها فقال : ويلك . خرِّجْ هذه القاذوراتِ من المسجدِ حتى نخرجَ .

وكان بعضهم يقول : اللّهم اغفر لنا كلَّ نعمةٍ وحسنةٍ ، واحشُرني في جملة سيّدي أبي عبدِ اللهِ بنِ حنْبلٍ ، ولا تغفرْ للرّافضةِ .

كان بعضهم يقولُ . يامعشرَ النّاسِ ، إنّ الشيطانَ إذا سمّى الإنسانُ على الطّعام والشّرابِ لم يأكلْ معه . وإذا لم يُسَمِّ أكلَ معه ، فكلوا خُبزَ الأرْزِ والمالحِ ولاتسمّوا ليأكل معكم ، ثم اشربوا وسمّوا ليموت عطَشاً .

حلَقَ بعضهم لحيته وقال : إنّها نبتت على المعصية .

وكان بعضُهم يحجُّ عن حمزةَ ويقول : استُشْهِد قبل أن حجّ ، ويضحّي عن أبي بكرٍ وعُمَرَ يقولُ أخطأَ السُّنّة في تركِ الأضحيةِ .

وقَيَّدَ آخرٌ إحدى عينيه وقال : النَّظر بهما إسرافٌ .

وكان بعضُ القصّاص يتشددُ في خَلْقِ القرآنِ ، فسُئِلَ عن معاويةَ : هل كان مخلوقاً ؟ فقال : كان إذا كتبَ الوحيَ غيرَ مخلوق ، وإذا لم يكتبْ كان مخلوقا .

قال بعض القُصّاص يوما : ياقومُ ، هل علمتم أنّ الله قد ذكرَ الهَريسَة في القرآن لفضلها ؟ فقالوا : أين ذكرها ؟ فقال : اذْبَحُوا بَقَرَةً(١) « واضْرِبوهُ ببَعْضِها(٢) » ، « وفار التَّنُّور(٣) » : « ولتركَبُنَّ طبقاً عَنْ طبَق(٤) » .

سأل رجلٌ سيفَوَيهِ القاصَّ : ماالغِسْلِين(٥) في كتابِ الله تعالى ؟ فقال : على الخبيرِ سقطت . سألتُ عنهُ شيخاً من فقهاءِ الحجازِ مُنذ أكثرَ من ستين سنةً فقال : لا أدري .

---

(١) الآية : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » « سورة البقرة » : ٦٧.

(٢) سورة البقرة : ٧٣ .

(٣) سورة هود : ٤٠ .

(٤) سورة الانشقاق : ١٩ .

(٥) في الآية : « ولاطعام إلا من غسلين » سورة الحاقة : ٣٦ .

وجاءت امرأةٌ إلى واحدٍ منهم فقالت : ياجعفرُ ، مريمُ بنتُ عِمرانَ كانت نبيّةً ؟ قال : لا يافاعلةُ . قالت له : فإيش كانتْ ؟ قال : كانت ملائكةً .

كان عبدُ الأعلى قاصاً : فقال يوماً : تزعمون أنّي مُراءٍ ، وكنتُ واللهِ أمسِ صائماً ، وقد صُمتُ اليومَ وماأخبرتُ بذلك أحداً .

ومرّ عبدُ الأعلى بقوم وهو يتمايل سُكراً فقال إنسان : هذا عبدُ الأعلى القاصُّ . فقال : ماأكثرَ من يُشتَبِهني بذلك الرّجلِ الصّالحِ !

قال قاصٌّ بالمدينةِ في قصَصه : ودّ إبليسُ أن لكلِّ رجلٍ منكم خمسين ألفَ درهمٍ يَطغى بها . فقال رجل من القوم : اللّهمّ أعطِ إبليسَ سؤُله فينا .

حُكي عن شيخٍ منهمْ ببغداد كان يُعرف بختَنْ حمامَة أنّه كان يقولُ : خلفاءُ الله في الأرضِ ثلاثةٌ : آدمُ لقوله : « إنّي جاعلُك في الأرضِ خليفةً »(١)

---

(١) هكذا كتبت والآية : وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » سورة البقرة : ٣٠ .

وداودُ : « إنّا جعلناكَ خليفةً في الأرضِ(١) » وأبو بكر ، لقول الأمةِ : أيا خليفةَ رسولِ اللهِ .
والأمناءُ ثلاثةٌ : جبريلُ لأنّه تحمّل عن اللهِ ، ومحمدٌ لأنّه بلّغَ الأمةَ ، ومعاويةُ لأنّه كتب الوحيَ .

وبلغَ من عقلِه أنه رأى عقرباً في داره فقال لها : يامشؤومة ، اخرجي لاتقتلْكِ أمّي .

وكان مولعاً بإطعامِ الكلابِ ويقول إذا أطعمها : هؤلاءِ أولى من الرافضةِ .

قال الأصمعي : اختصمتِ الطفاوةُ وبنو راسبٍ في صبيٍّ يدّعيه كلُّ واحدٍ من الفريقين إلى ابنِ عرباضٍ ، فقال : الحُكْمُ في هذا بيِّنٌ . قالوا : وماهو ؟ قال : يُلْقى الصبيُّ في الماءِ ، فإن طفا فهو طفاويّ ، وإن رسبَ فهو راسبيّ .

كانت أمُّ عيّاشٍ تُحْسِنُ إلى سيفويهِ وتتعهّدُه ، فكان إذا اجتمع إليه النّاسُ قال : يامعاشرَ المسلمينَ اُدْعُوا الله لأمّ عيّاشٍ ، فإنها صديقتي . فبلغَ عيّاش

---

(١) سورة ص : ٢٦ .

فبعثَ إليه وقال : قد فضحتَني بهذا القول فأمْسِكْ عنه . فقال : سُبحانَ اللهَ ! لو أنَّها معي في إزارٍ واحدٍ ماكنتَ تخافُ عليَّ .

قال أبو العَنْبَسِ : سمعتُ قاصّاً بالكوفة يقول في قصصه : تحت رأسِ وليِّ الله في الجنّةِ سبعون ألفِ مخدّة ، والمخدّةُ سبعون ألف حجابٍ ، ما بين الحجاب والحجاب سبعون ألفِ عامٍ . قال : فقلتُ : فإن سقطَ من فوقِ تلك الفرشِ كيف يعملُ ؟ فقال : إلى النّار يا صفْعانُ .

قال بعضهم في قصصه : كان أبو جهلٍ خُوزيّاً (١) ، فقيل له : بلْ هو قرشيٌّ مخزوميٌّ ولكنّه كافرٌ . فقال : يتكلّمُ أحدُكم بما لا يعلم ، كلُّ كافرٍ خوريٌّ .

قال آخر في مجلسه : زعم قومٌ أني لا أحسنُ القرآنَ . وهل في القرآن أشرفُ من : « قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ » . وأنا أقرؤه مثلَ الماء ، وابتدأ وقرأ فلما بلغَ قوله : « ولَمْ

---

(١) الخوز : تطلق على خوزستان ، وأهلها مشهورون قديما بأنهم أسقط الناس نفساً .

يَكُنْ لهُ » أُرتِجَ عليه فقال : من أرادَ أن يحضُرَ ختمةَ السّورةِ فليحضرْ يومَ الجمعةِ .

دفعَ واحدٌ قطعةً إلى قاصٍّ وقال : ادعُ لي ولأبويَّ بالمغفرة ، فرفع القاصُّ رأسَه وقال : ثلاثةُ أنفسٍ بقيراطٍ ؟ وا رُخْصاه !

قيل لبعضهم : في لحينك هريسةٌ (١) فقال : هذه من تلك الجمعة .

ومات عيسى بنُ حمّاد الطلْحيُّ وقد أوصى بأكثرَ من ثُلُثِ ماله ، فأجاز ذلك ولدُه وامرأتُه ، فأتوا أبا أُسَيْدٍ ليكتبَ بذلك كتابا ، فقال لهم : يا فتيانُ أمُّكُمْ قد بلغتْ مبلغَ النّساء أم لا .

ومرّ بقومٍ يصيدونَ السّمكَ ، فقال : يا فتيانُ ؛ مالحٌ أو طريٌّ .

ودخل يوماً في الماء إلى كعبه فصاح : الغريقَ ، الغريقَ . فقيل له : ما دعاكَ إلى ذاك ؟ فقال : أُخِذْتُ بالوثيقةِ .

---

(١) الدقيق المهروس جيداً أو المخلوط .

قيل لبعضهم : أيسرُّك أن اللهَ أدخلكَ الجنّةَ وأنتَ شاةٌ ؟ قال : نعمْ بشرط ألا يذهبُوا بي إلى التيّاسِ .

جاء رجلٌ إلى واحد منهم فقال : ما تقولُ في شُرب النّبيذِ ؟ قال : لا يجوز. قال : فإن كان الرجلُ قد أكل المالحَ ؟ قال : قد رجعتْ مسألتك إلى الطّبِّ .

صلى سيفويهِ بقوم وسلّمَ عن يمينه ولم يسلّمْ عن يساره ، فقيل له في ذلك فقال : كان في ذلك الجانب إنسانٌ لا أكلّمُه .

جاس أبو ضَمْضَم ينسُبُ قبائل العربِ فقال له بعضهم : يا أبا ضمضم : آدمُ من أبوه ؟ فحملَه استقباحُ الجهلُ عنده بشيء من الأنسابِ على أن قال : آدمُ بنُ المضاءِ بنِ الخليجِ وأمُّه ضُباعةُ بنُ قرْزام . فتضاحك القوم وثابَ إليه عقلُه فقال : إنّما نسبتُ أخاً لآدمَ من أمه .

رأى بعضُ أهل نيسابور جنازةً فقال : ربي وربُّك اللهُ لا إله إلاّ الله فسمعه آخرُ فقال : أخطأتَ . قل : اللّهمّ ألبسنا العافيةَ ، وتشاجرا فتحاكما إلى قاضٍ لهم فقال : لم يُصبْ واحد منكما . إذا رأيتمْ جنازةً فقولوا : سبحانَ من يسبّحُ الرّعدُ بحمدِهِ والملائكةُ من خيفتِهِ .

كان عبدُ الأعلى القاصُ يتكلّفُ لكلّ شيءٍ اشتقاقاً فقال : الكافرُ إنّما سُمّيَ كافراً لأنّه اكتفى وَفَرّ . قيل له : بماذا اكتفى ومن أيّ شيء فرّ ؟ قال : اكتفى بالشّيطانِ وفرّ من الله . وقال : سمّيَ الزّنديقُ زِنْديقاً لأنّه وَزَن فدقّق . وسمّيَ البلغمُ بلغماً لأنّه بلاءٌ وغمّ . وسمّي الدّرهمُ درهماً لأنه داءٌ وهمّ . وسمّي الدّينارُ ديناراً لأنّه دَيْنٌ ونار . وسمّيَ العُصْفُورُ عصفوراً لأنّه عصا وفرّ . وسمّي الطّفَيْشَلُ طَفَيْشَلاً لأنّه طفا وشال (١) . وسمي نوحٌ نوحاً لأنّه كان ينوحُ على قومه . وسُمّي المسيح مَسيحاً لأنّه مسحَ الأرض .

جاء رجلٌ إلى بعضهم فقال : أفطرتُ يوماً من شهرِ رمضـــان ساهياً ، فما عليّ ؟ قـــال : تصومُ يوماً مكانه . قال : فصمتُ . فأتيتُ أهلي وقد عملوا حَيْساً (٢) ، فسبقتني يدي إليه فأكلتُ منه . قال : تقضي يوماً آخرَ . قال : فقضيتُ يوماً مكانه ، وأتيتُ أهلي وقد عملوا هريساً

(١) الطفيشل : نوع من الطعام أو المرق .

(٢) الحيس : طعام من التمر المعجون بالسمن .

فسبقتني يدي إليه فأكلت منه فما ترى ؟ قال : أرى ألا تصومَ إلاّ ويدُك مغلولةٌ إلى عنقك .

ماتت أمُّ ابنِ عياشٍ فأتاه سيفويهِ معزّياً فقال : يا أبا محمدّ ، عَظّمَ اللهُ مصيبتَك . فتبسّم ابن عيّاش وقال : قد فعل . فقال : يا أبا محمّد ؛ هل كان لأُمّك ولدٌ ؟ فقام ابنُ عيّاش عن مجلسِهِ وضحكَ حتّى استلقى على قفاه .

* * *

الباب العاشر

نَوادِرُ القضاةِ لِمَنْ تَقَدَّمَ إليهم

اختصم رجلٌ وامرأةٌ إلى سوّار ، فقال الزّوجُ لسوّار : أصلحَ الله القاضي ، لو عرفتها لبصقْتَ في استِها . فقال سوّار : أُغْرُبْ ، عليك لعنةُ اللهِ .

قال بعضُهم : سمعتْ رجلاً جِيءَ به إلى التيميّ القاضي ، فقال : يا معشرَ القاضي . كم يَجُرُّونَكَ إليّ بحالِ أنّهم واحدٌ وأنا ستّةٌ ، لا يجدون أحدا يظلمونَكَ إلاّ غيري .

اختصمَ رجلان إلى قاضٍ ، فدنا أحدهما منه وقال له سرّاً : قد وَجّهْتُ للدّارِ فراريجَ كَسْكرية (١) ، وحِنْطَةً بلدّيةً كذا وكذا . فقال القاضي بصوت عالٍ : كانتْ لك بينةٌ غائبةٌ انتظرناها ، ليس هذا ممّا يُسارُ به .

---

(١) نسبة إلى كسكر ، كورة واسعة قريبة من البصرية ، ينسب إليها نوع من الفراريج يكثر بها .

قال محمدُ بنُ رباحٍ القاضي : تقدم إليَّ قُثَمُ مع ابنِ أخيه ، فادَّعى عليه خمسةَ آلافِ دينارٍ فقال قُثَم : نعم له عليَّ ذلك من أيِّ وجهٍ . فقلتُ : قد أقررتَ له بالمال ، فإن شاءَ فسَّرَ الوجه ، وإن شاءَ لم يفسِّر . فقال ابن أخيه : أشهدُ أنَّه بريءٌ منها إن لم أُثْبِتْها . فقلت : وأمّا أنتَ فقد أبرأته إلى أن تُثْبِتَ ذلك. فما رأيتُ أضعفَ منهما في الحُكْمِ .

قال بعضُ القضاةِ الحمْقَى : قد عزمتُ على أن أخْصِيَ عدْلين للشّهادةِ على النساءِ .

لما خرجَ المأمونُ إلى فمِ الصِّلْحِ (١) لينقل بورانَ بنتَ الحسَنِ ، إذا جماعةٌ على الشَّطِّ وفيهم رجلٌ ينادي بأعلى صوته : يا أميرَ المؤمنين ؛ نِعْمَ القاضي قاضي جَبُّل (٢) جزاه الله عنَّا أفضلَ ما جزى أحداً من القضاة ؛ فهو العفيفُ النّظيف ، النّاصحُ الجيب ، المأمُونُ الغيب .

---

(١) فم الصلح : نهر يستمد من دجلة ، ويمر بكورة تسمى الصلح بها منازل الحسن بن سهل .

(٢) بليدة بين النعمانية وواسط ، وبقاضيها يضرب المثل .

وكان يحيى بنُ أكثم يعرفُ قاضي جَبُّل وهو ولاَّهُ وأشارَ به . وإذا هو القاضي نفسُه ، فقال : يا أميرَ المؤمنينَ : إنَّ هذا الذي ينادي ويُثْني على القاضي هو القاضي نفسُه . فاستضحكَ المأمونُ واستَطْرفهَ وأقرَّهُ على القضاء .

وقد كان أهلُ جَبُّلَ رفعُوا عليه وذكروا أنَّه سفيهٌ حَديدٌ يعَضُّ رؤوسَ الخصوم فوقَّعَ المأمونُ : يُشْنَقُ (١) إنه شاء الله .

جلسَ أبو ضَمْضَم القاضي للحُكْم فلمحَ في مَجْلسه رجلاً معه ألواحٌ يعلِّقُ نوادرَه فرماهُ بالدَّواة وشجَّه ثمَّ أمَر به إلى الحَبْس . فقال كاتبُه : ما أكتبُ قصّتَه في الدِّيوان . قال : اكتبْ : استرَق السَّمْعَ فأتْبَعَهُ شهابٌ ثاقبٌ .

اختصم إلى أبي ضَمضم رجلان فأقرّ أحدهما لصاحبه بما ادَّعاه عليه وقال : أعزَّ اللهُ القاضي . إنّي كلّما طلبتُه لأُوفّيَه حقَّه لا أجدُه فإنّه رجلٌ شرِّيبٌ منهمكٌ في الشُّرْب أبداً عندَ أصحابه وأصدقائه ، وأنا رجل مُعَيِّلٌ

---

(١) يشنق : يؤخذ من الشنق ، وهو الأرش .

أحتاجُ أن أكسبَ قوتَ عيالي ، ولا يتهيّأ لي أن أتعطّلَ عن كسبي وأدور في طلبه . فأمر أبو ضمضم بحبسِ صاحبِ الحقّ . وقال لغريمه : اذهبْ فاشتغلْ بطلبِ معاشكَ ومكسبكَ ، فإذا حضرَكَ ما تردُّه عليه فاحملْه إلى الحبسِ حتّى لا تحتاج أن تدورَ في طلبه . فبقيَ الرَّجلُ في الحبسِ ثمانين يوماً وصاحبُه يحمل إليه الشيءَ بعد الشيءِ إلى أن بقيَ له عشرةُ دراهمَ فأرسلَ إلى القاضي وقال : إن رأيتَ أن تُفرِجَ عنّي فلم يَبقَ لي على غريمي إلاّ عشرةُ دراهم فقال : لا واللهِ لا تبرحُ حتّى تأخذَ حقَّكَ !

غابَ رجلٌ في بعض أسفاره ، وطالتْ غيبتُه فأُرجِفَ به وبموته ، وأتى على ذلك مدّةٌ ، وبلغَ قاضيَ البلدِ جمالُ امرأته فخطبها وتزوّجها فصار إليه أهلُ بيتِ زوجِها وبنو أعمامِه وقالوا : أعزَّ اللهُ القاضي . لم يصحَّ عندنا موتُ هذا الرّجلِ ونحنُ في شكٍّ منه ، فكيف تتزوّجُ بامرأته ؟ فغضب القاضي وقال : أنتم تسخَرُون بالنّساء . والله ما يغيبُ أحدُكم إلاّ تزوّجت بامرأته .

تقدّم رجلان إلى قاضٍ وادّعى أحدهما على صاحبه درهماً من ثمن رَيْحانٍ اشتراه فأنكر واستحلفه فقال القاضي : قل : والله الّذي لا إله إلاّ هو . فقال الرّجل : أصلحَكَ اللهُ ليست هذه يمينَ أصحابِ الرّياحين . قال القاضي : وما يمينهم ؟ قال : أن يقول أمُّه فاعلةٌ إن كان لهذا عليه شيءٌ . قال القاضي : ما أشكُّ في صِدْقِكَ ، وغَرِمَ الدّرهمَ مِنْ عِنده .

قال الأصمعيّ : لقيتُ قاضي سُبذان (١) فقلت : على من تقضي ؟ فقال على الضّعيفِ .

كان أبو السّكينة قاضياً للحجاجِ بنِ يوسفَ وكان طويلاً فقال يوماً : بلغني أنّ الطّويلَ يكون فيه ثلاثُ خلالٍ لابدّ منها قال : قلت : ما هي ؟ قال : يَفْرَقُ من الكلابِ ولا واللهما خلَقَ اللهُ دابةً أنا لَها أشدُّ فَرَقاً من الكلاب ، أو تكونُ في رجله قرحةٌ ولا والله ما فارقتْ رجلي قرحةٌ قط أو يكونُ أحمقَ وأنتم أعلمُ بقاضيكم .

---

(١) سبذان : بلدة على أربعة فراسخ من البصرة .

ولي عُكابة النميريُّ قضاءَ البحْرين فالتاث أهلُها عليه فركب فرسَه وأخذ رُمْحَهُ وقال : والله لا أقضي إلا هكذا من خالفني طعنتُه برمحي .

كان بالبصرة قاضٍ ، فاحتكم إليه حائكٌ في حمامة فأخذها ومسح عينها ثم أرسلها . فقال الحائكُ : ما فعلت أيها القاضي ؟ قال : تَذهبُ إلى بيت صاحبها .

وتقدّم إليه رجلانِ ومعهما امرأةٌ فقال أحدهما : أصلحكَ الله . هذه امرأتي تزوّجتُها على ستّين درهماً وهذا يدّعي أنّه يتزوّجُها على سبعينَ فقال القاضي : عليَّ بثمانينَ . فقالا : أصلحكَ اللهُ جئناك لتقضيَ بيننا ، لم نجئْكَ لتزايدنا . قال القاضي : فأنتما في شِرىً وبيعٍ ، قُوما في لعنةِ الله .

تقدّم إلى قاضٍ اثنان فادّعى أحدهما على صاحبه ثلاثةَ أرباعِ دينارٍ . فقال القاضي : ما تقول ؟ قال له : عليَّ دينارٌ غيرَ ربعٍ ، ففكّرَ ساعةً ثم قال : أما تستحيان

في هذا القدر . إنّما بينكما ثُلثُ دينار ! قوما فاصطلحا فالصُّلحُ خيرٌ .

واختصم إليه رجلان في ديك ذبحَه أحدهما فقال : ارتفعُوا إلى الأمير ، فإنَّا لا نحكُم في الدّماء .

وعزلَ يحيى بنُ أكثَمَ قاضياً كان له على حمص من أهلها فلمّا قدم إليه رأى شيخاً وسيماً فقال له : من جالستَ يا شيخُ ؟ فقال : أبي . فظنّ أنَّ أباهُ من أهلِ العلمِ . قال : فمن جالسَ أبوك : قال : مكحولاً (١) قال : فمن جالس مكحول ؟ قال : سفيانَ الثّوري . قال : ما كان يقول أبوك في عذابِ القبر ؟ قال : كان يكرهه .

تزوّج بعضُ الخصيان في زمن شُرَيْح بامرأة فأتت بولد فتبرأ الخصيّ منه وترافعا إلى شُرَيْح . فألحق

(١) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الولدَ به وألزمَه أن يحمله على عاتقه فخرج على تلك الصورة واستقبله خصيٌّ آخر . فقال له : انجُ بنفسك فإنَّ شُوَيحاً يريدُ أن يفرّقَ أولادَ الزّنى على الخصيانِ .

* * *

الباب الحادي عشر

نَوادِرُ لأصحابِ النِّساء والزُّناة والزَّواني

قال بعضُهم لأعرابيٍّ : هل يَطأ أحدُكم عشيقتَه ؟ فقال : بأبي أنت وأمّي ذاك طالبُ ولدٍ ليس ذاكَ بعاشقٍ .

سمعَ إسماعيلُ بنُ غزْوانَ قولَ اللهِ تباركَ وتعالى « قالتِ إمْرأةُ العزيزِ الآن حَصْحَصَ الحقُّ أنا راودْتُهُ عَنْ نفْسِهِ وَإنّهُ لمِن الصَّادِقِين * ذلِك لِيعْلَم أني لم أخُنْهُ بالغيْبِ وَأنَّ اللهَ لايَهْدِي كيْدَ الخائِنين»(١) فقال : لا وَاللهِ إنْ سمعتُ بِأغْزلَ مِنْ الفاسقةِ . ولما سَمِعَ بكثْرة مُراودتها ليوسفَ واستعصامِهِ بالله قال : أما والله لو بي محكت(٢) .

أشارَ ضيفٌ لقوم إلى بنتٍ لهم بقُبْلَةٍ وهي خلفَ الخباء ، فلما سمع الشّيخُ قولَ الجاريةِ : إنّي إذا الطويلةُ العُنُقِ قال : وبيتِ الله لقد أشارَ إليها بقُبلةٍ .

(١) سورة يوسف : ٥١ ، ٥٢ .
(٢) محك : لج في المنازعة .

أُتِيَ نوفلُ بابنِ أخيه وقد أحبلَ جاريةً لغيره فقال : ياعدوَّ الله ، هلاّ إذا ابتليتَ بالفاحشةِ عزَلْتَ . قال : بلغني أنَّ العزلَ مَكْروه . قال : أفما بلغكَ أن الزِّنى حرامٌ .

جاء رجلٌ إلى عابدٍ فسأله عن القُبلة للصّايم ، فقال : تُكْرهُ للحدَثِ ، ولابأسَ بها للمُسِنّ ، وفي اللّيل لك فُسْحَةٌ . فقال : إنّ زوجَها يعودُ إلى منزله ليلاً فقال : يابنَ أخٍ ، هذا يُكره في شوّالَ أيضاً .

أخذَ رجلٌ مع زنجيّة وكان قد أعطاها نصفَ درهم ، فلمَّا أُتِيَ به إلى الوالي أمرَ بتجريدِهِ وجعل يضربُه ويقول : ياعدوَّ اللهِ ، تزني بزنْجيَّة ! فلمَّا أكثر قال : أصلحكَ اللهُ ، فبنصفِ درهم إيشْ أجدُ ، ومَن يعطيني ؟ فضحكَ وخلاّه .

وجدَ شيخٌ مع زنجيَّة في ليلة الجمعةِ في مَسجدٍ ، وقد نَوَّمَها على الجِنازةِ(١) فقيل له : قَبَّحكَ الله ياشيخُ . فقال : إذا كنت أشتهي وأنا شيخٌ لاينفعني

---

(١) الجنازة – بكسر الجيم – السرير الذي يحمل عليه الميت .

شبابِكم ، قالوا : فزنجيَّةٌ : قال : من يزوجني منكم بعربيّةٍ ؟ قالوا : ففي المسجدِ ! قال : مَن يفرّغُ لي بيته منكم ساعةً ؟ قالوا : فعلى جنازةٍ ! قال : من يعطيني سريرَه . قالوا : فليلةَ جُمُعَةٍ قال : إن شئتم جئتكم ليلةَ السَّبتِ فضحكوا منه وخلّوه .

وكان بعضُهم في مَجلسِ شُرْبٍ فيه مغنّياتٌ فقامت واحدة منهن فكانت مليحةً ، فوضعتِ الطبل وقعدتْ عليه ، فقال : ياإخوتي . ماكنتُ أحسبُ أنّي أحبُّ يوماً ما أن أكون طبلاً حتى الساعة !

كان بشيرازَ رجلٌ وله زوجةٌ فاسدةٌ ، فنزلَ به ضيفٌ فأعطاها دراهمَ وقال لها : اشتري لنا رؤوساً نتغدّى بها ، فخرجت المرأةُ ولقيها حَرِيفٌ(١) فأدخلها إلى منزله وأحسَّ بهما الجيرانُ ، فرفعوهما إلى السّلطانِ . وضُرِبتْ المرأةُ وأركبتْ توراً ليُطَافَ بها في البلدِ فلمّا أبطأتْ على الرجل خرج في طلبها ، فرآها على تلك الحالِ فقال لها : ماهذا وَيْلَكِ ؟ قالت : لاشيء انصرفْ

---

(١) الحريف : المعامل في الحرفة ، والمقصود هنا القواد .

أنت إلى البيت فإنَّما بقي صَفَّان : صفُّ العطارينَ وصفُّ الصَّيادلةِ ثم أشتري الرءوسَ وأجيئُكَ .

قال بعضهم : مررت ذات يوم بشارع السريِّ بسرَّ مَنْ رَأَى فرأيت امرأةً تمشي فظننتها من الباديةِ ، فتعرضتُ لها وقلت : إلى أين يقصد الغزالُ ؟ فقالت لي : إلى مغزلها ياقليلَ المعرفةِ بأصحابه .

كان فُلان مفلساً فقال لامرأةٍ : أنا أحبُّك . قالت : وما الدَّليلُ على ذلك ؟ قال : تعطيني قفيزَ دقيقٍ حتى أعجنَه بدموعِ عيني . قالت : على أن تجيءَ بخبزه إلينا . قال : ياسيِّدتي ، فأنتِ تريدين خبّازاً لاتريدين عاشقاً .

تزوج رجل بشيرازَ امرأةً فلما كان في اليومِ الخامس من زفافها وَلَدَتْ ابناً ، فقامَ الرّجل وصارَ إلى السّوق واشترى لوحاً ودواةً فقالوا له : ماهذا ؟ قال : من يُولَدُ في خمسةِ أيّام يذهبُ إلى الكُتّابِ في ثلاثةِ أيامٍ .

* * *

الباب الأوّل

(*) من الجزء الخامس من نثر الدر .

كَلامُ زيادٍ ووَلَدِهِ (١)

قال : إن تأخيرَ جزاءِ المحسنِ لؤمٌ ، وتعجيلَ عقوبةِ المُسيءِ دناءةٌ . والتثبُّت في العُقوبةِ ربَّما أدَّى إلى سلامةٍ منها ، وتأخيرَ الإحسانِ رُبَّما أدَّى إلى ندمٍ لم يُمكّن صاحبه أن يتلافاهُ .

وقال زيادٌ لو أن لي ألفَ ألفِ درهم ، ولي بعيرٌ أجربُ لقمتُ عليه قيامَ رجل لا يملكُ غيرَهُ . ولو أن لي عشرةَ دراهمَ لا أملكُ غيرَها ، ولزمني حقٌّ لوضعتُها فيه .

وقال لابنه : عليْكَ بالحجابِ ، فإنما تجرَّأتِ الرُّعاةُ على السباعِ بكثرةِ نظرِها إليها .

وخطبَ فقال : الأُمورُ جاريةٌ بأقدارِ الله ، والناسُ متصرّفون بمشيئةِ اللهِ ؛ وهمْ بين متسخّطٍ وراضٍ ،

---

(١) ولد زياد : هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، ولد بالبصرة سنة ٢٨هـ ، وتوفي سنة ٦٧هـ .

وكل يجري إلى أجلٍ وكتابٍ ، ويصيرُ إلى ثوابٍ أوْ عقابٍ . ألا رُبَّ مسرورٍ بنا لا نسرُّه ، وخائفٍ ضدَّنا لا نضُرُّه .

وكان في مجْلسه الذي يأْذنُ فيه الناسِ أربعةُ أسْطُر في نواحيه ، أولُها : الشِّدةُ في غير عُنفٍ ، واللينُ في غيْر ضَعْفٍ . والثاني : المُحْسِنُ يُجازَى بإحسانه ، والمسيءُ يكافأُ باساءته . والثالثُ : العَطِيَّاتُ والأرزاقُ في إبَّانها وأوقاتها . والرابعُ : لا احتجابَ عن صاحبِ ثَغْرٍ ولا طارقِ ليلٍ .

قدمَ رجلٌ خصْما إلى زياد في حَقٍّ له عَليْه ، فقال : إن هذا يُدلُّ بخاصَّةٍ ذكرَ أنها له منكَ . فقال زيادٌ : صدَقَ . وسأُخبرُك بما ينفعه عندي منْ مودته إن يكُنِ الحقُّ له آخذُك به أخْذاً عنيفاً ، وإن يكُنِ الحقُّ لكَ عليه أقْضِي عليه ثم أقْضِي عنه .

وقال : ليس العاقلُ الذي يحتالُ للأَمْر إذا وقعَ ، ولكن العاقل الذي يحتالُ للأمر ألاَّ يقعَ فيه .

قالوا : قدم زيادٌ البصْرة (١) والياً لمعاويةَ والفسقُ بالبصْرةِ ظاهرٌ فاشٍ فخطبَ خطبةً بتْراءَ لم يحمدِ الله فيها. ويُقالُ : بلْ قال : الحمدُ لله على أفْضاله ، ونسألُه المزيدَ منْ نِعَمِه وإِكرامه . اللهُمَّ كما زدْتنا نعَماً فألْهِمْنا شكراً . أما بعدُ :

فإن الجاهليةَ الجهْلاءَ ، والضلالةَ العمْياءَ والغَيَّ المُوفدَ لأَهله على النارِ ، ما فيه سفهاؤُكمْ ، ويشتملُ عليه حُلماؤكم ، من الأُمور العظامِ ، ينبتُ فيها الصغيرُ ، ولا يتحاشى منْها الكبيرُ . كأنكم لم تقرأوا كتابَ اللهِ ، ولم تسمعُوا ما أعدَّ اللهُ من الثوابِ الكريمِ لأَهلِ طاعته، والعذابِ الأَليمِ لأَهلِ معْصيته في الزمنِ السرمديِّ الذي لا يزُولُ .

أتكونون كمنْ طرفتْ عينه الدُّنيا ، وسَدَّتْ مَسامعَه الشهواتُ ، واختارَ الفانية على الباقيةِ ولا تذْكُرونَ أنكم أحْدثتُم في الإِسلامِ الحدَثَ الذي لم تُسْبقُوا إِليْه : مِنْ تَرْككُمْ الضعيفَ يُقْهَرُ ، ويُؤْخَذُ مالُه ،

---

(١) البصرة : بلد بالعراق ، وأحد موانيه .

ألم يكنْ منكم نُهاةٌ تمنعُ الغُواة عنْ دلَجِ الليلِ ، وغارةِ النهارِ ؟ قرَّبْتُم القرابةَ ، وباعَدتُمُ الدِّينَ . تعتذِرُون بغير العُذْرِ وتُغْضُون على المُختلسِ ، كلُّ امرئٍ منكم يذُبُّ عن سفيهِهِ صَنيعَ مَنْ لا يخافُ عاقبةً ، ولا يرجوُ مَعاداً . ما أنتُم بالحُلماءِ ، ولقد اتَّبعتُم السُّفهاءَ ، فلم يزَلْ بهم ما ترَوْن من قيامِكم دونَهمُ ، حتى انتهكُوا حُرَمَ الإسلام ، ثم أطْرَقُوا وراءكم كُنُوساً في مَكانِسِ الرِّيَبِ . حَرُمَ عليَّ الطعامُ والشرابُ حتى أُسَوِّيَها بالأرضِ هدماً وإحراقاً ، إني رأيتُ آخر هذا الأمر لا يصلحُ إلا بما صلُح به أوَّلُه : لينٌ في غير ضعيف ، وشدةٌ في غير عنْف . وإني أُقسِمُ بالله لآخُذنَّ الوليَّ بالمولىَ ، والمقيمَ بالظاعنِ ، والمقبلَ بالمُدبر ، والصحيحَ منكم في نفسه بالسقيم حتى يَلْقَى الرجلُ منكم أخاه فيقول : « انْجُ سعدٌ فقد هلكَ سُعَيد » (١) أو تستقيمَ لي قناتُكُم .

---

(١) أصل المثل : أنه كان لضبة بن أد ابنان : سعد وسعيد ، فخرجا يطلبان إبلا لهما ، فرجع سعد ، ولم يرجع سعيد فكان ضبة إذا رأى سواداً تحت الليل قال : سعد أم سعيد .

إنّ كذبةَ المنبر بلقاءُ (١) مشهورةٌ ، فإذا تعلقتم عليَّ بكذبة فقد حلَّ لكم معصيتي . مَنْ نُقِبَ عليه منكم فأنا ضامنٌ لما ذهبَ منه ، فإيايَ ودَلجَ الليل ، فإنّي لا أُوتى بمُدلِج (٢) إلا سفكْتُ دمَه وقد أجَّلتكُمْ في ذلك بقدر ما يأتي الخبرُ إلى الكوفة ، ويرجعُ إليكم . وإيايَ ودعوَى الجاهلية (٣) ، فإنّي لا أجدُ أحداً دَعَا بها إلاّ قطعتُ لسانَهُ . وقد أحدَثْتُم أحداثاً لمْ تكن ، وقد أحْدَثْنا لكلِّ ذنبٍ عقوبةً ؛ فمَنْ غرَّق قوماً غرَّقْناه ، ومن أحرْق على قومٍ أحْرَقناه ومَنْ نقَبَ على قوم بيتاً نقَبْنا عنْ قلبه ، ومَنْ نَبش قبراً دفنَّاه فيه حَيّاً كفُّوا عني أيديكُم ، وألسنتكُم أكُفَّ عنكم يدي ولساني . ولا يظهرْ منْ أحدكم خلافُ ما عليه عامتّكم إلاَّ ضربتُ عنُقَهُ . وقد كانت بيني وبيْن أقوام إحَنٌ (٤) فجعلتُ ذلك دَبْرَ أُذُني ، وتحت قَدمي ، فمنْ كان منكم

(١) بلقاء : البلق : السواد والبياض . والمعنى : واضحة و ظاهرة .
(٢) المدلج : من أدلج : سار أول الليل .
(٣) المراد هو التعصب الأعمى للقبيلة .
(٤) الإحن : جمع إحنة : الحقد .

مُحْسناً فليزدَدْ إحساناً ، ومَنْ كان مُسيئاً فليرتدعْ عن إساءته . إني لو علمتُ أن أحدكُم قد قتله السُّل من بُغْضي لم أكشفْ عنه قناعاً ، ولم أهتكْ له ستراً حتى يُبْدِيَ لي صفحته ، فإذا فعَل لم أُناظرْه فاستأنفُوا أمورَكم ، وأعينُوا على أنفُسكم ، فرُبَّ مبتئسٍ بقدُومنا سيُسَرُّ ، ومسرورٍ لقدُومنا سيَبْتئسُ .

أيُّها الناسُ : إنّا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادةً ، نسُوسُكم بسُلْطان الله الذي أعطاناهُ ، ونذُودُ عنكم بفيْءِ الله الذي خوّلنا . فلنا عليكم السمعُ والطاعةُ فيما أحببْنا ، ولكم علينا العَدْلُ فيما ولينا . فاستوجبُوا عَدْلنا وفيْئنا بِمُناصحتِكُمْ لنا .

واعلموا أنّي مهمَا قصّرتُ عنه فلن أقصّرَ عن ثلاثٍ : لستُ مُحتجباً عن طالبِ حاجةٍ منكم ، ولو أتاني طارقاً بليلٍ ، ولا حابساً عطاءً ولا رزْقاً عن إبانه ، ولا مُجمِّراً (١) لكم بعثاً ؛ فادْعوا الله بالصلاح لأئمتكم ، فإنهم ساستُكُم المؤدّبون ، وكهفُكُم الذي إليه تأوُون .

---

(١) يقال : جمر الجيش أي حبسه .

ومتى صلحُوا تصالَحُوا ، ولا تُشْرِبوا قُلوبَكُم بغْضَهُم فيشتدَّ لذلك غيْظكُمْ ، ويطولُ لذلك حزْنكمْ ، ولا تُدْرِكُوا حاجَتكم مع أنه لو استُجيب لكم فيهم كان شراً لكم . أسأَلُ الله أنَّ يُعينَ كُلاًّ على كُلٍّ .

وإذا رأيتُموني أنفذُ فيكم الأمرَ فأنفذُوه على أذْلاله(١) ، وأيْمُ اللهِ إنَّ لي فيكم لصَرْعى كثيرةً فليَحْذرْ كلُّ امرىءٍ أنْ يكون منْ صَرْعاي .

قال : فقام عبدُ الله بنُ الأهْتم ، فقال : أشهدُ أيُّها الأميرُ لقد أُوتيتَ الحكمةَ وفصْلَ الخطابِ . فقال له : كذبْتَ . ذاكَ نبيُّ اللهِ داودُ صلى الله عليه وسلم .

فقامَ إليْه الأحْنفُ بنُ قيسْ ، فقال : إنما الثناءُ بعْدَ البلاء ، والحمدُ بعْد العطاء ، وإنا لا نُثْني حتى نَبْتلِي ، ولا نَحْمدُ حتى نُعْطَى .

فقال زياد : صدَقْتَ .

قال : فقام أبوُ بلال يهمسُ وهو يقولُ : أنْبأنا اللهُ — جل وعز — بغير ماقُلت . قال اللهُ تباركَ وتعالى :

---

(١) على أذلاله : أي على وجوهه وطرقه . وأذلال جمع ذل بالكسر .

« وَإبْراهيمَ الذي وَفّى . ألاّ تَزِرُ وَازرة وِزْرَ أُخْرَى . وأن لَيْسَ لِلإنسانِ إلاّ ماسَعَى . وأَنَّ سعْيَهُ سوف يُرَى . ثُمّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأوْفَى (١) » وأنت تزعُم أنك تأخُذُ الصحيحَ بالسقيم ، والمطيعَ بالعاصي ، والمُقْبِلَ بالمُدْبِرِ .

قال زيادٌ لحاجبه : ياعجلانُ ، إنّي وليْتُكَ هذا البابَ ، وعزلتُكَ عَن أربعةٍ : عزلتُكَ عن هذا المنادِي إذا دَعَا للصلاةِ ، فلا سبيلَ لكَ عليه ، وعن طارقِ الليل ، فشرٌّ ماجاء به . ولو جاء بخير ماكنتَ من حَاجبه . وعن رسولِ صاحبِ الثغرِ (٢) فإن إبطاءَ ساعةٍ يُفسدُ تدبيرَ سنة فأَدخله عليَّ وإن كنتُ في لِحَافي . وعن هذا الطباخِ إذا فرغَ من طعامه فإنه إذا أُعيدَ عليه التسخينُ فسَدَ .

وقال يُعجِبُني من الرجل إذا سيمَ خطّة الضيم أن يقول : لا بملءِ فيه وإذا أتى نادِيَ قومٍ عَلمَ أين ينبغي لمثله أن يجلسَ ، فجلسَ . وإذا رَكب دابةً حمَلها على مايُحب ، ولم يَتبعْها إلى ما يكرَهُ .

---

(١) سورة النجم من ٣٧ — ٤١ .

(٢) صاحب الثغر : قائد الجيش المواجه للعدو .

وكانَ حارثةُ بنُ بدرٍ(١) الغُدانيُّ قد غلبَ على زيادٍ — وكانَ الشرابُ قد غلبَ عليه(٢) — فقيلَ لزيادٍ : إنَّ هذا قد غلبَ عليكَ وهو مُستهترٌ بالشرابِ فقالَ زيادٌ : كيفَ باطِّراحِ رجلٍ هو يُسايرُني ؟ قد دخلتُ عليه العراقَ ، فلم يصكَّ ركابي ركابَاه وما راكبني قطُّ فمسَّتْ رُكبتي ركبتَه ولاتقدَّمني فنظرتُ إلى قَفاه ، ولاتأخَّر عنِّي فلويتُ عُنقي إليه ، ولا أخذَ عليَّ الشمسَ في شتاءٍ قطُّ ، ولا الرَّوْحَ في صيفٍ قطُّ ، ولاسألتُه عن علمٍ إلا ظننتُه لم يُحسنْ غيرَه .

فلما ماتَ زيادٌ جفاهُ عبيدُ اللهِ ، فقالَ له حارثةُ : أيها الأميرُ . ماهذا الجفاءُ . مع معرفتكَ بالحالِ عندَ أبي المُغيرةِ ؟ فقالَ له عُبيدُ اللهِ : إنَّ أبا المغيرةِ كانَ قد برعَ بُروعاً لايلحقُه معَهُ عيبٌ وأنا حَدَثٌ ، وإنما أُنسَبُ إلى مَن تغلَّبَ عليَّ ، وأنتَ رجلٌ تُديمُ الشرابَ ، فمتى

---

(١) حارثه بن بدر من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها . وكان زياد مكرما له قابلا لرأيه فلما ولي عبيد الله بن زياد أخر حارثة بعض التأخير .

(٢) أي على حارثة بن بدر .

قرّبتُك ، فظهرتْ رائحةُ الشرابِ منك لم آمَنْ أن يُظنَّ بي . فدعِ النبيذَ ، وكُنْ أولَ داخلٍ ، وآخرَ خارجٍ .

فقال له حارثةُ : أنا لاأدَعُه لمن يملكُ ضرِّي ونَفعي . أفأدعُه للحال عندكَ ؟ قال : فاخترْ من عملي ماشئت . قال : تُولّيني رامَهُرمز (١) فإنها أرضٌ عَذِيَة (٢) وسُرّق(٣) وإنّ بها شراباً وُصِفَ لي عنه . فولّاه إياه . وفيه قيل :

أحارِ بنُ بدرٍ قدْ وَليتَ ولايةً
فكُن جُرذاً فيها تَخُونُ وتَسرِقُ(٤)

• • •

(١) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .

(٢) أرض علية : العذاة : الأرض الطيبة البعيدة من الماء ، والوخم .

(٣) سرق : إحدى كور الأهواز .

(٤) قائل هذا البيت أبو الأسود الدؤلي من قصيدة يشيع بها حارثة ابن بدر . وحار : منادى مرخم .

الباب الثاني

كلامُ الحَجّاجِ (١)

خَطب فقال : أيُّها الناسُ . مَنْ أعْياه داؤُه فعنْدي دَواؤُه ، ومن استْبطأ أجلَه ، فعليَّ أنْ أعجِّله . ومَنْ ثَقُلَ عليه رأسُه وَضعتُ عنه ثِقلَه ، ومن استطال ماضي عمره قَصَّرْتُ عليه باقيَةُ .

إنّ للشيطانِ طيْفاً(٢) ، وللسُّلطان سَيْفاً ، فمن سَقِمتْ سريرتَهُ صَحَّتْ عقوبتهُ ، ومَن وضعَه ذنبُه رفعهُ صَلبُه ، ومَن لم تسَعْهُ العافيةُ(٣) لم تضق عنه

(١) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي . ولي الحجاز سنين ، ثم العراق ، وخراسان عشرين سنة ، وأقره الوليد على عمله بعد أبيه عبد الملك بن مروان . توفي في رمضان سنة ٩٥هـ عن خمسين سنة .

(٢) المراد بطيف الشيطان : المس من الشيطان ، وقولهم : طيف من الشيطان كقولهم : لمم من الشيطان .

(٣) العافية : السلامة .

الهلكةُ . ومن سبقتهُ بادرَةُ(١) فَمِهِ سَبَقَ بدنَهُ بسفكِ دَمه .

إني أُنذرُ ثم لاأُنْظِرُ(٢) ، وأُحذِّر ثم لا أُعْذِر ، وأتوعَّد ثم لاأغْفِر إنمَّا أفْسدكُم تَرْنيقُ(٣) ولاتكُم . ومَنْ استرخى لببُه(٤) ساء أدبُه .

وخطب الحجاج يوماً فقال في خطبته : واللهِ مابقي من الدنيا إلا مثلُ مامَضى ، ولهُو أشبهُ به من الماء بالماء . والله ماأُحبُّ أنَّ مامضى من الدنيا لي بعمامتي هذه .

وقال على المنبرِ يوماً : والله لألحونَّكم(٥) لحوَ العصَا ، ولأعصبنَّكُم عصبَ السَّلَمَةِ ، ولأضْربنَّكم

---

(١) بادرة فمه : البادرة ما يخرج من الفم من غير قصد في غضب أو غيره ، والمراد بسبق بدنه سفك دمه : سرعة قتله انتقاما منه .

(٢) نظره : تأنى عليه ، وأنظره : أخره .

(٣) الترنيق : كسر جناح الطائر من داء أو رمي حتى يسقط والمراد : الضعف في الأمر .

(٤) اللبب : ما ينشد في صدر الدابة أو الناقة ، ويكون للرحل والسرج يمنعهما من الاسترخاء .

(٥) لألحونكم : لحا العصا : قشرها .

ضربَ غَرائبِ الإبل(١) . ياأهلَ العراقِ ، ياأهلَ الشّقاقِ والنّفاقِ ، ومساوىء الأخلاقِ . إني سمعتُ لكم تكبيرا ليس بالتكبيرِ الذي يُراد به اللهُ في الترغيبِ ، ولكنّه التكبيرُ الذي يُراد به الترهيبُ . وقد عرفْنا أنها عجَاجةٌ تحتها قصْفٌ . أي بَني اللّكيعة(٢) ، وعبيدَ العصا ، وأبناءَ الإماء . إنما مَثلي ومثلكم ماقال ابنُ برّاقة الهمدَاني(٣) :

وكنت إذا قومٌ غزوني غزوتُهم
فهل أنا في ذا يَالَ هَمدانَ ظالمُ ؟

متى تجمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً
وأنفاً حمياً ، تجتنبْكَ المظالمُ

أما والله لاتقْرعُ عَصاً عصاً إلا جعلتُها كأمسِ الذّاهب .

---

(١) غرائب الإبل : هذا مثل ضربه لنفسه مع رعيته يهددهم ؛ وذلك أن الإبل إذا وردت الماء فدخلت عليها غريبة من غيرها ، ضربت وطردت حتى تخرج عنها .

(٢) المراد وصفهم باللؤم .

(٣) هو عمرو بن براقة بن براق .

قال مالكُ بنُ دينارٍ : رُبَّما سمعت الحجاجَ يذكرُ ماصنع به أهلُ العراق ، وما صنَع بهم ، فيقعُ في نفسي أنهم يظْلمُونه لبيانه ، وحسنِ تخلُّصه للحُجَج .

وخطبَ الحجاجُ مرةً فقال : اللهم أرِني الغَيَّ غيّاً فأجتنبَه ، وأرني الهُدى هدى فأتبعَه ، ولا تكلِنْي إلى نفْسي فأضلَّ ضلالا بعيدا .

قال مالكُ بنُ دينار : غدَوتُ إلى الجمعة ، فجلستُ قريباً من المنبر ، فصَعد الحجاجُ ثم قال : امرؤٌ زوَّر عملهُ(١) ، وامرُؤٌ حاسب نفْسَه ، امرؤ فكَّر فيما يقرؤُه غدا في صَحيفتِه ، ويراه في ميزانه . امرُؤٌ كان عند قلبه زاجرٌ ، وعند همِّه آمرٌ ، آخذٌ بعنان قلبه كما يأخذُ الرجلُ بخِطام جَمَلِه ، فإن قاده إلى طاعةِ الله تَبِعَه ، وإن قادَه إلى معصيةِ الله كَفَّه .

وكان يقول : إنا والله ماخُلقنا للفناء ، وإنما خُلقنا للبقاء ، ولكنْ نُنقلُ من دارٍ إلى دار .

---

(١) زور عمله : حسنه .

وخطب يوما فقال : إن الله أمَرنا بطلبِ الآخرةِ ، وكفانا مؤونةَ الدنيا، فليتنا كُفينا مؤونةَ الآخرةِ ، وأمِرْنا بطلبِ الدنيا .

فقال الحسنُ : ضالةُ المؤمنِ خرجتْ من قلبِ المنافق .

وأهدى إلى عبد الملك(١) فرساً وبغلةً وكتب إليه : وجهتُ إلى أمير المؤمنين فرساً سَهْلَ الخدِّ ، حَسَنَ القدِّ ، يسبقُ الطَرْفَ ، ويستغرقُ الوصفَ . وبغلةً هواها زِمامُها وسوطُها .

وكان يقول : العفوُ عن المُقرِّ لا عن المُصرِّ .

وقال : الكوفةُ امرأةٌ حسناءُ عَاطل(٢) ، والبصرةُ عجوزٌ درداءُ(٣) ، قد أُوتيتْ من كُلِّ شيء .

---

(١) عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد ، من أعظم الخلفاء ودهاتهم . استعمله معاوية على المدينة وسنه ١٦ سنة ، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ .

(٢) العاطل : الخالية من الزينة .

(٣) العجوز الدرداء : الدرداء : مؤنث أدرد ، والأدرد : رجل ليس في فمه سن .

وقال له بعضُ ولاة الحجاز : إن رأى الأميرُ أن يستهديني ما شاء فليَفعلْ .

قال : أستهديك بَغلةً على شَرْطي . قال : وما شَرْطُك ؟ قال : بغلةٌ قصيرٌ شعرُها ، طويلٌ عِنانُها ، همُّها أمامَها ، وسوطُها لجامُها ، تستبينُ فيها العلفةُ ، ولا تهزلها الركبةُ .

وقال يوماً لجلسائه : ما يُذهِبُ الإعياء ؟ فقال بعضهم : التمرُ . وقال آخر : التمزُّحُ وقال آخر : النومُ . قال : لا ، ولكن قضاءُ الحاجة التي أعْيَا بسببها .

كتب الحجاجُ إلى قُتيبة : لا تهجِّنَنَّ بلاءَ أحد من جُندك وإن قلَّ ؛ فإنك إذا فعلت ذلك لم يرغبْ أحدٌ منهم في حُسْن البلاء . وأعْط الذي يأتيك بما تكره صادقا مثل الذي يأتيك بما تحبُّ كاذبا ، فإنك إن لم تفعل غروُّك ولم يأتوك بالأمر على وجهه . واعلمْ أنه ليس لمكذوبٍ رأيٌ ، ولا في حسودٍ ، حيلةٌ .

وقال لكاتبه : لا تجعلنَّ مالي عند من لا أستطيع أخذه منه . قال : ومَنْ لا يستطيع الأميرُ أن يأخذه منه ؟ قال : المُفلس .

وكتب الوليدُ بن عبد الملك إليه يأمُرُه أن يكتب إليه بسيرته . فكتب إليه : إني قد أيقظتُ رأيي ، وأنمتُ هواي ، فأدنيتُ السيِّد المطاع في قومه ، ووليَّتُ الحرب الحازم في أمره ، وقلَّدتُ الخراج الموفِّر لأمانته ، وقسمتُ لكلِّ خصمٍ من نفسي قسْماً أعطيه حظّاً من نظري ، ولطيف عنايتي ، وصرفتُ السيف إلى النَّطف (١) المسيء والثواب إلى المُحسن البريء ، فخاف المُريب صولة العقاب ، وتمسَّك المحسنُ بحظّه من الثواب .

وقال : لأطلبنَّ الدنْيا طلب من لا يموتُ أبداً ولأُنْفِقَنَّها كمَنْ لا يعيش أبداً .

قال بعضُهم : رأيتُ الحجاج وعنبسة بن سعيد واقفَيْن على دجْلة . فأقبل الحجاجُ ، وقال : يا عنبسةُ ، إذا كنت في بلد يضعُفُ سلطانُه ، فاخرجْ عنه ، فإن ضعْف السلطان أضرُّ على الرعية من جُوده .

وكان يقُول : خيرُ المعْروف ما نعشت به عثرات الكرام .

---

(١) النطف : العيب . يقال : هم أهل الريب والنطف : التلطخ بالعيب.

وضرب رجلاً فقال : اعتديت أيُّها الأميرُ . فقال : ((فلا عُدْوان إلا على الظالمين)) (١) .

وقف رجلٌ له فقال : أصْلح اللهُ الأمير ، جَنَى جَانٍ في الحيِّ ، فأُخذتُ بجريرته ، وأُسْقط عطائي . فقال : أمَا سمعت قول الشاعر :

جانيك مَن يَجْنِي عليك وقدْ
تُعْدي الصِّحاح مبارِكُ الجُرْبِ

ولرُبَّ مأْخوذٍ بذنْبِ صديقِــــه
ونَجَا المُقارِفُ صاحِبُ الذَّنْبِ

فقال الرجلُ : كتابُ الله أولى ما اتُّبع . قال الله تعالى : ((مَعاذ اللهِ أن نأْخُذ إلاّ مَنْ وجَدْنا متاعَنا عنده)) (٢) . فقال الحجاجُ : صدقت . وأمَر بردِّ عطائه .

وقيل له – وقد احتُضر – : ألا تَتُوبُ ؟ فقال : إن كنت مُسيئاً فليسَتْ هذه ساعة التّوبة ، وإن كنتُ مُحْسناً فليستْ ساعة الفزع .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٣ وأولها « فان انتهوا فلا .... »

(٢) سورة يوسف : ٧٩ وأولها : « قال معاذ الله » .

وقال على المنبر : اقدعوا هذه الأنْفس فانها أسْأل شيء إذا أُعطيتْ ، وأعصى شيء إذا سُئلت . فرحم الله أمرأ جعل لنفسه خطاماً وزماماً ، فقادها بخطامها إلى طاعة الله ، وعطفها بزمامها من معصية الله ؛ فإني رأيت الصبر عن محارمه أيسر من الصبر على عذابه .

وكان يقول : إن أمرأ أتتْ عليه ساعة من عُمُره لم يذكر ربَّه ، ولم يستغْفرْ من ذنبه ، أو يفكرْ في معاده . لجديرٌ أنْ تطول حسرتُه يوم القيامة .

كان الحجاجُ إذا استغْرب ضحكاً والى بين الاستغفار . وكان إذا صعد المنبر تلفَّع بمطرفه (١) ، ثم تكلَّم رويداً فلا يكادُ يُسمعُ منه ، ثم يتزيّدُ في الكلام حتى يُخرج يده من مطْرفه يزجرُ الزَّجرة فيقرعُ بها أقْصى مَنْ في المسجد . وكان يُطْعِمُ في كلّ يوم على ألف مائدة ، على كل مائدة ثريدٌ وجَنْبٌ من شِواء ، وسَمَكةٌ طَرِيّة . ويطافُ به في مِحَفّة (٢) على تلك

(١) والمطرف : رداء من خز مربع ، ذو أعلام ، والمطرف من الثياب : ما جعل في طرفيه علمان .

(٢) المحفة بالكسر مركب من مراكب النساء كالهودج إلا أنها لا تقبب كالهودج .

الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرةٌ . ثم يقول : يأهل الشَّام . كَسِّرُوا الخُبز (١) لئلا يُعاد عليكُم .

وكان له ساقيان : أحدُهما يسقي الماء والعسل ، والآخر يسقي اللَّبن .

يُروى عن محمد بن المُنتشِر الهمداني ، قال : دفع إليَّ الحجاج « أزادْ مَرْد بن الهزبذ » وأمرني أن أستخرج منه ، وأُغلِظ له . فلما انطلقتُ به قال لي : يا محمدُ . إن لك شرفاً وديناً ، وإني لا أُعْطي على القسْر شيئاً ، فاستأْدِني (٢) ، وارفُق بي . قال : ففعلت : قال : فأدَّى إليَّ في أُسبوع خمْسَمائة ألف . قال : فبلغ ذلك الحجاج ، فأغضبَه ، وانتزعَه من يدي ، ودفعه إلى رجل كان يتولَّى له العذاب ، فدقَّ يديه برجليه ، ولم يعطهم شيئاً .

قال محمد بن المُنتشر : فإني لأمُرُّ يوما في السوق إذا صائح بي : يا محمدْ . فالتفتُّ فإذا به معرْوضاً على

---

(١) كناية عن كثرة الطعام ووفرة الخيرات .

(٢) استأداه : طلب منه أداء ما عليه .

حمار ، مَوْثوق اليدين والرجلين فخِفْتُ الحجاج إن أتيتُه ، وتذممت (١) منه . فملتُ إليه فقال لي : إنك وليت مني ما ولي هؤلاء ، فَرفَقْتَ بي فأحسنت إلي ، وإنهم صنعوا بي ما ترى ، ولم أعْطهم شيئا . وها هنا خمسمائة ألف عند فلان . فخذْها ، فهي لك .

قال : فقلت : ما كنتُ لآخذ منك على معروفٍ أجْراً ، ولا لأرْزأك على هذه الحالِ شيئاً .

قال : فأما إذ أبَيْتَ فاسمع أُحدِّثك : حدثني بعض أهل دينك عن نبيِّك صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا رضيَ اللهُ عن قوم أمطرهم المطرَ في وقته ، وجعلَ المال في سمحائهم ، واستعملَ عليهم خيارَهم ، وإذا سَخِطَ الله على قوم استعملَ عليهم شِرارَهم ، وجعلَ المال عند بخلائهم ، وامطر المطرَ في غير حينه .

قال : فانصرفتُ ، فما وضعتُ ثوبي حتى آتاني رسولُ الحجاج يأمرني بالمسيرِ إليه . فألفيته جالساً على فرْشه . والسيفُ مُنْتضى في يده . فقال لي : ادْنُ .

---

(١) تذممت منه : أي استحييت منه ، واستنكفت .

فدنوتُ شيئاً ، ثم قال : اُدْنُ . فدنوتُ شيئا . ثم صاح الثالثة : اُدْنُ . لا أبالكَ ! ! فقلت : مابي إلى الدُّنوِّ من حاجة . وفي يد الأمير ماأرى . فأضحكَ الله سنَّهُ ، وأغمدَ عني سيْفَه . فقال لي : اجلس . ماكان من حديث الخبيث ؟

فقلت له : أيُّها الأميرُ . والله ماغششتُكَ منذ استنصحتني ، ولا كذبتُكَ منذ اسْتخبرْتني ، ولا خنتُكَ منذ ائتمنتَني . ثم حدّثتُه الحديث .

فلما صرتُ إلى ذكر الرجل الذي المالُ عنده أعْرضَ عنّي بوجهه ، وأوْمأَ إليَّ بيده . وقال : لاتُسَمِّه . ثم قال : إنَّ للخبيثِ نفساً ، وقد سمعَ الأحاديثَ ! !

* * *

الباب الثالث

كَلامُ الأَحْنَف(١)

رأى مع رجل درهماً ، فقال : تحبُّه ؟ قال : نعم . أما إنه لاينفعكُ حتى تفارقَه .

قال : ماعرضتُ الإنصاف على رجل فقبِلَه إلا هِبْتُهُ ، ولا أباهُ إلا طمعتُ فيه .

وقال : لأَذىً تحكك في ناحية بيتي أحبُّ إليَّ من أيِّم رددتُ عنها كُفْواً .

وقيل له : من السيِّدُ ؟ قال : الذليلُ في نفسه ، الأحمقُ في مالِه ، المعْنيُّ بأمر قومه ، الناظر للعامَّة .

وقال : رُبَّ رجلٍ لاتُملُّ فوائده وإنْ غاب ، وآخر لايسلمُ جليسُه وإنْ احْترس .

وقال : كلُّ ملك غَدّار وكلّ دابَّة شرودٌ وكل امرأة خَؤوفٌ .

---

(١) الأحنف : هو الضحاك بن قيس بن معاوية يضرب به المثل في الحلم حتى قيل : « أحلم من الأحنف . » .

وقال : سهرتُ ليلةً في كلمة أرضي بها سلطاني ، ولا أسخطُ بِها ربيّ فما وجدتها .

وقيل له : ماالحلمُ ؟ قال : الرّضاءُ بالذّل .

وقيل لرجل : ليت طولَ حِلمنا عنك لايدعُو جهل غيرنا إليك .

وقال : أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكُم العار والنـــارَ .

وقال : وإياكَ والكسلَ والضجرَ ، فإنك إن كسلتَ لم تؤدِّ حقاً ، وإن ضَجِرت لم تصبرْ على حقٍّ .

وذكرَ رجلا فقال : لايحقر ضعيفاً ، ولا يحسدُ شريفاً.

وقال : الشريفُ مَن عُدّت سقطاتُه .

وقيل له : مااللّؤمُ ؟ قال : الاستعصاءُ على الملهوف(١) . قيل : فما الجود ؟ قال : الاحتيالُ للمعروف .

وسمع رجلا يقول : مابتُّ البارحة من وَجَع ضرسٍ .

---

(١) الاستعصاء على الملهوف : يقصد التلكؤ في نجدة صاحب الحاجة .

وجعل يُكثر ، فقال له الأحنفُ : كم تكثرُ ! ! فوالله لقد ذهبتْ عيني منذ ثلاثين سنة ، فما قلتُ لأحد .

وقال : لستُ بحليم ولكني أتحالم .

وقال يومَ قُتل مُصْعَبٌ : انظروا إلى المُصْعَبِ ، على أي دَابَّة يخرجُ ؟ فإن خرج على بِرْذَوْن(١) فهو يريد الموتَ ، وإن خرج على فرس فهو يريد الهربَ .

قال : فخرج على برذونٍ يجرُّ بَطْنَهُ .

وقال الأحنفُ : استميلُوا النِّساء بحسنِ الأخلاق وفُحْشِ النِّكَاح .

وقال : وجدتُ الحلمَ أنصرَ لي من الرِّجال .

وقال له رجلٌ : بِمَ سُدْتَ ؟ قال : بتَرْكي من أمرك مالا يَعنيني ، كما عَنَاكَ من أمري مالا يعنيكَ .

وقال : من حقِّ الصديق أن تُحتمل له ثلاثٌ : ظلمُ الغضب ، وظلمُ الدالّة ، وظلمُ الهَفْوةِ .

خطب معاويةُ مرة ، فقال : إن الله يقول في كتابه :

---

(٢) البرذون : تطلق هذه التسمية على غير العربي من الخيل .

« وإن مِّن شيءٍ إلاَّ عندنا خزائنُه » (١) فعلامَ تلومونني إذا قصرتُ في أعطياتكم ؟

فقال الأحنفْ : فجعلته أنت في خزائنك ، وحُلْتَ بيننا وبينه ولم تُنزله إلا بقدرٍ معْلومٍ .

وقال : مانازعني أحدٌ قطُّ إلا أخذتُ عليه بأمورٍ ثلاثة : إن كان فوقي عرفتُ له قدرَهُ . وإن كان دوني أكرمتُ نفسي عنه ، وإن كان مثلي تفضلتُ عليه .

وقام بصفِّين ، فاشتد ، فقيل له : أينَ الحِلْمْ ياأبا بحْرٍ ؟ قال : ذاك عند عُقْر الحيِّ(٢) .

وقال : لاتشاور الجائعَ حتى يشبعَ ، ولاالعطشانَ حتى يَرْوى ، ولا الأسيرَ حتى يُطلقَ ، ولا المضَلَّ حتى يجدَ ، ولا الراغبَ حتى ينجحَ .

وأتى مصعبَ بنَ الزبير(٣) يكلِّمه في قومٍ حبسهم ، فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، إن كانوا حُبِسُوا في باطل فالحقُّ يُخرِجُهم وإن كانُوا حُبِسوا في حقٍّ فالعفوُ يسعُهم ، فخلاهُم .

---

(١) سورة الحجر : ٢١ .

(٢) يقصد بقوله : عقر الحي وقت السلم لا وقت الحرب حيث يكون مقيماً بحيه وبلده .

(٣) مصعب بن الزبير بن العوام ، وأخوه عبيد الله بن الزبير وأمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

وقال : السُّؤددُ ، مع السوادِ . يريد أن السيّدُ مَن أتته السّيادةُ في حداثته وسَواد رأسه ولحيته .

وجلس على باب زياد ، فمرّتْ به ساقيةٌ ، فوضعت قربتها ، وقالت : ياشيخُ . احفظْ قربتي حتى أعود ، ومضتْ ، وأتاهُ الآذنْ(١) فقال : انهضْ . قال : لا ، فإن معي وديعةً . وأقام حتى جاءت .

وشتمه يوماً رجلٌ وألحَّ عليه فقال لهْ : يابنَ أُمّي . هل لك في الغداء ؟ فإنك منذُ اليوم تَحْدُو بجَملٍ ثَفالٍ (٢).

وقال : كُنا نختلفُ إلى قيسِ بنِ عاصم(٣) في الحِلْم ، كما يُختلفُ إلى الفُقهاءِ في الفقه .

---

(١) الآذن : الحاجب .

(٣) جمل ثفال بفتح الثاء والثفال من الإبل البطيء الثقيل الذي لا يكاد ينبعث .

(٣) قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟! قال من قيس بن عاصم المنقري ، رأيته قاعدا بفناء داره ، محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه ، حتى أتي برجل مكتوف ورجل مقتول . فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ، فو الله ما حل حبوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه فقال : يا ابن أخي ، أثمت بربك ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : يا بني قم فوار أخاك ، وحل كتاف ابن عمك ، وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة .

وشتمه رجلٌ ، فسكت عنهُ ، فأعاد ، فسكت ، فقال الرجلُ : والهفاهُ . مايمنعهُ أن يردَّ عليَّ إلا هَواني عليه .

وقال الأحنفُ : مَن لم يصبر على كلمة سمعَ كلماتٍ ، ورُبَّ غيظٍ قد تجرَّعتُهُ مخافةَ مَا هُوَ أشدُّ منهُ .

وكان إذا أتاهُ إنسانٌ أوسعَ لهُ ، فان لم يجد موضعاً تحركَ ليريه أنه يوَسعُ له .

وقال : ماجلستُ قطُّ مجلساً . فخفتُ أن أقامَ عنهُ لغيري .

وكان يقولُ : إياك وصدرَ المجلس فإنه مجلسٌ قُلعةٌ (١) .

وقال : خيرُ الإخوان مَنْ إذا استغنيتَ عنه لم يزدْكَ في المودةِ ، وإن احتجتَ إليه لم يَنقصْك منها ، وإن كُوثرتَ عَضَّدَكَ ، وإن احتجتَ إلى معونته رَفَدك .

وقال : العتابُ مفتاحُ التَّقالي ، والعتابُ خيرٌ من الحقد .

---

(١) مجلس قلعة : إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرة بعد مرة .

وكان يقول : ما تزالُ العربُ بخير ما لبست العمائمَ ، وتقلدت السيوف ولم تَعُدَّ الحِلْمَ ذُلاً ولا التواهبَ بينها ضِعةً .

قوله : لبست العمائمَ ؛ يريد ما حافظتْ على زيِّها .

وقال : ما شاتمتُ أحداً منذُ كنتُ رجلاً ، ولا زحَمتْ رُكبتايَ ركبتيه ، وإذا لم أصل مُجتدِيَّ حتى ينتح جبينه ، كما تنتح الحميتُ (١) ، فوالله ما وصلتُه .

وقال : إني لأُجالسُ الأحمقَ الساعةَ فأتبيَّنُ ذلك في عقلي .

وقال له معاويةُ : بلَّغني عنك الثقةُ . فقال : إن الثقةَ لا يبلِّغُ .

وعُدَّت على الأحنف سَقطةٌ ؛ وهو أن عَمرو بن الأهتم (٢) دسَّ إليه رجلاً ليسفِّهه . فقال : يا أبا بحر : مَن كان أبوك في قومه ؟ قال : كان من أوْسطهم ،

---

(١) الحميت من كل شيء : المتين ، والحميت : وعاء السمن .

(٢) هو عمر بن سنان الأهتم التميمي المنقري ، ولقب أبوه بالأهتم لأن ثنيته هتمت يوم الكلاب . وكان عمرو هذا من عظماء بني تميم وساداتهم ، ومن شعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والإسلام وقد وفد على الرسول عليه السلام هو والزبرقان بن بدر وأسلما . وقد توفي عمرو سنة ٥٧ هـ .

لم يسدْهم ولم يتخلف عنهم . فرجع إليه ثانيةً ، ففطن الأحنفُ أنه من قِبل عمرو . فقال : ما كان مالُ أبيك ؟ قال : كانت له صرمةٌ (١) يمنح منها ، ويقري (٢) ولم يكُن أهتَم سلاَّحا .

وسمع رجلاً يقول : التعلُّم في الصِّغر ، كالنّقْش على الحجر . فقال الأحنفُ: الكبيرُ أكبرُ عقْلا ، ولكنه أشْغلُ قلْباً .

ولما قدمَ علَى عُمَرَ في وفْد أهْل البصرة وأهل الكُوفة فقضَى حوائجهُم قالَ الأحنفُ : إن أهل هذه الأمصار نزلُوا على مثل حدقة البعير ، من العيون العذاب تأتيهم فواكهُهم لم تتغيرْ . وإنا نزلنا بأرض سبخة نشاشة (٣) ؛ طرفٌ لها بالفلاة ، وطرفٌ بالبحر الأُجاج (٤)

---

(١) صرمة يمنح منها : الصرمة القطعة من الإبل ما بين العشرة إلى الأربعين .

(٢) قرى الضيف يقريه قرى بالكسر والقصر ، والفتح والمد : أضافه ، كاقتراه.

(٣) أرض سبخة نشاشة : لا يجف ثراها ، ولا ينبت مرعاها ، والذي يقصده الأحنف بقوله « نزلنا سبخة نشاشة » : البصرة . أي نزازة تنز بالماء .

(٤) الأجاج : الملح المر .

يأتينا ما يأتينا في مثل مَرِيء النعــامة ، فإن لم ترفع خَسيستنا(١) بعطاءٍ تُفضّلُنا به على سائر الأمصار نهلك.

قيل : لما أجمعَ مُعاويةُ على البيعة ليزيدَ جمع الخطباءَ فتكلموا — والأحنفُ ساكتٌ — فقال : يا أبا بحر . ما منعكَ من الكلام ؟ قال : أنت أعلَمنا بيزيدَ ليلِه ونهارِه وسرِّه ، وعلانيتِه ؛ فإنْ كنتَ تعلمُ أن الخلافةَ خيرٌ لهُ فاستخلفْه وإن كنت تعلمُ أنها شرٌّ له فلا تُوَلِّه الدُّنيَا وأنت تذهبُ إلى الآخرة ؛ فإنما لك ما طابَ ، وعلينا أن نقُول : سمعنا وأطعنا .

وقال الأحنفُ : المروءةُ كلُّها إصلاحُ المالِ ، وبذلُه للحقوق .

* * *

---

(٣) ترفع خسيستنا : رفعت من خسيسته : إذا فعلت به أمراً يكون فيه رفعته .

البـــاب الرابـــع

كلامُ المُهلَّبِ ووَلَدِه (١)

قيل للمهلَّب : ما النُّبلُ ؟ قال : أن يخرجَ الرجلُ من منزله وحده ، ويعود في جماعة .

وقال : ما رأيتُ الرجال يضيقُ قلوبُها عند شيء كما تضيقُ عند السرِّ .

خطب يزيدُ بنُ المهلب بواسط (٢) فقال : إنِّي قد أسمع قول الرَّعاع : قد جاء مسلمةُ وقد جاء العباسُ ، وقد جاء أهلُ الشام . وما أهلُ الشام إلا تسعةُ أسياف : سبعةٌ منها معي ، واثنان عليَّ . وأما مَسْلَمَةُ فجرادةٌ

---

(١) هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي البصري . نشأ في دولة بني أمية ، ثم أمره مصعب بن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه عبد الله بن الزبير ، ثم ولاه عبد الله خراسان ، وهو الذي قاتل الخوارج ، وكسر شوكتهم ، وقد توفي زمن ولاية الحجاج الثقفي سنة ٨٣هـ وأما أولاده فهم : المغيرة ، ويزيد ، وقبيصة ، وعبد الملك ، وحبيب ، ومحمد ، والمفضل ، ومدرك .

(٢) واسط : موضع بين البصرة والكوفة .

صفراءَ ، وأما العباسُ فنسطوسُ (١) بنُ نسطوس ، أتاكم في برابرة (٢) وصقالبة (٣) .

ومن كلام المهلّب : عجبتُ لمن يشتري المماليك بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعروفه .

وقال يزيدُ بن المهلب لابنه مُخلّد — حين ولاه جُرجان : استظرفْ كاتبك ، واستعقلْ حاجبك .

قال حبيبُ بن المهلب : ما رأيت رجلا مُستلئماً (٤) في الحرب إلا كان عندي رجلين ، ولا رأيت حاسرين (٥) إلا كانا عندي واحداً .

---

(١) نسطوس : اسم رومي يشير إلى أصل العباس بن الوليد حيث كانت أمه رومية .

(٢) البرابرة : جمع بربري ، وهي تطلق في مصر على النوبيين أو البرابرة ، كما يعرفون عادة بهذا الاسم الآن . وموطنهم الوادي العلوي لنهر النيل من الجهات المجاورة لأسوان . وهم جنس خفيف الحركة ، نشط ، يتعلمون بسرعة اللغة العربية أو أية لغة . ودينهم الإسلام . والبرابرة جيل بالمغرب .

(٣) الصقالبه : هم جيل من الناس بين بلاد البلغار والقسطنطينية .

(٤) رجلا مستلئما : أي لابساً اللأمة ، وهي لباس الحرب .

(٥) الحاسر : من لا مغفر له ، ولا درع ، أو لا جنة له .

فسمع بعض أهل المعرفة هذا الكلام ، فقال : صدق : إن للسلاح فضيلةً . أمَا تراهم ينادون عند الصَّريخ : السِّلاح السلاح ، ولا ينادُون : الرِّجال ، الرجال .

قيل ليزيد بن المهلب : ألا تبني داراً ؟ فقال : مَنزلي دار الإمَارة أو الحبس .

أغلظ رجلٌ للمهلب ، فحلم عنه ، فقيل له : جَهِل عليك وتحلُمُ عنه ؟ فقال : لم أعرف مسَاويَه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .

قال يزيدُ بن المهلب : ما رأيتُ عاقلا ينوبُه أمرٌ إلا كان مقولُه على لَحْيَيه (١) .

وقيل له : إنك لتُلْقي نفسَك في المهالك. قال : إني لَسْتُ آتي الموت من حُبِّه ، وإنما آتيه من بغضه ، ثم تمثل :

تَأخَّرْتُ أستَبْقي الحياة فلمْ أجِدْ
لنَفْسي حَيَاةً مثل أنْ أتَقَدَّمَا (٢)

---

(١) لحييه : اللحي : منبت اللحية . والمراد : بدا على وجهه ما يريد أن يقوله .

(٢) قائل البيت : هو الحصين بن الحمام من قصيدة مشهورة .

كتب المهلب إلى الحجاج لما ظَفِر بالأزارقة (١) :
الحمدُ لله الذي كفَى بالإسلام فقدَ ما سواه ، وجعل الحمد متصلا بنعَمه ، وقضى ألا ينقطع المزيدُ من فضله ، حتى ينقطع الشكرُ من عبَاده ثم إنا وعَدوَّنا كنا على حالين مُختلفتين ؛ نرى فيهم ما يسرُّنا أكثر مما يسوءُنا ، ويرون فينا ما يسُوءُهم أكثر ممَا يسرُّهم . فلم يزل الله يكثرُنا ويمحقُهم ، وينصرنا ويخذلُهم ، على اشتداد شوكتهم ؛ فقد كان علَنَ أمرُهم حتى ارتاعَت له الفتاة ، ونُوِّم به الرضيع ، فانتَهزْتُ منهم الفرصة في وقت إمكانها ، وأدنَيْتُ السواد ، من السَّواد حتى تعارفَت الوُجوهُ . فلم نزلْ كذلك حتى بلغ بنا وبهم الكتابُ أجَله . ((فقُطِع دابرُ القوم الذين ظَلَمُوا والحمدُ لله ربِّ العالمين)) (٢) .

وقال المهلب لبنيه : يا بَنيَّ ؛ إذا غدا عليكم الرجل ، ولاح مُسلِّماً ، فكفَى بذلك تقاضياً .

---

(١) الأزارقة : إحدى فرق الخوارج ، وتنسب إلى نافع بن الأزرق .
(٢) سورة الأنعام : ٤٥ .

وقيل له : أيُّ المجالس خيرٌ ؟ قال : ما بَعُدَ فيه مَدى الطرْف ، وكَثُرتْ فيه فائدةُ الجَليس .

قال المهلبُ : العيش كلُّه في الجليس المُمتع .

وكتب إليه الحجاجُ : أما بعدُ . فإنك تتراخى عن الحرب حتى يأتيك رُسلي . فيرجعوا بعُذْرك ، وذلك أنك تُمسكُ حتى تبرأ الجراحُ ، وتُنسى القتْلى ، ويجُمَّ الناسُ ، ثم تلْقاهم فتحتمل منهم مثْل ما يحتملون منك من وحشة القتْل ، وألم الجراح . ولو كُنت تلْقاهُم بذلك الجد لكان الداءُ قدْ حُسم ، والقرنُ قد قُصِم . ولعَمْري ما أنت والقومُ سواءٌ ؛ لأن مَن وراءك رجالاً ، وأمامَك أموالا . وليس للقوم إلا ما معهم ، ولا يُدركُ الوجيفُ (١) بالدبيب ولا الظفَر بالتعذير .

فكتب المهلب إليه : أما بعدُ . فإني لم أعطِ رسلكَ على قول الحقِّ أجراً ، ولم أحتجْ منهم مع المشاهدة إلى تلقين . ذكرت أني أجُمُّ القوم ، ولابدَّ من راحة يستريح فيها الغالبُ ، ويحتال فيها المغلوبُ ،

---

(١) الوجيف : ضرب من سير الإبل والخيل ، وأوجف دابته إذا حثها .

وذكرت أنَّ في الجمام ما يُنسي القتلى ، ويُبرىءُ الجراح . وهيهات أنْ يُنسى ما بيننا وبينهم ؛ تأْبَى ذلك قتلَى لم تُجبَنّ ، وقروح لم تُتقرف (١) . ونحن والقوم على حالة وهم يرقُبون منا حالاتٍ ، إن طمعُوا حاربوا ، وإن ملُّوا وقفوا ، وإن يئسُوا انصرفوا ، وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا ، ونتحرز إذا وقفُوا ، ونطلب إذا هربوا ؛ فإنْ تركتني والرأي كان القرنُ (٢) مفصُوما ، والداءُ - بإذن الله - محسُوماً ، وإن أعجلتني لم أُطعْك ، ولم أعصِ ، وجعلتُ وجهي إلى بابك وأنا أعوذ بالله من سَخط الله عزّ وجل ومَقت النّاس !

* * *

(١) تقرفت القرحة : تقشرت .

(٢) كان القرن مفصوما : القرن من معانيه السيف أو النصل ، والجمع قرون وقران . مفصوماً : مقطوعاً .

البــاب الخامس

كلام أبي مسلم (١)

قيل له : ماكان سببُ خروجِ الدولة عن بني أُميةَ ؟ فقال : ذلك لأنهم أبعدُوا أولياءهم ثقةً بهم ، وأدنَوْا أعداءهم تألُّفاً لهم ، فلم يصر العدوُّ بالدُّنو صَديقاً وصار الصديقُ بالبعاد عدُوّاً .

وقيل له في حداثته : إنا نراك تأرق كثيراً ، ولا تنام كأنك مُوَكلٌ برَعي الكوَاكب ، أو مُتوقّعٌ للوَحي من السماء . فقال : والله ماهو ذاك ، ولكن لي رأيٌ جوالٌ ، وغريزةٌ تامةٌ ، وذهنٌ صافٍ ، وهمةٌ بعيدةٌ ونفسٌ تَتوُقُ إلى معالي الأمور مع عيشٍ كعيش الهمَج والرَّعاع ، وحَال مُتناهية من الاتّضاع ، وإنّي لأرى بعضَ هذا مصيبةً لاتُجبرُ بسهر ، ولاتُتَلافَى بأرق.

قيل له : فما الذي يُبْرِدُ غَليلك ، ويشفي أُجَاج صدرك ؟ قال : الظفرُ بالمُلك .

---

(١) أبو مسلم الخراساني : أحد أعلام الفرس الخارجين على بني أمية ، والثائرين على حكمهم ، والممهدين لقيام دولة بني العباس سنة ١٣٢هـ قتله أبو العباس السفاح خوفا منه سنة ١٣٦هـ .

قيل له : فاطلبْ . قال : إن المُلك لايطلب إلا بركوب الأهوال . قيل : فاركبِ الأهوال : قال : هيهاتَ . العقلُ مانعٌ من ركوبِ الأهوال . قيل فما تصنع وأنت تبْلَى حسرةً وتذوب كمداً ؟ قال : سأجعلُ من عقلي بعضه جهلاً ، وأحاول به خطراً ، لأنالَ بالجهل ما لا يُنال إلا به . وأدبِّر بالعقل مالا يحفظ إلا بقوته ، وأعيش عيشاً يُبين مكان حياتي فيه من مكان موتي عليه ، فإنّ الخمولَ أخو العدم والشُّهرةَ أبو الكون .

قال رجلٌ من أهل العراق : أوصاني أبو مُسلم وآنسني ، ثم سألني ، فقال : أيُّ الأعراض أدنى ؟ فقلت : عِرْضٌ بخيل . قال : كلاّ . رُبَّ بُخْلٍ لم يَكْلُم عِرْضاً . قلت : فأيها أصلح الله الأميرَ ؟ قال : عرضٌ لم يرتع فيه حربٌ ولا دمٌ .

قال أبو زيد : سمعت رؤبة (١) يقول : مارأيت أروى لأشعارنا من أبي مُسلم من رجل يرتضخ لُكْنةً . قال أبو زيد : وإذا قال رؤبة لرجل يرتضخ لكنة فهو من أفصح الناس .

* * *

(١) رؤبة بن العجاج المصري التيمي السعدي . كان هو وأخوه من المدونين في الرجز ، وكان عارفا باللغة ، وحشيها وغريبها . والروبة : جريرة اللبن ، والرؤبة بالهمزة : القطعة من الخشب يشعب بها الإناء ، توفي سنة ١٤٨هـ .

الباب السادس

كلامُ جماعةٍ مِنَ الأمراءِ

خطب يوسفُ بنُ عُمر(١) ، فقال : اتقوا الله عبادَ الله . فكم من مُؤمِّلٍ أملاً لايبلغُهُ ، وجامعٍ مالاً يأكلُه ، ومانعٍ ماسوف يتركُه ، ولعلّه من باطلٍ جمَعَهُ ، ومن حقٍّ منعه . أصابه حراما وورّثه عدُوا ، واحتمل إصرُه(٢) ، وباءَ بوزرِهِ ، وورَد على ربِّه آسفاً لاهفاً خسر الدُّنيا والآخرة « ذلك هُوَ الخسْران المبينُ » (٣).

صَعِدَ وَرْدُ بنُ حاتم المنبرَ ، فلما رآهم قد فتحُوا أسماعهم ، وشقّوا أبْصارهم نحوه قال : نكِّسوا رؤوسكم ، وغُضُّوا أبْصاركم ، فإن أوَّل مركبٍ صعبٌ ، وإذا يسّر اللهُ فتْحَ قُفْلٍ تيسّرَ .

---

(١) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ، وهو ابن عم الحجاج .

(٢) الإصر : العهد الثقيل . وأصل الإصر : الثقل والشد ؛ لأنها أثقل الأيمان وأضيقها مخرجا

(٣) سورة الحج : ١١ .

كان يوسفُ بنُ عُمر يقول : كان الحَجّاج الدُّخانَ وأنا اللهب ؟

قام خالدُ(١) بنُ عبد الله على المنبر بواسط خطيباً . فحمدَ الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى اللهُ عليه وسلم ثم قال : أيُّها الناسُ تنافسُوا في المكارم ، وسارعُوا إلى المغانم ، واشترُوا الحمدَ بالجُود ، ولاتكتسبُوا بالمَطْل ذماً ولاتعتدُّوا بالمعروف مالم تُعجِّلُوه ، ومهما يكُن لأحدكم عند أحد نعمةٌ فلم يبلُغ شكرَها فالله أحسنُ لها جزاءً وأجزلُ عليها عطاءً . واعلمُوا أن حوائجَ النّاس إليكُم نِعَمٌ من الله عليكُم ، فلا تملُّوا النِّعم فتتحولَ نقماً . وأعلمُوا أن أفضلَ المال ما أكسبَ أجراً ، وورَّث ذكراً ، ولو رأيتُم المعروف رجلاً رأيتموهُ حسناً جميلا يسرُّ الناظرين ويفُوقُ العالمين . ولو رأيتم البُخل رجلاً رأيتمُوه مُشوَّهاً قبيحاً تنفر عنهُ القُلوبُ وتغضِي عنهُ الأبصارُ . أيها الناسُ : إن أجودَ الناس من أعطى مَنْ لايرجُوهُ ، وأعظمَ الناس عفواً مَن عفا عن قُدرة ، وأوصلَ الناس من وصلَ من قطعهُ ومن لم

---

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري . ولاه الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩هـ ، وولي العراقين في عهد هشام بن عبد الملك.

يطبْ حرثُه لم يزْكُ نبتُه . والأصولُ عن مغارسها تنمُو ، وبأصولها تسمو . أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكُم .

أراد رجلٌ أن يمدحَ رجلاً عند خالد بن عبد الله ، فقال : والله لقد دخلتُ إليه فرأيته أهدى الناس داراً وفرشاً وآلةً . فقال خالدٌ : لقد ذممتهُ من حيثُ أردت مدحهُ هذا والله حالُ من لم تدعْ فيه شهوتُهُ للمعروف فضلاً .

حدث بعضْهم قال : لما وَليَ أبُو بكر بنُ عبد الله المدينة وطال مُكثُهُ عليها كان يبلُغُهُ عن قوم من أهلها تناولٌ لأصحاب رسُول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسعافٌ من آخرين لهُم على ذلك ، فأمر أهل البُيوتات ووجوه الناس في يوم جُمعة أن يقربُوا من المنبر ، فلما فرغ من خطبة الجُمعة قال : « أيُّها الناسُ : إنِّي قائلٌ قولاً ، فمن وعاهُ وأداهُ فعلى الله جزاؤه ومن لم يعه فلا يَعْدَمَنَّ ذماً مهما قصرتُم عنْهُ من تفْصيله فان تعجزُوا عن تحصيله ، فارْعُوه أبصاركُم ، وأوعُوهُ أسماعكُم ، وأشْعرُوه قُلُوبكُم . فالموعظةُ حياةٌ والمؤمنُون

إخْوةٌ . وعلى الله قصدُ السبيل ، ولو شاءَ لهداكُم أجمعين(١) فأتوا الهدى تهتدوا ، واجتنبوا الغيّ ترشُدوا «(وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)»(٢). والله جلّ ثناؤه ، وتقدستْ أسماؤه أمرَكم بالجماعة ، ورضيَها لكم ، ونهاكم عن الفرقة ، وسخطها منكم «(اتقوا الله حق تُقاته ولاتموتنّ إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحَبل الله جميعا ولا تفرّقوا واذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ كنتمْ أعداءً فألّفَ بين قلوبكم فأصبحتُمْ بنعمته إخوانا وكنتم على شَفا حُفرةٍ من النارِ فأنقذكمْ منها)»(٣) جعلَنا اللهُ وإياكم ممن تتبّعَ رضوانَه ، وتجنبَ سخطه ، فإنما نحن به وله .

إن الله بعثَ محمداً صلى الله عليه وسلم بالدّين ، واختاره على العالمين ، واختار له أصحابا على الحقّ ،

(١) يقتبس من الآية ٩ من سورة النحل « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين » .

(٢) سورة النور : ٣١ . واولها : « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ... » .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣ .

ووزراءَ دونَ الخلق ، اختصهم به ، وانتخبهم له ، فصدَّقوه ، ونصروه ، وعزّروه(١) ، ووقروه ، فلم يتقدموا إلا بأمره ، ولم يُحْجموا إلا عن رأيه ، وكانوا أعوانه بعهده ، وخلفاءه من بعده ، فوصفهم فأحسن صفتهم ، وذكرهم فأثنى عليهم ، فقال وقوله الحقُّ : «(محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداءُ على الكفارِ رُحَمَاءُ بينهم تراهم رُكَّعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فضلاً من اللهِ ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السُّجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرجَ شطأَه فآزره فاستغلظَ فاستوى على سوقه يُعجبُ الزُّراعَ ليغيظَ بهم الكفارَ وعدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ منهم مَغْفِرَةً وأجراً عظيماً)» (٢) .

فمن غاظوه فقد كفرَ ، وخابَ ، وفجرَ ، وخسرَ ، وقال عز وجل : ((للفقراءِ المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغونَ فضلاً من الله ورضواناً وينصرونَ اللهَ ورسولَه أولئك هُمُ الصادقون . والذين تبوءُوا

(١) عزروه : نصروه وقووه .

(٢) سورة الفتح : ٢٩ .

الدارَ والإيمانَ من قبلهم يُحبّون مَن هاجرَ إليهم ولا يجدونَ في صدورهم حاجةً مما أُوتوا ويؤثرونَ على أنفسهم ولو كانَ بهم خصاصَةٌ ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأُولئك هُمُ المفلحون . والذينَ جاءُوا من بعدهم يقولون ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعلْ في قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا ربنا إنك رؤُفٌ رحيمٌ)) (١)

فمن خالف شريطة الله عليه لهم ، وأمْرَه إياه فيهم ، فلا حقَّ له في الفيء ، ولا سَهمَ له في الإسلام في آيٍ كثيرةٍ من القرآن . فمَرَقتْ مارقةٌ من الدِّين وفارقوا المسلمينَ ، وجعلوهم عِضين (٢) وتشعّبوا أحزاباً أشابات (٣) ، وأوشابا ، فخالفوا كتاب الله فيهم ، وثناءَه عليهم ، وآذوا رسولَ الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فيهم ، فخابوا ، وخسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . ((أفمن كان على بَيِّنة من ربِّه كمَنْ زيِّن له سوءُ عَمله واتَّبعوا أهواءَهم)) (٤) .

---

(١) سورة الحشر : ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) عضين : العضة — كعدة : الفرقة ، والقطعة ، والكذب .

(٣) أشابات : الأشابة — بالضم : الأخلاط ، ومن الكسب : ما خالطه الحرام .

(٤) سورة محمد : ١٤ .

وقال قتيبةُ : إن الحريصَ يستعجلُ الذلة قبلَ إدراكِ البُغيةِ .

أهدى عبيدُ الله بن السّدي إلى عبدِ الله بنِ طاهر لما وَلي مصرَ ، مائةَ وصيفٍ ، مع كلِّ وصيف ألفُ دينارٍ ، ووجهَ بذلك ليلاً . فردّه ، وبَعَث إليه : لو قبلتُ هديتَك ليلا لقبلتُها نهاراً وما ((آتانيَ اللّهُ خيرٌ مما أتاكم بلْ أنتم بهديتكم تفرَحُون)) (١) .

قال المأمونُ لطاهرِ بنِ الحسين : صفْ لي عبدَ الله ابنَك . قال : إن مدَحتُه هجَنتُه ، وإن هجوتُه ظلمتُه . ولدَ الناسُ ابناً ، وولدت ابناً يُحسِن ما أُحسن ولا أُحسن ما يحسن .

ولىّ عبدُ الله بن طاهر رجلاً بريد ما وراء النهر ، فكتب إليه : إنّ ها هنا قوماً من العرب قد تَعَصَّبُوا ، وتأشّبوا (٢) ، وأظنّ أمرَهم سيرتقي إلى ما هو أغلظ منه .

---

(١) سورة النمل ٣٦ . وأولها « فما آتاني .. » .

(٢) تأشبوا : اجتمعوا واختلطوا .

فكتب إليه عبدُ الله : إنما بُعِثْتَ للأخبار السابقة والحوادثِ الظَّاهرَة لا للكهانة والتظنّي (١) .

قال عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهر : لا ينقضي عَجبي من ثلاثة : إفلاتِ عبّاس بن عمرو من القرمطيّ ، وهُلْكِ أصحابه ، ووقوعِ الصغار ، وإفلاتِ أصحابه . وولاية ابني الجسريْن وأنا متعطّل .

وقال محمدُ بن عبد الله بن طاهر لولده : عِفُّوا تشرُفوا ، واعشقوا تَظْرُفوا

وقال عُبيدُ الله بن عبد الله في علته : لم يبق علي من بأس الزمانِ إلا العلةُ والخلّةُ (١) وأشدُّهما علي أهونُهما على الناس . ولأنَّ ألمَ جسمي بالأوجاع أهون عليَّ من ألم قلبي للحقِّ المُضاع .

جرَى ذكرُ رجل في مجلس سَلم بنِ قُتيبة (٢) ،

(٣) التظني : إعمال الظن ، وهو اتهام الإنسان بلا دليل ، والكهانة القضاء بالغيب .

(١) الخلة : الحاجة والفقر ، والخصاصة .

(٢) سلم بن قتيبة : هو سلم بن قتيبة الباهلي الخرساني ، أبو عبد الله : ولي البصرة ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان بن محمد ، ثم وليها في أيام أبي جعفر المنصور ، فكان من الموثوق بهم في الدولتين (الأموية والعباسية) وكان من عقلاء الأمراء ، عادلا حسنت سيرته ، ومات بالري .

فنال منه بعضهم ، فأقبل سَلمٌ فقال : يا هذا : أوحَشْتَنا من نفسك ، وأيأستنا من مَودّتِك ، ودَلَلْتَنا على عورتِك.

قال بعضهم : كنت عند يزيد بن حاتم بإفريقية ، وكنتُ به خاصّاً فعرضَ عليه تاجرٌ أدْراعاً ، فأكثر تَقليبها ، ومزاولةَ صاحبها . فقلت له : أصلحَ الله الأميرَ . فعلامَ تلوم السُّوقَ ؟ فقال : ويحَك ! ! إنّي لست أشتري أدراعاً إنما أشتري أعماراً .

قال المأمون لطاهرِ بنِ الحُسين : أشرْ عليّ بإنسان يكفيني أمرَ مصرَ والشّام . فقال له طاهرٌ : قد أصبته . قال : من هو ؟ قال : عبدُ الله ابني ، وخادمُك ، وعبدُك . قال : كيف شجاعتُه ؟ قال : معه ما هو خيرٌ من ذلك . قال له المأمون : وما هو ؟ قال : الحزمُ .

قال : فكيف سخاؤه ؟ قال : معه ما هو خيرٌ من ذلك . قال : وما هو ؟

قال : التنزّه وخُلْفُ النفسِ .

مرضَ عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهر ، فركبَ إليه الوزيرُ ، فلما انصرف عنه كتب إليه عبدُ الله :

ما أعرف أحداً جَزى العِلَّة خيراً غيري ، فإني جزيتُها الخيرَ ، وشكرتُ نعمتَها علي ، إذ كانت إلى رُؤيتك مؤدِّيةً .

وكتب المأمونُ إلى طاهر يسألُه عن استقلالِ ابنه عبدِ الله .

فكتب طاهرٌ إليه : عبدُ الله — يا أميرَ المؤمنين — ابني . وإن مدحتُه ذممتُه وإن ذممتُه ظلمتُه . ولنعم الخلَفُ هو لأمير المؤمنين من عبده .

فكتبَ إليه المأمونُ : ما رضيتَ أنْ قرّظتَه في حياتك حتى أوصيتَنا به بعدَ وفاتك .

قال طاهرٌ : طولُ العمر ثائرُ (١) مولاه لأنه لا يُخْليك من رؤية محبة في عدو .

قال الكلبيُّ : قال لي خالدُ بنُ عبد الله بن يزيد القسري : ما يُعدُّ السُّؤددُ فيكُم ؟ فقلتُ : أما في الجاهلية فالرِّياسةُ ، وأما في الإسلام فالولايةُ ، وخيرٌ من هذا وذاك التقوى .

---

(١) الثائر : من لا يبقي على شيء حتى يدرك ثأره . والمراد أن طول عمر الإنسان يتيح له التشفي من خصومه لما ينزل بهم من مكروه .

فقال لي : صدقتَ .

كان أبي يقولُ : لم يُدرِكِ الأولُ الشرفَ إلا بالفعل ، ولا يُدرِكُ الآخِرُ إلا بما أدرك به الأوَّلُ .

قال : فقلت : صدقَ أبوك . ساد الأحنفُ بحلمه ، وساد مالكُ بنُ مِسمع بمحبة العشيرة له ، وساد قُتيبةُ بدهائه ، وسادَ المهلَّبُ بجميع هذه الخِلال .

فقال لي : صدقتَ . كان أبي يقولُ : خيرُ الناسِ للناس خيرُهُم لِنفسه . إنه إذا كان كذلك أبقى على نفسه من السرَق لئلا يُقطع ، ومِن القتْل لئلا يُقادَ ، ومِن الزِّنى لئلا يُحد ، فسَلِمَ الناسُ منه بابقائِه على نفسهِ .

قيل : وكان عَبدُ الله بنُ يزيدَ أبو خالد مِن عقلاء الرِّجال .

وقال له عبدُ الملك يوما : ما مالُك ؟ فقال : شيئان لا عَيْلةَ (١) عليَّ معهما : الرِّضا عن الله عزّ وجل ، والغِنى عَن الناس .

---

(١) لا عيلة : العيلة : الفقر .

فلما نهض مِن بين يَدَيه قيل له : هلا خبرته بمقدار مالِكَ ؟

فقال : لم يَعْدُ أن يكونَ قليلاً فيَحقِرَني ، أو كثيراً فيحْسدني .

وقيل لنصْرِ بنُ سَيَّار (١) : إن فلاناً لا يكتُبُ . فقال : تلك الزَّمانةُ الخفيةُ (٢) .

وقال : لولا أن عمرَ بن هُبيرةَ كان بَدويّاً ما ضبَط أعمالَ العراق ، وهو لا يكْتبُ .

اعتذر رجلٌ إلى مُسْلمِ بنِ قتيبةَ مِن أمرْ بلغهُ عنه ، فعذرهُ ثم قال له : يا هذا ؛ لا يحْملنك الخروجُ مِن أمر تخلصْتَ منه على الدُّخول في أمرٍ لعلك لا تتخلصُ منه .

وقال مُسلمُ بنُ قتيبة : الشباب الصِّحةُ ، والسُّلْطانُ الغنى ، والمروءةُ الصبرُ على الرجال .

وقال خالدُ بنُ عبدِ الله القسْريّ : يُحَمدُ الجودُ

---

(١) هو نصر بن سيار بن أبي رافع بن ربيعة الليثي قلده هشام أمر خراسان .

(٣) الزمانة الخفية : الزمانة : العاهة ، والمراد العيب المستمر الذي لا برء منه .

مَالَمْ يسْبقْه مَسْأَلةٌ ومالم يتْبعْه مَنٌّ ، ولم يُزْر به قُصُورٌ ، ووافق موضع الحاجة .

قال الرشيدُ لسعيد بن سَلْم : يا سعيدُ ، مَنْ بيتُ قيسٍ في الجاهلية ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين . بنُو فَزارة . قال : فمَنْ بيْتُهم في الإسلام ؟

قال : يا أميرَ المؤ منين : الشريفُ مَنْ شرّفتُموه . قال : صدقتَ : أنْت وقومُكَ .

قال بعضهم : رأيتُ نصْرَ بنَ سَيَّار(١) على المنبر بسَرْخس(٢) . وقد حسَر ذراعيه — وكان أشعرَ طويلَ الساعدَين — وهو يقول : اللهم إنك تعلمُ أن جعْفرَ بنَ محمد حدثني عن آبائه أن رسولَ اللّه — صلى اللّه عليه وسلم — قال : ما منْ أحد أنْعمَ على قوم نعمةً فكفرُوا نعمتَه ، فدعا الله عليهم إلا أُجيبتْ دعوته .

---

(١) نصر بن سيار : أحد ولاة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وكان نصر واليا على إقليم خراسان . وفي أيامه قام أبو مسلم الخراساني يدعوا لبني العباس ، فأرسل نصر إلى مروان يخبره بأمره في رسالة طويلة .

(٢) سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان بين نيسابور ، ومرو .

اللهم إنَّك تعلمُ أنيّ أحسَنْتُ إلى آلِ بسَّام فكفروا نعْمني .

اللهمَّ افعل بهم . ودَعَا عليهم .

قال : فلم يَحُلِ الحولُ وعلى الأرض منهم عين تطرف(١) ، وكانوا سبعين رجلاً ، كلُّهم قد ركبَ الخيلَ

كان أبو هبَيرة يقول : أعوذ بك من كلِّ شيطان مُسْتَغْرِب وكل نبطيٍّ مُستعرِب .

خطب بلالُ بنُ أبي بُردَةَ بالبصرة ، فعرف أنهم قد استحسَنوا كلامَه . فقال : لا يمنعنَّكم أقبحْ ما تعلمون فينا أن تقبلوا أحسنَ ما تسمعون منا .

* * *

(١) كناية عن فنائهم .

الباب السابع

فصولُ الكتّاب والوزراء وتوقيعاتٌ ونكتٌ من كلامِهِمْ ونوادرُهمْ

أمرَ المأمونُ أحمدَ بنَ يوسفَ(١) أن يكتبَ في الآفاق بتعليق المصابيح في المساجد في شهرْ رمضان . قال : فأخذتُ القرْطاس لأكتب ، فاستعْجم عليَّ ، ففكّرْتُ طويلاً ، ثم غشيتْني نعْسة فقيل لي : اكتبْ : فإنَّ في كثرة المصابيح إضاءةً للمتهجّدين ، وأنساً للسّابلة (٢) ، ونفياً لمكامن الرِّيب ، وتنزيهاً لبيوت الله عن وحْشة الظُّلم .

أهدى سعيدُ بنُ حُمَيْدٍ إلى المأمون في يوم

---

(١) هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجيم ، كاتب المأمون ، وكان عالي الطبقة في البلاغة . ووزر للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد .

(٢) السابلة : أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم . والجمع السوابل .

مهرجان خوان جزع (١) ، واتخذ ميلاً من ذهب بقدر ، وحمله معه . وكتب إليه : قد أهديتُ إلى أمير المؤمنين خوانَ جزع ميلاً في ميل . فاستحسَن ذلك وقبله .

وقَع جعفر بنُ يحيى(٢) في رُقعة مُتحرِّم به : هذا فتىً له حرمةُ الأمل ، فامتحنه بالعمل ؛ فإن كان كافيا فالسلطانُ له دوننا ، وإن لم يكن كافيا . فنحنُ له دونَ السُّلطان .

كتبَ أحمدُ بنُ يوسفَ إلى إسحاق الموصليّ(٣) — وقد زاره إبراهيمُ بنُ المهدي : عندي مَنْ أنا عندَه ، وحجتُنا عليك إعلامُنا إياك ذلك . قد آذنّاك .

---

(١) خوان جزع : يقصد مائدة مطلية باللون الأصفر ، أو مائدة ذات تقاسيم .

(٢) جعفر بن يحيى : هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، وزير هارون الرشيد . ولما قتله الرشيد رثاه الشعراء بقصائد كثيرة تدل على شدة حزنهم عليه ، وأملهم لديه . وكان قتله سنة ١٨٧ هـ .

(٣) إسحاق بن إبراهيم الموصلي : يكنى أبا محمد عالم أديب راوية للشعر بارع بالغناء والموسيقى .

فصل لأحمدَ بنِ يوسفَ .

أكثرُ من يلجأُ إلى الحيلةِ مَنْ عجز عن المبادأة والإصحار(١) ؛ وأكثر مَنْ يروم المنابذةَ مَنْ قصَّرَ عن لطيف الخُدَعِ ، وخَفِيِّ الاستدراج . والقَصْدُ مؤدٍّ إلى الرشَد .

تأخر إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصلي عن إبراهيمَ ابن المهدي ، فكتب إليه : لا عذْر لكَ في التأخُّرَ عنِّي ؛ فإنِّي لا أخلو من حالَيْنِ : سَخط أمير المؤمنين عليَّ فهو لا يكرهُ أن يُضرَّني ، أو رضاه عَنِّي فهو لا يكْرَه أن يسرني .

أمرَ المأمونُ عمْرَو بن مسعدةَ أن يكتبَ كتابَ عناية ، ويوجز . فكتب : كتابي كتابُ واثق بمن كتبْتُ إليه ، مَعْنيّ بمن كتبت له ، ولنْ يضيع بين الثِّقةِ والعنايةِ مُوَصِّله .

كتب أحمدُ بنْ يوسفَ إلى صديق له : كتبتُ إليك في الظُّهر تفاؤلاً بأنْ يُظهركَ اللهُ على مَنْ ناوأك ، ويجعلك ظهراً لمن وَلاك .

---

(٢) الأصحار : أصحر : دخل الصحراء .

كتب بعضُهم إلى رئيسٍ : تختمُ كتُبَكَ لأنّها مطايا البر ، ولا أختمها لأنها حوامل الشّكر .

وقّع جعفرُ بنُ يحيى إلى عاملٍ له : وأنْصفْ من وَليت أمْرَهُ ، وإلا أنْصَفهْ منْكَ مَنْ وَلي أمرَك .

وقّع أحمدُ بنُ هشام في قصّةِ متظلمٍ : اكْفني أمْرَ هذا . وإلاّ كَفيْتهُ أمرَك .

استشهدَ ابنُ الفُرات(١) في أيام وزارته علَيّ بْن عيسى ، فلم يشْهَدْ لهُ ، وكتَبَ إليه لما عادَ إلى بيته : لا تلُمْني على نُكُوصي عن نُصْرتك بشَهادة زُور ، فإنّه لا اتّفاق على نفاق . ولا وفاء لذي مَيْنٍ (٢) واختلاق. وأحْرِ بمَنْ تعدّى الحقّ في مسرّتك إذا رضِيَ، أن يتعدّى إلى الباطل في مَساءَتك إذا غضِب . والسلام .

وَقّع إبراهيمُ ابنُ العباس(٣) في ظهرِ رُقعة : إذا

(١) ابن الفرات : هو الفضل بن جعفر بن الفضل بن الفرات ، أبو العباس ، وزير من بيت فضل ورياسة ، ووزارة .

(٢) المين : الكذب .

(٣) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، وكان صول رجلا من الأتراك ففتح يزيد بن المهلب بلده ، وأسلم على يديه .

كان للمحسن من الحقّ ما يقنعه ، وللمسيء من النكال ما يقمعه ، بذلَ المُحسنُ الحقَّ رغبةً وانقادَ المُسيءُ له رهبةً .

كتب القاسمُ بنُ عُبَيْدِ اللّه الكرْميّ إلى بعضِ الوُزراءِ : ولي فيما جدّدَ اللّهُ من هذه النعمةِ للوزيرِ مِنْ بلوغِ النهاية ، ما انتزعتهُ من كتابِ اللّه تعالى في قولِهِ : «(اليومَ أكملتُ لكم دينَكُمْ وأتممتُ عليكم نعمَتي)»(١) . وقد علِمَ أنَّ دينَ اللّهِ بعد نزولِ هذه الآيةِ لم يزَلْ نامياً عالياً على كل دينٍ ، وأنّه إنما ضربَ بجرانهِ وقهرَ الأمَمَ شرقاً وغربا بعد كمالِهِ .

وقع ذُو الرياستين(٢) إلى طاهرِ بْنِ الحسين : يا نصْفَ إنسان . واللّهِ لئنْ أمرتُ لأنفذنَّ ، ولئنْ أنفذتُ لأبرِمَنَّ ، ولئنْ أبرمتُ لأبلغَنَّ .

فأجابَهُ : أنا — أعزك اللّه — كالأمَةِ السوداءِ ،

---

(١) سورة المائدة : ٣ . وأولها : « حرّمت عليكم الميتة .. » .

(٢) ذو الرياستين : لقب لقب به المأمون الفضل بن سهل . ومعنى ذلك رياسة الحرب ورياسة التدبير . وعقد له المأمون على سنان ذي شعبتين .

إن حمل عليها دمْدَمتْ(١) وإن رُفِّه عنها أَشرتْ(٢) : وإن عُوقبتْ فباستحقاق ، وإن عُفِيَ عنها فبإحسان .

كتب إبْرَاهيم بنْ العباسِ إلى أهل حِمْصَ : أمَّا بعدُ فإن أميرَ المؤمنين يرث مِنْ حَقِّ اللّهِ عليْه استعمالَ ثلاثٍ يُقدّمُ بعضُهنَّ على بعْض : الأولى تقديمُ تنبيهٍ وتوجيه ، ثم ما يستظهرُ به من تحذيرٍ وتخويف . ثم التي لا ينفعُ لحسْم الداءِ غيرها .

أناةٌ فإنْ لم تُغْنِ أعقبَ بعدَها
وَعيداً فإنْ لم تُجْدِ أغنتْ عزائمهُ

ويقالُ : إنَّ هذا أوّلُ كتاب صدَر عن خليفة من بني العباس وفيه شِعْرٌ .

وقيل : إن إبراهيمَ بنَ العباسِ لم يتعمَّدْ أنْ يقول شعراً ، ولكنّهُ لما رآه موزُوناً ترَكهُ .

---

(٢) دملمت : هلكت .

(٣) الأشر : البطر وكفر النعمة .

وَقَّعَ جوهرٌ (١) مولى الفاطميين لما افتتحَ مصرَ في قصة رَفَعها إليه أهلُها : سُوءُ الاحترام ِ أوْقعَ بكم حُلُولَ الانتقام ِ . وكفرُ الإنْعام أخرَّكُم منْ حفظ الذِّمام : فالواجبُ فيكم تركُ الإيجاب ، واللازمُ لكم ملازمة الاجتناب ؛ لأنكم بدأتُم فأسأتُم ، وعدْتُم فتعديتُم . فابتداؤكم ملوم ، وعوْدكم مذْموم ، وليس بينهما فُرْجةٌ تقتضي إلا الذمُّ لكم ، والإعراضُ عنكم ليرى أميرُ المؤمنين — صلواتُ اللّه عليه — رأيهُ فيكم .

كتب عليٌّ بن هشام إلى المَوْصليّ : ما أدري كيف أصنع ؟ أغيب فأشتاقُ ، وألْقَى فلا أشتفي . ثم سيُحدِث لي اللِّقاءُ نوعاً من الحُرقة ، للوعة الفرقة .

كتب آخر : من العجبِ إذ كان مُعنّى(٢) ، وحثٌ متيَقِّظ ، واستبطاءُ دابِرٍ إلا أنّ ذا الحاجة لا يَدَع أن يقولَ في حاجته .

---

(١) هو جوهر الصقلي القائد الذي أرسله المعز لدين الله الفاطمي لفتح مصر ، ففتحها ، وبنى القاهرة ، والجامع الأزهر ، وبعض القصور . وقد توفي بالقاهرة .

(٢) المعنى : المهموم .

كتبَ بعضُهم إلى ابن الزيات(١) : إن مما يطمعني في بقائنا عليكَ ويزيدني بصيرة في دوامها لك ، أنك أخذتها بحقِّك ، واستدمتها بما فيك من أسبابها . ومن شأن الأجناس أن تتقاومَ ، والشيءُ يتقاقلُ إلى معدنه ، ويحنُّ إلى عنصره ، فإذا صادف منبِته ركَن في مغرسه ، وضربَ بعِرقه ، وسمقَ بفرعه ، وتمكّن للإقامة ، وثبتَ ثباتَ الطبيعة .

آخر : إلى ابن خاقان (٢): رأيتني فيما أتعاطى من مَدحك كالمُخبِر عن ضوء النهار الباهر ، والقمرِ الزاهر ، الذي لا يخفى على ناظر ، وأيقنت أنّي حيث أنتهى من القول منسوبٌ إلى العجز ، مقصّرٌ عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدُّعاءِ لكَ ، ووكلتُ الإخبار عنك إلى علم الناس بكَ .

---

(٣) ابن الزيات : هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات من أهل الأدب وقد كان وزيراً للمعتصم .

(٢) ابن خاقان : هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان الإشبيلي ، صاحب كتاب قلائد العقيان . وكلامه في كتبه يدل على غزارة فضله وسعة مادته وقد توفي سنة ٥٣٥ هـ بمدينة مراكش .

كتب الحسن(١) بن وهْب إلى صديق له يدعوه :

افتتحت الكتاب — جعلني الله فداك — والآلات معدةٌ ، والأوتار ناطقةٌ ، والكأس محثوثة ، والجوُّ صاف ، وحواشي الدهر رقاقٌ ، ومخايل السرور لائحةٌ ؛ ونسأل الله إتمام النِّعمة بتمام السلامة من شوْب العوائق ، وطروق الحوادث ، وأنت نظام شمْل السرور ، وكمال بهاء المجلس . فلا تخترمْ(٢) ما به ينتظم سروري وبهاء مجْلسي .

كاتب : قد أهديتُ لكَ مودّتي رغبةً ، ورضيت منك بقبولها مثوبةً ، وأنت بالقبول قاضٍ لحقٍّ ، ومالكٌ لرقٍّ .

كاتبٌ : كان لي أملان : أحدهما لكَ ، والآخر بكَ ، أما الأملُ لكَ فقدْ بلغته ، وأما الأملُ بكَ فأرجو أن يحقِّقَه اللهُ ويوشِكَهُ .

---

(١) هو الحسن بن وهب بن سعد ، شاعر كاتب مترسل فصيح أديب .

(٢) اخترمهم الدهر وتخرمهم : اقتطعهم واستأصلهم . والمراد : لا تحرمني طلعتك التي هي سبب سروري وزينة مجلسي .

آخر : ودّعتُ قلبي بتوديعك ، فهو يتصرَّفُ بتصرفك ، وينصرفُ بِمُنْصَرَفِكَ .

آخر : قد كنتَ لنكباتِ الدهرِ مُستعدا ، ولغدَراته متحرِّفا(١) ، فهل زاد على أنْ صدقَكَ عن نفسه ، وأتاكَ بما كنتَ عالماً أنه يأتيك؟ فكيف تجزعُ وأنت تعلمُ أنه ليسَ لما وقع مَرَدٌّ ولا لمَا ذَهَبَ مُرْتجَعٌ ؟

تهنئة بابنْة : ربَّ مكروهٍ أعقبَ مَسَرةً ، ومحبةٍ أعقبت معَرةً ، وخالِقُ المنفعةِ والمضرةِ أعلمُ بمواضعِ الخيرة .

آخر : إنه ليتربّصُ بكَ الدوائرَ ، ويتمنّى لكَ الغوائلَ(٢) ، ولا يؤمّل صلاحاً إلا بفساد حالك ، ولا رفعةً إلا بسقوط قدْرك .

فصل : حَسَرَ الدهرُ عن تجمُّلي قِناعَ القَناعَة ،

---

(١) أي صادا لغدرات الزمان . يقال : نحرف وحارفه بسوء : جازاه.

(٢) الغوائل : الدواهي ، والمفرد غائلة .

ولكنني — مع الظمأ عن دَنيِّ الموارد — نافرٌ ، ومع الفاقة بغنيِّ النفس مُكاثر .

فصل : من تهنئة بإملاك : وكيف يرتاع لهجوم غُربْة ، أو يجاور توحُّش نُقْلة مَن لم يقطعه اتصاله بي عنك ، ولا باعده انتقاله إليَّ منك ، فهو مخاطبٌ على البعد بألفاظك ، مرموقٌ بالمراعاة من ألحاظك ، غير نازح عما أَلِفَه من عواطف الولادة ، ورأفة التربية ، وانبساط الأنسة ، والله يُسْعدها بمن سارتْ إليْه كما سُرَّ بها من وفدتْ عليْه ، ويُريني من المحبَّة فيها مثلَ ما أرانيه من المحبة بها ، وكيف يُوصَى الناظرُ بنوره ، أم كيف يُحضُّ القلب على حفظِ سُروره .

وُجد في كتاب لجعفر بن يحيى أربعةُ أسطرٍ بالذهب : الرزقُ مقسومٌ ، والحريصُ محرومٌ ، والبخيلُ مذمومٌ ، والحسودُ مَغْموم .

قال منصورُ بنُ زياد (١) الكاتبُ : للمعلّى بن

(١) منصور بن زياد الكاتب : أديب معاصر ليحيى بن خالد وكان على صلة طيبة به .

أيّوبَ : واللّه إنّي لأبذلُ ، وإني لأقدر وإني لأختارُ ، وإني لأستشيرُ ، وإني لأحبُّ مع طيب الخبرِ ، وحسن المنظرِ ، وإني لأعشقُ البهاءَ كما تتعشقُ المرآة الحسناءُ ، وإني مع ذلك لأدخُل داركَ فأحقرُ كل شيء في داري . فما العلةُ ؟ قال : أو ما تعلمُ ؟ قال : لا . قال لأني أقدَمُ غنىً منك .

كان نقشُ محمدِ بنِ داودَ الجرّاح(١) : من نمّ إليك نمّ عليك .

قال مسلمُ بنُ الوليدِ(٢) : سألتُ الفضلَ بنَ سهلٍ حاجةً . فقال : أشوقكَ اليومَ بالوعد ، وأحبُوك غداً بالإنجاز ، فإني سمعتُ يحيى بنَ خالدٍ يقول : المواعيدُ شبكةٌ من شباك الكرامِ ، يصيدون بها محامدَ الأحرار ولو كان المعْطِي لا يَعِدْ ، لارتفعت مفاخرُ إنجاز الوَعْد ، ونقَص فضلُ صِدْقِ المقالِ .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن داود الجراح ، ولد عام ٢٤٣هـ ، وتولى الوزارة للخليفة ابن المعتز وقد اشتهر بأدبه . ومات سنة ٢٩٦هـ .

(٢) مسلم بن الوليد : هو المعروف بصريع الغواني . وكان من أشعر شعراء العباسيين .

ووقع الفضلُ إلى تميم بن مخرمة: الأمورُ بتمامها، والأعمال بخواتيمها، والصنائع باستدامتها، وإلى الغاية ما يجري الجوادُ، فهنالك كشفت الخبرةُ قناعَ الشك، فحميد السابقَ، وذمّ الساقطَ.

كان يحيى بنُ خالد: يقول لستَ ترى أحداً تكبّرَ في إمارة إلا وقد دلّ على أن الذي نالَ فوقَ قدره، ولستَ ترى أحداً تواضعَ في الإمارة إلاّ وهو في نفسه أكبرُ مما نالَ من سلطانه.

احتاج يحيى في الحبس إلى شيء فقيل له: لو كتبتَ إلى صديقك فلان فقال: دعوه يكُنْ صديقاً.

وحضرَ الفضلُ بنُ الربيع جنازةَ ابن حمدون بعدَ نكبة البرامكة(١)، فذكرَهم، وأطراهم، وقرّظهمَ،

---

(١) البرامكة: إحدى الأسر الفارسية التي نشطت في الدولة العباسية، وكان لها من أدبها، وكرمها وحسن سياستها ما جعلها تحترف الوزارة للخلفاء العباسيين أول الأمر. الأمر الذي أوغر صدور الطامحين عليهم، فوشوا بهم إلى هارون الرشيد فبطش بهم بطشته الكبرى وسجنهم، وقتل بعضهم، وصادر أموالهم..

وقال : كنا نعتبُ عليهم ، فصرنا نتمنّاهم ونبكي عليهم ، ثم أنشد متمثلاً .

عتبتُ على سَلْمٍ فلمّا فقدْتُه
وجرّبتُ أقواماً بكيتُ على سَلْمِ

قال الفضلُ بنُ سهل : رأيت جملةَ السّخاءِ حسنَ الظنِّ بالله ، وجملةَ البخل سوءَ الظنِّ بالله ، قال الله تعالى : «(الشّيْطان يَعِدُكمُ الفقْرَ)»(١) . وقالُ : (« وما أنفقتمْ من شيء فهوَ يخلفه »)(٢) . احتْيجَ أن يُكتَب على المعتضد كتابٌ يشهدُ عليه فيه العُدولُ ، فلما عُرضتْ النسخةُ على عبيد الله بنِ سليمانَ(٣) ، وكان ابنُ ثوابةَ قد كتبها كما يكتبُ في الصِّكاك(٤) « في صحةِ عقله ، وجَوازِ أمْره له وعليه» فضرَبَ علَيه عبيدُ الله وقال : هذا لا يجوز أنْ يقالَ للخليفةِ ، وكتبَ : « في سلامةٍ من جسْمه ، وأصَالةٍ منْ رأيه » .

(١) سورة البقرة ٢٦٨ .
(٢) سورة سبأ ٣٩ . وأولها : « قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء » .
(٣) عبيد الله بن سليمان : هو أحد وزراء الموفق بن جعفر المتوكل العباسي .
(٤) الصكاك : جمع صك ، وهو الكتاب ، فارسي معرب .

قالَ الحسنُ بنُ سهلٍ : لا يكسدُ رئيسُ صناعةٍ إلاّ في شرِّ زمانٍ ، وأخسِّ سلطانٍ .

اعتلَّ ذو الرّياستين بخُراسانَ مدةً طويلةً ثم أبَلَّ واستقلّ (١) وجلس للناس فدخلُوا إليه وهنؤوه بالعافيةِ ، فأنصتَ لهمْ حتى تَقَضّى كلامُهم ، ثم اندفعَ فقال : إنَّ في العِللِ نِعماً لا ينبغي للعقلاءِ أن يجهلُوها ، منها تمحيصٌ للذنبِ ، وتعريضٌ لثوابِ الصَّبْرِ ، وإيقاظٌ مِن الغفلةِ ، وإذكارٌ بالنعمةِ في حال الصحة ، واستدعاءٌ للتوبة ، وحضٌّ على الصَّدَقةِ ، وفي قضاء اللّهِ وقدره بعد الخيارُ . فانصرفَ الناس بكلامه ، ونسوا ما قال غيرُه .

كتبَ ابنُ الفراتِ عليُّ بن محمد ، ومحمدُ بنُ داودَ ، ومحمد بنُ عبدون رُقعةَ إلى العباسِ بنِ الحسنِ الوزيرِ يستزيدون فيها ، فوقّع بخطٍّ على ظهرِها « ما حالُكُمْ حالُ مُستزَيدٍ ، ولا فوقَ ما أنا عليهِ لكم مِن مزيد ، فإن تكن الاستزادةُ من مال فهُو موفورٌ عليكُم ، وإن تكُن من رأيٍ فالاعمالُ لكُم ، ولي اسْمها ،

---

(١) استقل : يقال : استقل القوم : ذهبوا أو ارتحلوا .

وعليَّ عبثُها ، وثِقلُ تدبيرِها وأقولُ لعليِّ بنِ محمد من بَيْنكمْ : ما يطيقُ نفسه تدلُّلاً واعتداداً أمِنْ بؤسٍ كانت هذه الاستزادةُ أم من بطرِ النِّعمةِ ، ودلالِ التَّرفةِ ، ولي في أمْرِ جماعتِكم نظرٌ ينكشفُ عن قريبٍ، حَسْبي ، وحسْبُكم اللّهُ ونعمَ الحسيبُ .

عتبَ أحمدُ بنُ خالد على أحمدَ بنِ هشام في أمر كان بينهُما فاعتذر إليه ، فقال ابنُ خالد : لا أقبلُ لكَ عُذراً حتّى آتي إليك . فقال : واللّه لئنْ فعلتَ لااستعَديتُ عليْك إلا ظُلمَك ، ولا أطمعني فيك إلا بغْيُك .

قال الفضلُ بنُ يحيى لبعضِ المتحرِّمين(١) به : أعتذرُ إليك بصالح النيةِ ، وأحتجُّ عليك بغالبِ القَضاء .

وكتب إلى عاملٍ له : بئسَ الزادُ إلى المعاد العدوانُ على العباد .

وقال لرجلٍ استبْطأ عنْدَهْ الرشيدَ — وكان منْ أهلِ بيتِه — : إنّما شغلَ عنكَ أميرَ المؤمنين حقُوقُ أهل الطاعة دونك ، ولو قد فرغَ فيهمْ إليكَ لم يؤثرْ مَن دونَك عليكَ . فقام أبوه يحيى ، فقبَّل رأسَه .

---

(١) المتحرم . الممتنع ، من تحرم بمعنى تمنع وتحمى .

كتب محمدُ بن عبد الملك إلى عبدِ اللّه بنِ طاهر : او لم يكن من فضلِ الشكرِ إلا أنّه يُرى بين نعمةٍ مقصورةٍ عليه أو زيادة مُنْتَظَرةٍ . فقال : عبدُ اللّه الكاتبه(١) : كيف ترى مَسْمعَ هاتين الكلمتين ؟ فقال : كأنهُما قُرطان بينهما وجْهٌ حَسَنٌ .

ووقّع جعفرُ بنُ يحيى على ظهر كتاب لعليّ بنِ عيسى : حبّبَ اللّه إليك الوفاءَ – يا أخي – فقد أبغضته ، وبغّضَ إليك الغدْرَ فقد أحببته . إني نظرتُ في الأشياءِ لأجدَ فيها ما يُشبهُكَ . فلمّا لمْ أجدْ رجعْتُ إليك فشبّهتُك بك . والقد بلغ من حسْن ظنك بالأيّام أن أمِنْتَ السّلامَة مع البغْي ، وليسَ هذا منْ عَادتِها .

قال يحيى بنُ خالد : ذُلُّ العزْلِ يضْحَكُ مِنْ تِيهِ الولايةِ .

وقال الفضلُ بنُ مروانَ : إنَّ الكاتِب مثلُ الدُّولاب إذا تعطّل تكسّرَ .

قال المأمونُ لأحمدَ بنِ يوسُف : إنَّ أصْحَاب

---

(١) هو محمد بن رباح .

الصَّدقاتِ تظلموا مِنْك ، فقال : يا أميرَ المؤْمنين واللّه ما رضِي أصحابُ الصدقاتِ عنْ رسول اللّهِ صلى اللّهُ عليْه وسلَّمَ حتى أنزل اللهُ فيهم : «(ومنهمْ مَن يَلمزُك في الصَّدقاتِ فإن أعْطُوا منها رَضوا ، وإن لمْ يُعْطَوْامنها إذا همْ يَسْخطون)»(١)فكيف يرضوْن عنِّي ؟ فاستْضْحك المأمونُ ، وقال لهُ : تأمَّل أحْوالهُم ، وأحْسنْ النَّظرَ في أمرهمْ .

وَلّيَّ الرشيدُ عاملاً خراجَ طسَاسيج(٢) السَّواد ، فقال لجعفرٍ ويحيْى : أوْصِياه . فقال جعفرٌ : وفّرْ واعْمُر . وقال يحيى : أنصِفْ وانتصف . وقال الرشيدُ يا هذا : أحْسِنْ واعْدلْ . ففضَّل الناسُ كلامَ الرَّشيد . فقيل لهما : لمَ نقصَ كلامُكما عن كلامه ؟ فقال جعفرٌ : لا يعتدُّ هذا نُقصانا إلا مَن لا يعرفَ ما لَنا وما علَينا . إنما أمَرنْا بمَا عليْنا أن نأمرَ به ، وأميرُ المؤمنين بما له أن يأمرَ به ؟

---

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(١) الطساسيج : جمع طسوج – كسفود : الناحية .

قال رجلٌ ليحيى بن خالد –وكان مِن صنائعه – : إنّي سمعتُ الرشيدَ وقد خرجتَ من عنده يقولُ : قتلني اللّهُ إنْ لمْ أقتلْك ، فاحتلْ لنفسكَ . فقال : اسكُتْ يا أخي ، إذا جاءَ الإدبارُ كان العطبُ في الحيلة(١).

أمرَ يحيى كاتبين من كُتّابه أن يكتبا كتاباً في معنىً واحد ، فكتبا ، واختصر أحدهما ، وأطال الآخرُ ، فلمّا قرأ كتاب المختصِر ، قال : ما أجدُ موضع مزيدٍ . ثم قرأ كتاب المطيلِ ، فقال : ما أجدُ موضِع نُقصان ؟

اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيدِ اللّه ، فلما أبرَم(٢) قالَ : ما رأيتُ عُذْراً أشبَه باستنان(٣) ذنبٍ من هذا .

قال بعضُهم لابنِ الزياتِ : أنا أمتُّ إليك بجوارٍ لكَ ، وأرغبُ في عطفك . فقال : أمّا الجوارُ فنسبٌ بين الحيطانِ ، وأمّا العطفُ والرقةُ فهُما للصبيانِ والنساء.

---

(١) المراد : إذا كان الحظ غير موات ، والدنيا مولية ، فالحيلة لمنع ذلك قد تعجل الضرر ولا تدفعه .

(٢) أبرم : برم بالأمر : إذا سئمه فهو برم : ضجر .

(٣) سننت السنة واستننتها : سرتها . فهو يريد : أنه فعل الذنب ، وأغرى به ، وجعلها سنة لغيره .

وناظرَه رجل فصَالحهُ على مال ، فقال له : عجِّلْ به . فقال الرجلُ . . أظُلمٌ وتعجيلٌ ؟ قال : فصُلحٌ وتأْجيل ؟

قيل ليحيى بنِ خالد : غيِّر حاجِبَك . قال : فمَنْ يعرفُ إخواني القُدماءَ ؟

قال عُبيد الله بنُ عبد الله بنِ طاهر : أتاني كتابُ المعْتز (١) ، وكتابُ أحمدَ بنِ إسْرائيل (٢) . مَع رسول ، ومعهُ رأْس بُغا وفي الكُتُب أن أنصِّبَهُ على الجانبين ، فلمْ أفعَل وكتبتُ إلى أحمدَ بن إسرائيل : قد أوجَبَ اللهُ عليَّ نُصحَ أمير المؤمنين من جهاتٍ : منها ما تقتضيهِ الدِّيانةَ ، وتوجبُهُ الإمامةُ ، ومنْها اصطناعُ آبائه لخادميهم مِن أسْلافي ، ومنها اختصاصُه إيَّايَ بجميل رأيهِ ، ومَع هذا فلمْ أكُن لأُؤَخِّرَ عَنك رأياً مع ما أنا عليْه من المناصَحةِ والشُّكر . وإنَّ الكُتُب وردت عليَّ بنصب رأسِ بُغا في الجانِبيْن، وقد أخرْتُ ذلك حتّى يعودَ

---

(١) لما كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، قلد المعتز وزارته جعفر ابن محمود الجرجاني ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد بن إسرائيل .

(٢) بغا : أحد زعماء الأتراك الذين جلبهم الخليفة العباسي .

إليَّ الأمْر بما أعملُ عليْه « وبغا » فقدْ علمْتُ أنّه لم تُتَّهموا فيه ، وأخافُ أن تتبعَكُم الأتراكُ عند أوّل شَغْبة به ، ويطالبوكم بدمه . ويجعلُوا ذلك ذريعةَ إلى إيقاع سُوءٍ ، وكانَ الصَّوَابُ عندي أن يغسِلهُ أميرُ المؤمنين ويُصَلّي عليْه . ويدفنهُ ويُظهر حزناً ، ويقول : ما أُحِبُّ أن يصَاب صغيرٌ منْكم ولا كبيرٌ ، وقد غمّني أمْرُ بُغا ولو وَصَل إليَّ لزدتُ في مرْتبته ، وما يُشبهُ هذا .

فوردَ عليَّ كتابُ أحمدَ بنِ إسرائيل يشكُر ما كان مني ويحلف أنّهُ سبقني إلى هذا الرأْي، واجتهدَ فيه فما أمكنه إلاّ أن يفعلَ ما فعَل ، ولم يقبل قوله . وفي آخر كتابه : واعلمْ أنّه قد حدثَ بعدَك ـ وهو مما لا نعْرفه نحنُ ، ولا أنت ـ رأيٌ للحُرَم والخدَم يُقْبَل ويُعمَلُ عليه ، وهذا فتحٌ للخطأ وإخلاقٌ للصوّاب فانصبِ الرأسَ قليلاً ، ثمّ أنفِدهُ إلى خراسَان .

كُتِب إلى جَعْفر بن يحيى أنَّ صاحبَ الطريق قد اشتطَّ فيما يطالبُ من الأموال ، فوقّع جعفرٌ : هذا رجلٌ

منقطعٌ عن السلطان ، وبين ذُؤبانِ (١) العَرَبِ ، بحيثُ العددُ والعُدَّةُ ، والقلوبُ القاسيةُ ، والأُنوفُ الحميةْ ، فليُمْدَدْ من المال بما يَستصلحُ به من معه ليدفعَ به عدوَّه فإن نفقاتِ الحروبِ يُستَظهرُ لها ولا يُستظهرُ عليها (٢) .

وأكثرَ الناسُ شكيةَ عاملٍ فوقع إليه في قصَّتهم يا هذا قد كَثُرَ شاكُوكَ ، وقلَّ حامِدوكَ ، فإمَّا عدلتَ وإمّا اعتزلتَ .

وكان يقول : إن قدرتُم أن تكُون كتبُكُم كلُّها توْقيعاتٍ فافعلوا .

كتب الفضلُ بنُ سهل في كتابِ جوابِ ساعٍ : ونحن نرى أنَّ قبولَ السِّعاية شرٌ من السعاية ، لأنَّ السعايةَ دلالةٌ ، والقبولَ إجازةٌ ، فاتقوا الساعيَ فإنَّهُ لو كان في سعَايته صادقاً لكان في صدقِه لئيماً ؛ إذْ لم يحفَظِ الحرمةَ ولم يستُرِ العورةَ .

* * *

---

(١) ذؤبان العرب : لصوصهم وصعاليكهم .

(٢) لا يستظهر عليها : المعنى : يتعاون في دفعها بجمع نفقاتها من القادرين ، لا بالتساهل في جمع تلك النفقات ، الأمر الذي يؤدي إلى وقوع الكارثة .

البــاب الثــامن

نكتٌ مستحسنةٌ للقُضَاة

قال شُرَيْحٌ (١) : إنَّا لا نَعيبُ الشهودَ ، ولا نلقِّن الخصومَ ، ولم نُسلَّط على أشْعاركم وأبْشاركم ، إنما نَقْضي بينكم ؛ فمن سَلَّم لقضائنا فَبِها ، ومَنْ لا ، أمَرْنا به إلى السِّجن .

كتب الفضلُ بن الربيع إلى عبدِ الله بن سوَّار (٢) يسأله أن يشتري له ضيعة. فكتب إليه : إن القضاء لا يُدَنَّس بالوَكالَة .

قال الزُّهري (٣) : ثلاثٌ إذا كُن في القاضي فليسَ بقاضٍ : إذا كره اللَّوائمَ ، وأحبَّ المحامدَ ، وكَرِه العَزْلَ .

---

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث الكندي ، ولي قضاء الكوفة لعمر رضي الله عنه ، فمن بعده خمساً وسبعين سنة ، ولم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين ، وكان له درجة في القضاء .

(٢) هو عبد الله بن سوار العبدي ، استشهد سنة ٢٤٠هـ .

(٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله الزهري ، أبو مصعب .

قال أيُّوب : إِن مِنْ أصحابي مَنْ أرجو دعوتَه ، ولا أجيز شهادتَه .

وقال سَوار (١) : ما أعْلَم أحداً من أصحابي أفضلَ من عَطاء السُّلمي ، ولو شَهد عنْدي على فَلْسين ما أجَزْتُ شهادتَه يذهبُ إلى أنَّه ضعيفٌ ليسَ بالحازم .

وكان أبو هريرة (٢) لا يُجوِّز شهادةَ أصحاب الحمير .

وسُئل قتادةُ عن شهادةِ الصَّيرفيِّ . فقال : لا تَجوز شهادتُه .

ولِيَ عبيدُ الله بنُ أبي بكرةَ (٣) قضاءَ للبصرة فجعل يُحابي الناسَ . فقيل له في ذلك ، فقال : وما خيرُ رجل لا يقطعُ لأخيه مِن دينه ؟

قال شريح : الحِدَّةُ كنيةُ الجهل .

---

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار القاضي .

(٢) أحد رواة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الذين كانوا يحفظون السنة ويبلغونها الناس .

(٣) هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابنُ شُبْرُمة لرجل : أتشربُ النبيذَ ؟ قال : أشربُ الرِّطلين والثلاثة .

فقال : والله ما شربتَه شُربَ الفِتْيان ، ولا تركتَه تركَ القُرآن .

وقيل لهُ : لم تركتَ النبيذَ ؟ فقال إن كان حلالا فحظّي تركتُ ، وإن كان حراماً فبالحزْم أخذتُ .

وسُئل شَريكٌ عَن النبيذ . فقال : قد شربَه قومٌ صالحون يُقتدَى بهم . فقيل : كَمْ أشربُ ؟ قال : مالا يَشْرَبُك (١) .

لما ولي يحْيى بنُ أكثم قضاءَ البصْرَة استصْغروا سنَّهُ ، فقال لهُ رجلٌ كمْ سنُّ القاضِي أعزَّهُ الله ؟ فقال : سِنُّ عتَّاب بن أسِيْدٍ (٢) حينَ ولاَّهُ رسولُ اللهِ صلّى الله عليْهِ وسلم مكةَ ، فجعل جوابه احتجاجاً .

---

(١) المراد : مالا يذهب بوعيك وإدراكك .

(٢) عتاب بن أسيد : ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مكة وهو ابن خمسة وعشرين سنة .

ساوَم عُمَرُ بنُ الخطَّاب أعْرابيّاً بفرسٍ له فلمّا قامَتْ علَى ثمنٍ أخذها منهُ عمرُ علىأنّهُ فيها بالخيار ، إن رضِي أمسَكَ ، وإن كره ردَّ ، فحمَل عُمَرُ عليْها رجلاً يُشوِّرُها (١) فوقعتْ في بئر فتكسَّرتْ ، فقال الأعرابيُّ ضمِنتَ فرسي يا أميرَ المؤمنين ، قال : كلاَّ ، فإنِّي لمْ أرْضَها . فقال الأعرابيُّ فاجْعل بيني وبينك رجُلاً من المسلمين . فجعلا بينهمَا شُريحاً ، فقصَّا عليه القصَّة ، فقالَ شريحُ ضمِنْت يا أميرَ المؤمنين فرسَ الرجُل، لأنك أخذتَها على شيءٍ معْلُوم ، فأنتَ لها ضامِنٌ حتى تردَّها عليْهِ ، فقبل ذلك عمرُ ، وبعثَ شُريحاً على قضاءِ الكوفة .

سئل الشَّعْبيُّ عَنْ مَسْألة فقال : لا عِلمَ لي بها . فقيل : لا تستحِي ؟ قال: ولم أستْحِي ممَّا لم يستحي منهُ الملائِكةُ حين قالت : «(لا علمَ لنا إلاَّ ما علَّمْتنا)» (٢) ؟

كان شريحٌ يقولُ : مَنْ سأل حاجةً فقد عرَض

---

(١) شار الدابة يشورها : راضها أو ركبها عند العرض على مشتريها .

(٢) سورة البقرة : ٣٢ . وأولها : « قالوا سبحانك » ..

نفسه على الرِّقّ فإن قضاها المسئولُ استعبدَهُ بها ، وإنْ ردَّه عنها رجع حرًّا ، وهُمَا ذليلان : هذا بذُلِّ اللُّؤْم ، وذاك بذُلِّ الرَّدّ

قال بكارُ بنُ محمد رأيتُ سَوَّار بنَ عبد اللهِ — وأراد أن يحكمَ فرفعَ رأسَهُ إلى السَّماء ، وترقرقتْ عيناهُ ثمَّ حكم .

قيل للشعبيِّ(١) : ما أحسنَ البراءةَ في الإماءِ ! فقال : تَوَرُّدُ ماءِ الحياءِ في وجه الحُرِّ أحسنُ .

دخل شُرَيْحٌ على بعض الأمراء ، فقال الأميرُ : يا جاريةُ : هاتي عوداً فجاءته بعُود يضربُ . فلما بَصُرَ به الأميرُ خَجلَ ، وقال : نعم هذا ، أخذ البارحةَ مع إنسان في الطَّوف . اكسروهُ . ثم صبر قليلاً ، وقال : يا جاريةُ . هاتي عوداً للبُخور . فقال شُرَيح : أتخافُ أن تغلطَ مرَّة ثانيةً ؟؟

---

(١) الشعبي : هو أبو عامر بن شراحيل اليمني الكوفي ، تابعي جليل القدر ، وافر العلم . ولد سنة ٢١هـ تقريباً بالكوفة ، وكان عالما باللغة والسنة .

شهد رجلٌ من جلساءِ الحسنِ بشهادة عند إياسِ بنِ معاوية ، فردَّه ، فشكا الرجلُ ذلك إلى الحَسن . فأتاه الحسنُ فقال : يا أبا واثلةَ ، لم ردَدْت شهادةَ فلان ؟

فقال : يا أبا سعيد ؛ إن اللّهَ يقول «(مِمّن ترضونْ مِن الشهداء)»(١) وليس فلان مِمَّن أرضَى ؛

وشهد عند عُبيدِ اللّه بنِ الحسن رجلٌ من بني نهْشلٍ على أمر ، فقال له : أترْوي قول الأسْود بن يعْفر(٢) :

* نام الخليُّ فما أُحِسُّ رُقادِي *

فقال له الرجل : لا . فقال : تُردُّ شهادتُه . وقال : لو كان في هذا خيرٌ لروَى شرفَ أهلِه .

جاء رجلٌ إلى شُريح فكلَّمه بشيء ، وأخفاهُ .

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ . وأول الآية : « يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين ... » .

(٢) هو الأسود بن يعفر :

نام الخلي وما أحس رقادي والهم محتضر لدي وسادي

وهو شاعر متقدم فصيح من شعراء الجاهلية .

فلما قام قال له رجلٌ : يا أبا أميَّة ، ما قال لك ؟ قال : يا بنَ أخي . أو ما رأيته أسرّهُ منك ؟

كان شُريح عند زياد — وهو مريض — فلمَّا خرجَ مِن عنده أرسل إليه مسروقُ بنُ الأجدع رسولا وقال : كيف تركتَ الأميرَ ؟ فقال : تركتُه يأمرُ وينهَى . قال مسروقٌ : إنه صاحبُ عَويص(١) ، فارجِعْ إليه وأسألْهُ : ما يأمر وما ينهى ؟

قال : يأمُرُ بالوصية وينهى عن النَّوْح .

ومات ابنٌ لشريح فلم يشعرْ بموته أحدٌ ، ولم تصرخْ عليه صارخةٌ ، فقيل له : يا أبا أميّة ، كيف أمسى ابنُك ؟ قال : سكنَ علزُه(٢) ورجاهُ أهله . وما كان منذ اشتكى أسكن منه الليلة .

حكِي عن الشعبي أنه قال : شهدتُ شُرَيْحاً ، وجاءته امرأةٌ تُخاصمُ زوجَها ، فأرسلتْ عينيها ،

---

(١) أي كلام ملتو لا يفهم .

(٢) علزه — العلز — بالتحريك : الضجر . والعلز : شبه رعدة تأخذ المريض .

فبكت . فقلتُ : يا أبا أُميّة ؛ ما أظنُّ هذه البائسةَ إلا مظلومةً .

فقال : يا شعبيُّ ؛ إنَّ إخوة يوسف «(جاءوا أباهم عشاءً يبْكُون)» (١) .

كان شُريح إذا قيل له : كيف أصبحْتَ يا أبا أُميّة ؟ قال : أصبحتُ ونصفُ الناسِ غضابٌ .

كان لشُرَيح حائِطٌ مائِلٌ ، فقال له جارٌ له : حائِطُكَ هذا مائِلٌ . قالَ : لا تُفَارقني أو يَنْقَضَ . قال : فنقضَهُ مِن ساعته .. فقال الرجلُ : لا تعْجَلْ يا أبَا أمية ، فذاكَ إليْكَ . قال : بعْد أن أشْهدتَ عليَّ ؟

قال الشعبيُّ : وجَّهني عبدُ الملك بن مروان إلى مِلك الرُّوم ، فلمَّا قدِمتُ عليه ودفَعْتُ إليه كتابَ عبدِ الملك جعل يُسائِلُني عن أشياءَ فأُخبرُهُ بها ، فأقمتُ عنده أياماً ، ثم كتب جوابَ كتابي ، فلمَّا انصَرفتْ رفعتُه إلى عبدِ الملك فجعل يقرؤُه ، ويتغيَّر لونُه ، ثم قال :

---

(١) الآية : ١٩ من سورة يوسف « وجاءوا ... » .

يا شعْبِيُّ : علمتَ ما كتب الطاغيةُ ؟ قلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ . كانت الكتُبُ مختومةً ولو لمْ تكُن مختومةً ما قرأتُها . وهي إليكَ . قال : إنه كتب : إنّ العجبَ من قوم يكُونُ فيهم مثلُ من أرْسَلتَ به إليّ فيملِّكون غيْرهُ . قال : فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، ذاك لأنَّه لم يركَ . قال : فَسرّيَ عنه ، ثم قال : حسدني عليْكَ ، فأرادَ أن أقْتلك .

قال الشعْبيُّ : قدِمتُ على عبدِ الملك ، فما رأيتُ أحسن حديثاً مِنْه إذا حدّثَ ، ولا أحسَنَ إنْصاتاً منه إذا حُدِّثَ ، ولا أعْلَمَ منه إذا خُولِفَ ، وأخطأتُ عنده في أربعٍ : حدثني يوماً بحديث ، فقلتُ : أعِدْهُ عليّ يا أمير المؤمنين ، فقال : أمَا علمتَ أنه لا يُستعادُ أميرُ المؤمنين ؟ وقلت له حين أُذنَ لي عليه : أنا الشعْبي يا أميرَ المؤمنينَ . فقالَ : ما أدْخلناكَ حتى عرفْناك . وكَنَيتُ عنده رجلاً فقال : أمَا علمتَ أنه لا يُكْنَى أحدٌ عند أمير المؤمنين . وسألتُه أنْ يُكْتِبَني حديثاً . فقال : إنّا نُكْتِبُ ولا نَكْتَتِبُ .

لما أخذ الحجاجُ الشعبيَّ — وكان خرج عليه مع ابنِ

الأشعث – قال : يا شعبيُّ ، ألمْ أرفعْ مِن قَدْرِك ، وبلغتُ بك شرفَ العطاءِ ، وأوْفدتُك على أمير المؤمنين ، ورضيتُكَ جليساً لي ومحدِّثاً ؟ قال : بلى ، أصلح اللّهُ الأميرَ . قال : فما أخرجَك مع ابنِ الأشعثِ تقاتلُني على غير دِين ولا دُنيا ؟ فأين كنتَ مِن هذه الفِتنةِ ؟ فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، أوْحشَ الجنابُ ، وأحْزن بنا المنزلُ ، واستشعرْنا الخوفَ ، واكتحلنا السهر ، وفقدنا صالحَ الإخوان ، وشملتنا فتنةٌ لم نكن فيها بررةً أتقياءَ ، ولا فجرةً أقوياءَ . فضحك الحجاجُ ، وعفا عنه .

قال الشعبيُّ : مَنْ أمِنَ الثِّقَلَ ثَقُلَ .

أسْمَعَ رجلَ الشعبيَّ كلاماً ، وعدَّد فيه خِصالاً قبيحةً – والشعبيُّ ساكتٌ – فلما فرغ الرجلُ مِن كلامه ، قال : واللّهِ لأغيظنَّ مَن أمرَك بهذا . إن كُنتَ صادقاً ، فغفرَ اللهُ لي ، وإن كنتَ كاذِباً فغفرَ اللّهُ لك .

قيل : يا أبا عَامر : ومَن أمرهُ بهذا ؟ . قال : الشيطانُ

وقال ابن شبرمة : مَنْ بالغَ في الخُصومة أثِمَ ، ومن قصَّر خصِم .

وقال: منْ لَزِمَ العفافَ هانت عليه موْجِدةُ الملوك .

دخل رجلٌ على عيسى بن موسى بالكوفة فكلّمه ، وحضر عبدُ اللّه بنُ شُبْرُمةَ فأعانه ، وقال : أصلحكَ اللّهُ . إنّ له شرفاً ، وبيتاً وقَدَماً . فقيل لابنِ شبرمة : أتعرِفُه ؟ قال : لا . قالُوا : فكيف أثنيتَ عليه ؟

قال : قلتُ ؛ إن له شرفاً ، أي : أُذُنين ومَنكبين ، وبيتاً يأوي إليه ، وقدماً يطأُ عليها .

وقال له رجلٌ : صنعتَ إلى فُلان ، وصنعت ، فقال : اسكت ، فلا خيرَ في المعروفِ إذا أُحصِيَ . وكان إذا وُلِدَ له غلامٌ يقول : اللهمَّ اجعلْه بَرّاً تقيّاً ، واجعل المدّته في بلدِه .

قيل : بينا رقبةُ بنُ مَصْقلةَ القاضي في حلقة إذ مرّ رجل غليظُ العُنق ، فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبدِ اللّه ، هذا الذي ترى مِن أعبدِ الناس . فقال رقبةُ : لأرى لهذا عُنُقاً قلّما وَقَذَتْها(١) العبادةُ .

---

(١) وقذتها : من معاني وقذه : سكنه ، وتركه عليلا .. والمراد : أن العبادة لم تؤثر عليه بدليل أن عنقه مازالت ممتلئة وغير مستقرة .

قال : فمضى الرجلُ ، ثم عاد قاصداً إليهم ، فقال رجلٌ لرقبةَ : يا أبا عبد اللّه ، أُخبرُهُ بما قلت ؛ لا تكون غيبةً . قال : نعم . أَخبِرْهُ حتى تكون نميمةً .

وكان رقبةُ يقول : أيُّ مجلسِ المسجدُ لو كان عليكَ فيه إذنٌ !

خاصم رجلٌ خالدَ بنَ صفوانَ(١) إلى بلال ، فقضى للرجلِ عليه . فقام خالدٌ وهو يقولُ :

* سحابةُ صَيْفٍ عن قليلٍ تَقَشَّعُ *

فقال بلالٌ : أما إنها لا تتقشع حتى يصيبك منها شُؤبوبُ(٢) بَرْد . وأمر به إلى الحبس .

فقال خالد : علامَ تحبسُني ؟ فو اللّه ما جنيتُ جنايةَ . فقال بلال : يخبرنا عن ذلك بابٌ مُصمَتٌ ، وأقيادٌ ثقالٌ ، وقيِّمٌ يقال له : حفصٌ .

قال بلال : إذا رأيتَ الرجل لجُوجاً ممارياً ، معجَباً برأيه ، فقد تمَّت خسارتُه .

---

(١) خالد بن صفوان : هو أحد بخلاء العرب .

(٢) شؤبوب برد : الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والدفعة من كل شيء.

كان إياسُ بنُ معاويةَ بنِ قرَّةَ(١) صادقَ الظنّ ، لطيفاً في الأمور ، وتولّى قضاءَ البصرة في أيام عمرَ بنِ العزيز . واختصم إليه رجلان في مُطْرَفِ خزٍّ وأنبجانيٍّ(٢) ، فادّعى كلٌّ واحد منهما المُطْرَفَ الخزَّ أنه له ، وأنَّ الأنبجاني للآخرِ . فدعا إياس بمشط وماء ، فبلَّ رأسَ كلٍّ واحد منهما . ثم قال لأحدهما : سرِّح رأسك . فخرج في المُشط غفرُ المطرف(٣) ، وفي مشط الآخر غفرُ الأنبجاني . فقال : يا خبيثُ ؛ الأنبجاني لك . فأمر. فدفع المطرف إلى صاحبه .

استودعَ رجلٌ رجلاً من أمناءِ إياسٍ مالاً ، وخرجَ الرجلُ إلى مكةَ . فلما رجع طالبه بالمال فجَحَده ، فأتى إياساً فأخبره ، فقال إياسٌ : عليم أنك أتيتني ؟ قال : لا . قال : فنازعته عند أحد ؟ قال : لا . لا يعلم أحدٌ

(٣) هو إياس بن معاوية بن قرة المزني الليثي ، وكنيته أبو واثلة . يضرب بذكائه المثل .

(٢) الأنبجاني : ثوب من الكتان ونحوه وليس غالي القيمة .

(٣) غفر المطرف : يقال : غفر الثوب غفراً : ثار زئبره . والمطرف : الثوب والمعنى : ظهر غبار الثوب .

أحدٌ بهذا . قال : فانصرِفْ ، واكتُمْ أمرك ثم عُد إليَّ بعد يومين . فمضى الرجل ، ودعا إياسٌ أمينَه ذلك ، فقال : قد حضرَ مالٌ كثيرٌ ، وأريد أن أصيِّرَه إليك أتحصِّنَنَّ منزلَكَ ؟ قال : نعم . قال : فأعِدَّ موضعاً للمال ، وقوماً يحملونه . وعاد الرجلُ إلى إياس ، فقال له : انطلقْ إلى صاحبك ، فاطلُب مالكَ . فإن أعطاكَ فذاكَ ، وإن جَحَدَكَ فقُلْ له : إنّي أخْبِرُ القاضي . فأتى الرجلُ صاحبهُ ، فقال : مالي ، وإلاَّ أتيتُ القاضي ، وشكوتُ إليه ، فدفعَ إليه ماله ، ورجعَ الرَّجلُ إلى إياس فأخبره ، وجاء الأمينُ لموعِدهِ ، فزجرَه إياسُ وقال : لقد بانَ يا خائنْ .

قال إياسٌ لقوم من أهل مكّة : قدمنا بلادكم ، فعرفنا خيارَكم ، وشراركم قالوا : وكيف عرفتم ؟

قال : كان معنا أخيارٌ ، وأشرارٌ نعرِفُهم ، فلحِق كلُّ جنسٍ بجنسه .

كان إياسُ يقول : الخبُّ (١) لا يخدعُني ، ولا يخدع ابنَ سيرين ، ويخدع الحسَن ، ويخدعُ أبي .

---

(١) الخب : المخادع الغاش .

أخذَ الحكمُ بنُ أيُّوب(١) إياسَ بنَ معاويةَ في ظِنَّة الخَوارج ، فقال له الحكمُ : إنكَ خارجيٌّ منافقٌ ، وأوسَعه شتماً . ثم قال له : إيتني بكَفيل . فقال : أكْفُلُ أيُّها الأمير . فما أحَدٌ أعرف منكَ بي . قال : وما علمي بك وأنا من أهل الشام ، وأنتَ من أهل العراق ؟ فقال له إياس : ففيمَ هذه الشَّهادةُ منذُ اليوم ؟ فضحكَ وخلَّى سَبيله .

كان ابن أبي ليلى وَلِيَ القضاء لبني أُمية ، وبعدهم لبني العباس . وقيل : هو أولُ من تولَّى قضاءَ بغداد . وقيل : بل أولُ من تولاها من القُضاة شَريك .

وقال سفيان بن عُيَيْنةَ : شهد محمد بن عبد الرحمن ابن الأسود عند ابن ليلى بشهادة ، فتوقَّف في شهادته . قال ابْن عيينة : فناظرت ابن أبي ليلى في ذَلِك ، وقلت له : أنّيَّ لك بالكوفة رجلٌ مِثْلهُ ؟ ؟ فقال : هو كَذَلك ، إلاَّ أنَّ الذي شهد به عظيمٌ ، والرجل فقيرٌ . قال : فأعجبني هذا من قوله .

---

(١) هو الحكم بن أيوب الثقفي عامل الحجاج .

وأخذ على ابنِ ليلى رجلٌ من جُلَسائه كلمةً ، فقال له ابن أبي ليلى : أهدِ إلينا مِن هذا ما شئتَ . وكان يقول : أحذِّركم الثِّقات (١) .

دعا المنصور ابن أبي ليلى ، فأرادَه على القضاء ، فأبىَ ، فتوعّده إن لم يفعلْ . فأبىَ أن يفعل، ثم إنّ غداء المنصور حضرَ ، فأُتي فيما أُتي بصحفة فيها مثالُ رأس . فقال لابن أبي ليلى : خُذ أيها الرجلُ مِن هذا . قال ابنُ أبي ليلى : فجعلتُ أضربُ بيدي إلى الشيء ، فاذا وضعتُه في فَمِي سال ؛ لا أحتاجُ إلى أن أمضغهُ . فلما فَرَغَ الرجلُ جعلَ يلحسُ الصَّحفةَ . فقال لي : يا محمدُ . أتدري ما كنتَ تأكُل ؟ قلتُ : لا — والله — يا أميرُ المؤمنين . قال : هذا مخُّ النِّينان (٢) معقودٌ بالسكّر الطّبَرزَذ (٣) . وتدري بكم تُقَوَّم هذه الصَّحفةُ علينا ؟

(١) المراد أنه لا يليق أن يثق الإنسان بغيره ثقه مطلقة ، بل يأخذ كلامه بحرص وتأمل وتشكيك حتى يثبت صدقه .

(٢) النينان : جمع (نون) وهو الحوت .

(٣) السكر الطبرزذ : الطبرزد : السكر ، معرب ، كأنه نحت من نواحيه بالفأس .

قلت : لا ، يا أميرَ المؤمنين . فقال : تقوَّم بثلاث مائة وبضعةَ عشر . أتدري : لِمَ ألحسُها ؟ هذه صحفةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنا أطلبُ البَركةَ بذلك . فلما خرجَ ابنُ أبي ليلى من عنده رفعَ رأسَه إلى الربيع فقال : لقد أكل الشّيخ عندنا أكلةً لا يفلِحُ بعدها أبداً .

فلما كان عَشِيُّ ذلك اليوم راح ابنُ أبي ليلَى إلى المنصور ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، فكرتُ فيما عرضتَ عليَّ ، فرأيتُ أنه لا يسَعُنِي خِلافُك . فولاَّه القضاءَ . ثم قال للربيع : كيف رأيت حَدسي ؟

رُوي عن العباس بن محمد (١) أنّه قال : لمّا أرادَ المنصورُ شريكَ بنَ عبد الله علَى القضاءِ قالَ : أُريدُ أن تكلِّم أميرَ المؤمنين ليُعفيَنِي فقلت له : إنَّ أبا جعفر إذا عزمِ أمراً لم تُردَّ عَزماتُه . قال : فلما قام ، وأقرَّه على القضاءِ قلتَ له : إنَّ أميرَ المؤمنين المهديَّ ألينُ عَريكةً من الماضي . فقال : أما الآنَ فلاَ ، فإني أخشى شماتَة الأَعداء .

---

(١) هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : أخو المنصور .

قال بعضُ أصحاب الحديث: سألتُ شريكا عن النبيذ، فقال لي : أمّا أنا فلا أتركُهُ حتى يكونَ أسوأ عملي .

وسئل عن أبي حنيفة (١) ، فقال : أعلَمُ الناسِ بما لا يكونُ ، وأجهَلُهم بما يكونُ .

ودخل على المهديّ فقال له : يا شريكُ ، بلغني أنّك فاطميٌ . فقال : أتحبُّ فاطمةَ ؟ أعثرَ اللهُ مَن لا يحبُّ فاطمةَ . فقال المهديُّ : آمين . فلما خرج شريكٌ قال المهديُّ لمن عنده : لعنَهُ الله ، ما أظنُّهُ إلا عنَاني .

وقال له يوما : أيُّنا أشرفُ : نحن أم ولدُ عليّ ؟ فقال شريك : هات أمّاً مثلَ فاطمة حتى تُساويَهُم في الشّرف .

ولما دعاه المهديُّ إلى القضاء قال له : لا أصلُحُ لذلك . قال : ولِمَ ذاك قال : لأنّي نسّاءٌ . قال : عليك بمضغِ

(١) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه ، الإمام الفقيه ، الكوفي ، أدرك بعض الصحابة وكان عالما ، زاهد ، عابدا ، ورعا تقيا ، دائم التضرع إلى الله . وقد أبى أن يتولى القضاء على الرغم من إلحاح الخلفاء عليه في ذلك حتى حبس من جراء امتناعه . ومذهبه يعتنقه الكثير من المسلمين . توفي سنة ١٥٠هـ .

اللُّبان (١) . قال : إني حَديدٌ . قال : قد فرضَ لك أمير المؤمنين فالُوذَجةَ (٢) توقرك . قال : إني امرؤ أقضي على الوارد ، والصادر .

قال : اقضِ عليَّ ، وعلى والدي . قال : فاكفني حاشيتَك . قال . قد فعلتُ .

فكانت أول رقْعة وردت عليه خالِصة جاريةُ المهديّ . فجاءتْ لتتقدَّم الخصْمَ ، فقال : وراءَكِ مع خصْمِك ميراراً . فأبتْ . فقال : وراءكِ يالخَناْء (٣) قالت : يا شيخُ ، أنت أحمقُ .

قال : قد أخبرتُ مولاكِ ، فأبى عليَّ . فجاءت إلى المهديّ تشكوُ إليه . فقال لها : الزمي بيتَكِ ، ولا تعْرِضي له .

---

(١) اللبان – بضم اللام : نبات من الفصيلة البخورية يفرز صمغا ويسمى الكندر .

(٢) الفالوذج : والفالوذ : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، وتصنع الآن من النشا والماء والسكر ، وهو معرب .

(٣) يالخناء : اللخن : قبح ريح الفرج . واللخناء : التي لم تختن . وقيل : اللخن : النتن .

قال ابن أبي ليلى إلى قوله : ليست من الإيمان .

وقال : كيف أجيزُ شهادةَ قومٍ يزعمونَ أن الصّلاةَ ليستْ من الإيمان .

وكان ابنُ شُبْرُمة يقول : لأنْ أستعمِلَ خائناً بصيراً بعمله أحبُّ إليّ من أن أستعمل مُضيّعاً لا يُبصر العملَ .

ودخل سوّارُ بن عبد الله على المنصور — والمصحفُ في حجْره ، وعيناه تهملان (١) — فقال : السلام عليكم . يا أميرَ المؤمنين . فقال : يا سوّارُ ، ألا مرةً على المؤمنين !! هدمتُ ديني ، وذهبتُ بآخرتي ، وأفسدتُ ما كان من صالح عملي . قال سوّارُ : فانتهزتُها فُرصةً ، وطلبتُ ثوابَ اللهَ في عظته فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، إنك جديرٌ بالبُكاءِ ، حقيقٌ بطُول الحُزن ما أقمتَ في الدنيا . وقد استرعاكَ الله أمرَ المسلمين ، واستحفظَك أموالَهم ؛ يسألك عما عملت فيما استرعاك في اليوم الذي أعلمك في كتابه ، فقال « يومئذ يَصْدُرُ الناسُ أشتاتاً ليُروْا

---

(١) عيناه تهملان : هملت : فاضت وسالت .

أعمالهم . فمَن يعمل مثقالَ ذرّةٍ خيراً يَرَهُ . ومن يعمل مثقالَ ذرّة شرّاً يَرَهُ » (١) . فازداد بكاءً ، وقال : ((يا ليتني مِتُّ قبلَ هذا وكُنْتُ نَسْياً مَنْسياً))(٢).
ثم قال يا سوّارُ إني أُعالجُ نفسي ، وأُعاتبها منذ وَلِيتُ أمورَ المسلمين على حَمْلِ الدِّرّة على عُنقي ، والمشي في الأسواق على قدمي ، وأن أسدّ بالجريش (٣) من الطعام جَوْعتي وأواريَ بأخشن الثّوْب عورتي ، وأضعَ قدرَ من أراد الدُّنيا ، وأرفعَ قدْر من أراد الآخرة ، وسعى لها ، فلم تُطِعْني ، وعصتْني ، ونفرتْ نُفوراً شديداً .

قال سوّارُ لاتجشّمها يا أمير المؤمنين صعابَ الأُمور ، ولا تحمّلها ما لا تُطيق ، وألْزمها أربعَ خصالٍ تسلمْ لكَ دنياكَ وآخرتُك : أقِمِ الحدودَ واحكُم بالعدلِ ، واجْبِ الأموالَ من وجوهها ، واقسمها على أهلها بالحقّ .

خاصمَ عبدُ الله بنُ عبدْ الأعلى الكريزيُّ (٤) مولىً

(١) سورة الزلزلة : ٦ — ٨ .
(٢) سورة مريم : ٢٣ وأولها : « فأجاءها المخاض ... » .
(٣) الجريش : دقيق فيه غلظ . والمعنى الطعام الخشن .
(٤) هو عبد الله بن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز ، القرشي .

له في أرض إلى سوّار — وكان جدُّهُ أقطعها جدّه — فقال سوارُ : إني لأرغبُ بك عن هذا ؛ تُنازعُه في أرض أقطعها جدُّك جدّه ؟ فقال الكريزيُّ : الشحيحُ أغدرُ من الظالم . فنكس سوارُ طويلاً ، ثم رفع رأسه ، فقال : اللهمَّ ارددْ على قريش أخطارها .

دعا الرشيد أبا يوسفَ القاضي (١) ليلا فسأله عن مسألة ، فأفتاه . فأمر له بمائة ألف درهم . فقال : إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصُّبح . فقال : عجّلوها له . فقيل : إن الخازنَ في بيته ، والأبواب مغلقةٌ . فقال أبو يوسف : وقد كنت في بيتي والدُروبُ مُغلّقة ، فحين دعِيَ بي فُتِحت .

وقال له الرشيدُ : بلغني أنّك لا ترى لُبْس السّواد(٢) فقال : يا أمير المؤمنين . ولِم ؟ وليس في يدي شيءٌ أعزَّ عليَّ منه . قال : ما هُو ؟ قال : السوادُ الذي في عيني .

---

(١) القاضي أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، ولد سنة ١١٣هـ . وهو من أهل الكوفة ، وكان صاحبا للإمام أبي حنيفة ، وقد أخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وقد توفي سنة ١٨٢هـ .

(٢) كان شعار العباسيين لبسهم العمائم السوداء ، تشبها بما فعله النبي عليه السلام في بعض غزواته .

وسُئل مرةً عن السَّواد ، فقال : النُّورُ في السَّوادِ . يريد سواد العين .

وكان خالدُ بنُ طليقٍ الخُزاعيُّ قاضياً ، فاختصم إليه اثنان ، فكان أحدُهُما كلما أراد أن يتكلّم غمزه الشرطي ألاّ يتكلم . فلما كثُر ذلك عليه قال : أيُّها القاضي ، أتقضي على غائبٍ ؟ فقال : لا . فقال : أنا غائبٌ إذا لم أُترك أن أتكلّم .

وكان خالدٌ تيّاهاً صلِفاً(١) ، وقال يوماً لمحمد بنِ سليمان — مع محلّه وشرفه وثروته — نحنُ وأنتمُ في الجاهلية كهاتين . وجمع بين إصبعيه .

كان عُبيدُ بنُ ظبيان قاضي الرقّة ، فجاءه رجلٌ واستعداه على عيسى بنِ جعفر ، وكان الرشيدُ إذا ذاك بالرّقة فكتب ابنُ ظبيان إلى عيسى أمّا بعد أطال اللّه بقاءَ الأمير وحفظه وأتمّ نعمتَه عليه . أتاني رجلٌ فذكر أنّ له على الأمير خمسمائة ألف درهم . فإن رأى الأميرُ —

---

(٢) الصلف : الصلف مجاوزة القدر في الظرف والادعاء فوق ذلك تكبر .

أعزّه اللّه — أن يحضر مجلس الحكم ، أو يُوكّل وكيلا يُناظر عنه فعل .

ودفع الكتاب إلى الرّجل ، فأتى باب عيسى ، فدفع كتابه إلى الحاجب ، فأوصله إليه ، فقال له : كُلْ هذا الكتاب !! فرجع إلى القاضي فأخبره . فكتب إليه : أبقاك اللّه وحفظك ، وأتمّ نعمتهُ عليك . حضر رجلٌ يقال له فلانُ بنُ فلان وذكر أنّ له عليك حقّا ، فصر معه إلى مجلس الحكم ، أو وكيلك إن شاء اللّه .

تقدم رجل إلى أبي خازم ، وقدّم أباهُ يطالبه بدينٍ له عليه . فأقرّ الأبُ بذلك . فأراد الابنُ حبس أبيه بالدين . فقال له أبو خازم : هل لأبيك مالٌ ؟ قال : لا أعلمهُ . قال : فمنذ كمْ داينتهُ بهذا المال ؟ قال : منذ كذا وكذا . قال . فقد عرضتُ عليك نفقة أبيك من وقتِ المُداينة . فحبس الابن ، وخلّى عن الأب .

وكان إسماعيلُ بنُ إسحاق(١) قاضياً للمعتمد بمدينة

---

(١) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي ، فقيه مالكي المذهب جليل التصانيف » .

السلام(١) . فدخل على الموفّق ، فقال له : يا إسماعيلُ : ما تقول في هذا النبيذِ ؟ فقال له : أيها الأميرُ ، إذا أصبح الإنسانُ وفي رأسه منه شيء ، قال ماذا ؟ قال الموفق : يقُولُ : أنا مخمورٌ . قال : فهو كاسمه .

قدم البلاذُريُّ(٢) إلى الحسنِ بنِ أبي الشّوارب في ديْن عليه ، فادّعى غريمهُ مائتي دينار . فذكر البلاذري معاملةً بينهما . وعادة جرت بالنّظِرة . فقال له القاضي : أَنْظِرْهُ . فقال : لم أطالبه إلا وقد علمتُ الساعة نعمته . فقال البلاذُري : صدق أيها القاضي ، إني من الله لفي نعم ، لا أقومُ بشكرها ، أولها : نعمةُ الإسلام ، وهي التي لا تعادلُها نعمةٌ ثم نعمةُ العافية — وهي أفضلُ النّعم

---

(١) مدينة السلام : بغداد .

(٢) البلاذري : هو أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري أبو الحسن ، وقيل أبو بكر ، من أهل بغداد ، مات في أيام المعتمد على الله ، في أواخرها ، وأهم كتبه فتوح البلدان .

بعدها – وما يُقضى من هاتين الدينْ . فقال القاضي لغريمه : انصرفْ ، ورُحْ إليَّ . فراح إلى القاضي ، فأعطاه عنه مئتي دينار .

كان يحيى بنُ سعيد الأنصاريُّ(١) قاضياً للرشيد ، وكان خفيف الحال وكان له مجلسٌ من السُّوق . فلما ولي القضاء ، وارتفع شأنُه لم يترك مجلسه في السوق . فقيل له في ذلك ، فقال : مَن كانت له نفسٌ واحدةٌ لم يغيِّره الإقتارُ ، ولا المالْ .

كان البَرْقِيُّ عفيفاً ، صالحاً ، وولي قضاء مدينة السلام أيام المعتمد ، وكان قد ولاه قبل ذلك يحيى بنُ أكثم . فقيل له : ولّيت البرقي القضاء وهو رجلٌ من أهل السواد ؟

فقال يحيى : ألم تسمعْ قول الله تعالى : «(ومَا أرْسلْنا مِن رَّسُول إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمه)»(٢) .

---

(١) هو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري البخاري أبو سعيد ، قاض ، من أكابر أهل الحديث ، من أهل المدينة ولي القضاء بالمدينة زمن بني أمية .

(٢) سورة إبراهيم : ٤ .

قال بعضُهم : رأيتُ البرقيّ يوماً وهو يقرأُ علينا شيئاً من حديث سفيان فقال له رجل كان معنا يا أبا العباس . فقام إليه البرقي ، وضرب لحيته ، وقال له : أنا قاضٍ مُذ كذا وكذا سنةً ! ! تقولُ : هيا يا أبا العباس .

وكان أبوُ العيناء(١) يقول : كان أحمدُ بنُ أبي دُواد إذا رأى صديقه مع عدوِّه قتل صديقَه .

وقال أبو العيناء : ما رأيتُ مثل ابن أبي دُواد من رجلٍ قد مُكِّن في الدنيا ذلك التمكين ، كنتُ أراهُ في مجلس سقفهُ غير مُغَرَّى ، جالساً على مِسح(٢) وأصحابهُ معه يتَدَّرنُ(٣) القميصُ عليه فلا يبدُّلهُ ، حتى يعاتب في ذلك ، ليست له همةٌ ولا لذةٌ من لذات الدنيا إلا أن يحمل رجلاً على منبر ، وآخر على جِذْع .

وقال له المعتصم في أمر العباس بن المأمون : يا أبا عبد الله ، أكرهُ أن أحبسَه ، فأهتكه وأكرهُ أن أدعَه

---

(١) أبو العيناء هو : محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان من بني حنيفة أهل اليمامة ، وكان ضريرا وهو ممن اشتهر بالمجون ، وله نوادر وحكايات مستطرفة .

(٢) جالسا على مسح : المسح بكسر الميم : الكساء من الشعر .

(٣) يتدرن القميص : درن الثوب : أصابه الدرن ، وهو الوسخ ، أو تلطخ .

فأهملته . فقال له ابن أبي دُواد : الحبسُ – يا أمير المؤمنين – فإن الاعتذار خيرٌ من الاغترار .

وكان الأفشينُ(١) يحسدُ أبا دُلف(٢) ، ويبغضُه للعربيةِ ، والشجاعةِ والجُود ، فاحتال عليه حتى شُهد عليه بخيانةٍ فجلس له ، وأحضره ، وأحضر السيّاف لقتله . وبلغ ذلك أحمد بن أبي دواد ، فركب مع من حضره من عُدُوله . ودخل على الأفشين وقد جيء بأبي دلف ليُقتل . فوقف ، ثم قال : إني رسولُ أمير المؤمنين إليك بألا تحدث في القاسمِ حدثاً حتى تحمله إليه مسلّماً . ثم التفت إلى العُدُول ، فقال : اشهدوا أنّي أديتُ الرسالة والقاسمُ حيٌّ مُعافى . وخرج فلم يَقْدم الأفشينُ عليه .

وصار ابنُ أبي دُواد من وقته إلى المعتصم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد أدّيتُ عنك إلى الأفشين رسالةً لم تقُلها لي ، لا أعتدُّ بعمل عملته خير منها ، وإنّي لأرجو

(١) حيدر بن كاوس من أجل قواد المعتصم .
(٢) أبو دلف : القاسم بن عيسى .

لك يا أمير المؤمنين بها الجنة . وخبره الخبر ، فصوَّب رأيَه، وأمر بالإفراج عن أبي دُلف .

وكان أحمدُ بنُ أبي دُواد بعد ذلك يقرِّظُ أبا دلف ويصفهُ للمعتصم ، فقال له : يا أبا عبد اللّه ؛ إن أبا دلف حسَنُ الغناء ، جيِّدُ الضَّربِ بالعود . فقال : يا أمير المؤمنين ، القاسمُ في شجاعته وبيته في العرب يفعَلُ هذا ! ! .

ثم أحبَّ المعتصمُ أن يَسمعهُ ابنُ أبي دُواد . فقال له يوما : يا قاسمُ ، غنِّني . فقال ، والله ما أستطيع ذلك — وأنا أنظرُ إلى أمير المؤمنين — هيبةً وإجلالاً . قال : فاجلس من وراء ستارة . ففعل وغنّى .

وأحضر ابن أبي دُواد ، وأجلَسه وقال : كيف تسمعُ هذا الغناء ؟ . قال : أميرُ المؤمنين أعلمُ به، ولكنّي أسمعُ حسناً . فغمز غلاماً ، فهتَك السِّتارة ، فإذا بو دلف .

فلما رأى أبو دلف ابن أبي دُواد وثب قائماً ، وأقبل على ابن أبي دُواد ، فقال : إني أُجْبرتُ على هذا ، فقال : يا ماجنُ . لولا دُربتُك في الغناءِ ؛ منْ أيْن

كنت تأتي مثل هذا ؟ هبْك أُجْبِرت على أن تُغنّي ، مَنْ أجْبرك على أن تُحسن ؟ .

قال الحسنُ بنُ وهب : شكرتُ أبا عبد اللّه أحمد ابن أبي دواد على شيء كان منه . فقال لي : لا أحْرجك اللهُ ، ولا إيّانا إلاّ أن نعرف ما لنا عند الأصدقاء :

وتخطّى بعضُ بني هاشم رقاب الناسِ عند ابن أبي دواد ، فقال : يا بُنيّ ، إن الأدب ميراث الأشراف ولستُ أرى عندك من سلفك ميراثا . فاستحسَن كلامَه كلُّ من حضر .

قال الواثق لأحمد بنِ أبي دواد في رجل حُمِل إليه من بعض النواحي : قد عزمتُ على ضربِ عُنقه . فقال : لا يحِلّ لك يا أمير المؤمنين . قال : فأضربْه بالسّياط . قال : ظَهْرُ المسلمِ حِمى(١) إلا من حدٍّ . قال له : أنت أبدا تعترضُ عليّ . قال : يا أمير المؤمنين ، أخافُ عليك العامّة . قال : وما عسَى العامّةُ تفعلُ ؟ قال : أقولُ يا أمير المؤمنين ولا تغضبْ . قال : قُلْ . قال : إذا رأوْك قد جُرْت في الحكم ، أخذوا بيدك

(١) الحمى : ما يجب حمايته . والمعنى : لا يحل عقوبة المسلم الا بسبب تنفيذ حد من حدود الله .

فأقاموك عن مجلسك ، واجلسوا غيرك . قال : فأمسك الواثق ، ولم يحرْ جوابا(١) ، وزال المكروه عن ذلك الرجل .

وقال ابن أبي دُواد : موتُ الأحرار أشدُّ من ذهاب الأموال .

وقال : الشجاعةُ شجاعةٌ في القلب ، والبخلُ شجاعةٌ في الوَجْه .

قال رجلٌ لابن شُبْرُمة : ذهب العلمُ إلا غُبُرَّاتٍ في أوْعيةِ سوء(٢) .

* * *

---

(١) أفحم فلم يجد ما يجيب به .

(٢) المعنى : لم يبق منه إلا القليل الذي لا ينتفع به ؛ لأنه عند أناس غير حسني الخلق .

الباب التاسع

كلامُ الحَسَنِ البَصْرِي (١)

كان الحجاجُ يقولُ : أخطبُ الناس صاحبُ العمامة السوداء بين أخصَاص(٢) البصرة ؛ إذا شاء تكلمَ ، وإذا شاء سكت . يعني « الحسن » .

كتب إليْه عُمر بنُ عبد العزيز : أنْ أعنِّي ببعض أصحابك . فكتبَ إليه الحسنُ : أما بعد . فإنه مَن كان مِن أصحابي يريد الدنيا فلا حاجةَ لك فيه ، ومَن كان يريد الآخرة فلا حاجةَ له فيما قِبَلك ، ولكن عليك بذوي الإحسان فإنهم إن لم يَتَّقوا استحيُوا ، وإن لم يستحيُوا تكرموا .

---

(١) الحسن البصري هو : أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ونشأ الحسن بوادي القرى ، وتلقى الفصاحة عن أعرابه ، وكان من سادات التابعين وكبرائهم بارعاً في الفقه ، معروفاً بالورع والزهد والعبادة . وهو شيخ واصل بن عطاء الله رأس المعتزلة . وكانت وفاته بالبصرة سنة ١١٠هـ في خلافة هشام بن عبد الملك .

(٢) أخصاص البصرة : المفرد خص ، وهو بيت من شجر أو قصب ، والبيت يسقف بخشب .

وقال : كُنْ في الدنيا كالغريب الذي لا يجزعُ من ذُلِّها ولا يشارك أهلها في عزِّها . للناس حالٌ وله حالٌ أخرى ، قد أهمّتْه نفسه ، وعمل لما بعد الموت ؛ فالناسُ منه في عافية ، ونفسهُ منه في شُغل .

ذكروا أنه سمع رَجلاً يقولُ : أهلكَ اللّهُ الفُجّارَ فقال : إذن نَستوحِشُ(١) في الطُّرق .

قال أعرابي للحسن : علّمني دِيناً وسُوطاً(٢) ، لا ذاهباً شَطُوطاً ، ولا هابطاً هبوطاً .

فقال الحسنُ : لئن قُلت ذلك ؛ إن خيرَ الأُمور لأَوْساطُها .

وقال له رجل : إني أكرَه الموتَ . قال : ذاك أنك أخّرْت مالَكَ ولو قدمتهُ لسرّك أن تلحقَ به .

وقال : اقدَعُوا (٣) هذه النُّفوسَ فإنها طُلَعةٌ ، واعْصُوها فإنكُمْ إن أطعتموها تنزع بكُمْ إلى شر غاية ، وحادثُوها بالذُّكر فإنها سَريعةُ الدُّثور (٤) .

---

(١) المراد أنه لن يجد من يؤنسه لكثرة من يهلك بسبب الفجورة .
(٢) الوسوط : المتوسط ، والجمع وسط .
(٣) قدعه : منعه وكفه . والمعنى امنعوها وحدوا من نوازعها .
(٤) الدثور : دثور القلوب : إمحاء الذكر منها .

وقال الحسَنُ : لا تزُولُ قدمُ ابن آدَم حتى يُسْأل عَن ثلاث : شَـبابِه : فيم أبلاه ؟ وعمْرِه : فيمَ أفناهُ ؟ ومالهِ : من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟

ورأى رجلاً يكيدُ (١) بنفسه فقال : إن امرْأً هذا آخره لجديرٌ أن يزهدَ في أوله ، وإن امرأً هذا أولُه لجدير أن يخافَ آخرَه .

وقال : بعْ دنياك بآخرتك تربحْهما جميعاً ، ولا تبعْ آخرتَك بدنياك فتخسرَهُما جميعاً .

وقال : مَن أيقنَ بالخلفِ جادَ بالعطية .

وقال : مَن خافَ اللهَ أخافَ اللهُ منه كلَّ شيءٍ ، ومَن خافَ الناسَ أخافهُ اللهُ من كلُ شيءٍ .

وقال : ما أُعْطِيَ أحدٌ شيْئاً من الدُّنيا إلا قيل لهُ : خذه ومثله من الحرْص .

قال الحسنُ : إن قوماً جعلُوا تواضُعَهُمْ في ثيابهم، وكبرَهُمْ في صدورُهم حتى لصَاحبُ المدْرعة في مدْرعَته أشدُّ فرحاً من صاحب المُطرف (٢) بمطْرفه .

---

(١) هو يكيد بنفسه كيداً : يجود بها .

(٢) المطرف ، بضم الميم وكسرها : واحد المطارف ، وهي أردية من خز مربعة لها أعلام ،

قيل لخالد بن صفوان : مَن أبلغُ النّاس ؟ قال : الحسَنُ البصريُّ لقوله : فضحَ الموتُ الدُّنيا . لوْ عقل أهلُ الدُّنيا خربت الدُّنيا .

وقال : أهينُوا الدُّنيا فوالله لأهنأ ما تكونُ حين تُهينُونها .

وقال له رجلٌ : ما تقول في الدُّنيا ؟ قال : حَلالُها حسابٌ ، وحرامُها عذابٌ . فقال له : ما رأيتُ أوْجز من كلامك . فقال الحسنُ : بل كلامُ عمرَ بن عبد العزيز أوجزُ من كلامي . كتب إليه بعضُ عُمّال حِمْصَ (١) : أما بعد : فإنّ مدينة حِمْصَ قد تهدمت ، واحتاجَت إلى إصلاح . فكتب إليه عمرُ : حصنها بالعَدل ، ونقّ طُرقها من الجوْر . والسلامُ .

قال الحسن لفَرْقد (٢) : يا أبا يعْقُوب . بلغني أنّك لا تأْكل الفالوُذج . قال : يا أبا سَعيد . أخافُ ألاّ

(١) حمص : مدينة وسط سوريا .
(٢) فرقد : هو فرقد السبخي النصراني ، وكنيته أبو يعقوب .

أُؤَدي شُكْرَهُ . قال : يا لُكَعُ ! ! وهل تؤدِّي شكرَ الماءِ البارد .

وسَمِعَ رجلاً يشكُو علّةً به إلى آخر . فقال : أمَا إنّك تشكُو مَن يرحمك إلى مَن لا يرْحَمك .

وقيل لهُ : مَن شرُّ الناس ؟ قال : الذي يرى أنّهُ خيرُهم .

وقال : قدْ ذمّ اللهُ الثّقَل في القُرآن بقوله ((فإذا طَعِمْتُمْ فانتشروا)) (١)

وقال : الدُّنيا كُلُّها غمٌّ ، فما كانَ فيها من سرور فهو ربحٌ .

وقال : إن الله — جل ثناؤُهُ — لم يأْمرْ نبيَّه عليه السلامُ بمشاوَرة أصحابه لحاجة منهُ إلى آرائهمْ ، ولكنّهُ أحبّ أن يُعَلِّمه ما في المشورة مِن البركة .

ويُرْوي عَنهُ أنه قال منذُ دَهر ندْعُو الله فنقولُ : اللهمّ استعملْ علينا أخيارنا فأَعظمْ بها مصيبةً ألا يُسْتجاب

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ وأولها « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » .

لنا ، وأعظمُ من ذلك أن يكون استُجيبَ لنا فيكون هؤلاءِ خيارنا .

وذكر الدنيا فقال : المؤمنُ لا يجزعُ من ذُلّها ولا يُنافس في عزها .

وقال : أربعٌ قواصمُ للظهر : إمامٌ تُطيعهُ ويُضلّك ، وزوجةٌ تأمنُها وتخزنُك ، وجارٌ إنْ علمَ خيراً ستره ُ، وإن علمَ شرّاً نشرَهُ وفقرٌ حاضرٌ لا يجدُ صاحبُه عنه شارداً (١).

ووصفَ الأسواقَ ، فقال : الأسواقُ موائدُ اللهِ مَن أتاها أصاب منها .

وقال : من عمل بالعافية فيمَن دونه رُزق بالعافية ممّنْ فوقهُ .

وقيل لهُ : وكيف رأيتَ الوُلاةَ يا أبا سَعيد ؟ قال رأيتهُمْ يبنُون بكلِّ ريع (٢) آيةً يعبثُون . ويتخذُون مصانعَ لعلّهُمْ يخلدون . وإذا بطشُوا بطشُوا جبارين (٣) .

---

(١) الشارد : النافر . والمراد لزوم الفقر لصاحبه .

(٢) الريع — بكسر الراء : المرتفع من الأرض .

(٣) انظر الآيات ١٢٨ — ١٣٠ من سورة الشعراء .

وكان يقولُ : ذمُّ الرجلِ نفسَهُ في العلانية مدحٌ لها في السرّ .

وقال : مَن وسَّع اللهُ عليه في ذات يده فلم يخفْ أنْ يكُون ذلك مكراً من الله به فقد أمن مَخُوفاً ، ومَن ضيق اللهُ عليه في ذات يده فلم يرْجُ أن يكُون ذلك نظراً من الله لهُ فقد ضيّع مأْمولاً .

وقال : إن من عظيم نِعَمَ اللهِ على خلقه أنْ خلقَ لهُمْ النار يحُوشُهم (١) بها إلى الجنة .

وقال لرجُل : كيْف طلَبُكَ للدُّنيا ؟ قال شديدٌ . قال : فهل أدْركتَ منها ما تُريد ؟ قال : لا . قال : فهذه التي تطلُبها لم تدركْ منها ما تريد فكيف بالتي لا تطلُبها ؟

وقال : ابنُ آدم أسيرُ الجُوع ، صريعُ الشّبع .

وذكَر يوماً الحجاجَ فقال : أتانا أُعيْمشَ أُخيفشَ (٢)

(١) يقال : حاش الصيد يحوشه : جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة .

(٢) أخيفش : تصغير الأخفش ، وقد يكون الخفش علة ، وهو الذي يبصر الشيء بالليل ، ولا يبصره بالنهار .

والأعيمش : تصغير الأعمش ، والعمش ألا تزال العين تسيل الدمع ، ولا يكاد الأعمش يبصر بها .

له جُمَيْمَةٌ (١) يُرَجِّلُها فأخرجَ إلينا لِماماً (٢) قِصاراً ، والله ما عرق فيها عِنانٌ في سبيل الله . فقال : بايعوني . فبايعْناهُ ثم رقى هذه الأعوادَ ينظر إلينا بالتصغير ، وننظرُ إليه بالتعظيم ، يأمُرنا بالمعروف ويجتنبهُ ، وينهانا عن المنكر ويرتكبُه .

وسُئل عن قوله تعالى : «(إنَّ الّذينَ يَشْتَرُونَ بعَهْدِ الله وأيْمانِهِم ثمناً قليلاً)» (٣) ما الثمنُ القليلُ ؟ قال : الدُّنيا بحذافيرها .

وقال : الدنيا تطلبُ الهاربَ منها ، وتهرُبُ من الطالب لها ، فإن أدْركتِ الهارب منها جرحَتهُ ، وإن أدركها الطّالبُ لها قتلتْهُ .

وقال : رُبَّ هالكٍ بالثناء عليْه ، ومغرورٍ بالسترِ عليْه ، ومستدرَجٍ بالإحْسانِ إليْه .

---

(١) والجميمة : تصغير الجمة ، وهو مجتمع شعر الرأس .

(٢) اللمام : جمع لمة وهي شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن . واللمة (بضم اللام) : الصاحب أو الأصحاب في السفر .

(٣) سورة آل عمران : ٧٧ .

وقال : إن لمْ تُطعْكَ نفسُك فيما تحملُها عليْه ماتكرَهُ فلا تُطعْها فيما تحملُك عليه مما تهوى .

وقال تَشَبَّه زيادٌ بعمرَ فأفرطَ ، وتشبه الحجاجُ بزيادٍ فأفرطَ ، وأهلكَ الناسَ .

وقال : المؤمنُ لا يَحيفُ (١) على مَن يُبْغِضُ ، ولا يأثَمُ فيمَن يُحبُّ .

وقال لهُ بعضُ الجُند في زمن بني أُمَيَّة : ترَى أن آخذَ أرزاقي أوْ أتركَها حتى آخذَ من حَسَناتهم يومَ القيامَة ؟ . قال : مُرْ فخُذْ أرزاقك ، فإن القومَ يومَ القيامة مفاليسُ .

وكتب إلى أخٍ له : أما بعدُ : فإن الصدق أمانةٌ ، والكذب خيانةٌ والإنصاف راحةٌ ، والإلحاح وقاحةٌ ، والتواني إضاعةٌ ، والصحة بضاعةٌ ، والحزم كياسةٌ ، والأدب سياسة .

وقال : يابن آدم . اصحبِ الناس بأيِّ خُلق شئت يصحَبُوك بمثله .

---

(١) الحيف : الظلم والجور .

وقال : الرِّجالُ ثلاثةٌ ، رجلٌ بنفسه ، وآخر بلسانه وآخر بماله .

وقال له رجُل : لي بُنَيَّةٌ وأنها تُخطبُ . فممَّن أزوِّجُها ؟ قال : زوِّجها ممن يتقي الله فإنْ أحبها أكرمَها ، وإن أبغضها لمْ يظلمْها .

وقال : كنا في أقوام يخزُنُون ألسنتهُم ، ويُنفقُون أوراقهم ، فقد بقينا في أقوام يخزنُون أوراقهُم(١) ، وينفقُون ألسْنتهم .

وكتب إلى عُمر بن عبدِ العزيز . أمّا بعدُ : فكأنَّك بالدنْيا لم تكُن ، وكأنَّك بالآخرة لم تَزلْ .

وقيل له في أمير قَدِم البصرة ، وعليه دينٌ قد قضاهُ . فقال : ماكان قطُّ أكثر ديْناً منه الآن .

وقال : ينادي منادٍ يوم القيامة : من لهُ علَى اللهِ أجرٌ فليقُمْ ، فيقُومُ العافُون عن النَّاس . وتلا قوله تعالى : « فمن عفا ، وأصْلح فأجْرُهُ على اللهِ(٢) ».

---

(١) الأوراق : جمع ورق ، وهو المال .

(٢) سورة الشورى : ٤٠ . وأولها « وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

اجتاز نخَّاسٌ(١) مع جارية به . فقال أتبيعُها ؟ قال : نعَمْ . قال : أفترضى أنْ تقبض ثمنَها الدِّرهم والدِّرهمَيْن حتى تستوفي ؟ قال : لا : قال : فإن الله عزَّ وجلَّ قد رضِي في الحُور العين بالفلسِ والفلسَيْن .

وقيل له : مابالُ الناس يُكرمون صاحب المال ؟ قال : لأن عشيقهُم عنده .

وكان بلالُ بن أبي بُردة أكُولاً . فقال الحسنُ فيه : يتكىء على شمالِه ويأكل غير مَاله ، حتّى إذا كظَّه الطعامُ يقولُ : ابغُوني هاضُوماً . ويلَكَ ! ! وهل تهضم إلا دينَك ! !

وكان الحسنُ إذا دخل ختَنُه(٢) تنحّى عن مكانه له ، ويقول : مرحبا بمن كفى المؤنة ، وستر العورة .

ومن كلامه : مسكينٌ ابنُ آدم ، مكتومُ الأجَل والعِلل ، أسيرُ الجُوع والشّبع .

---

(١) النخاس : تاجر الرقيق .

(٢) الختن : كل ما كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها ، وكذلك زوج البنت وزوج الأخت . والمراد هنا : زوج البنت أو الأخت .

ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناسُ عليها ، فقال : مالكُم تزدحمُون ؟ ؟ هاهي تلك ساريتُه(١) في المسجد . اقعدوا تحتها ، واصنعُوا ما كان يصنعُ حتى تكونوا مثله .

وقال لشيخ في جنازة : أتُرى أن هذا الميِّت لو رجع إلى الدنيا يعملُ عملاً صالحا ؟ قال : نعمْ . قال له : إن لم يكن ذاك فكنْ أنت ذاك .

ونظر إلى قصورِ المهالبةِ ، فقال : ياعجباً رفعوا الطِّين ، ووضعُوا الدِّين ، وركبُوا البراذِين ، واتَّخذوا البساتين ، وتشبَّهوا بالدَّهاقين(٢) « فذرهم في غمْرتهم حتى حين(٣) » .

وكان يقول في دعائه : اللّهم إنّا نعوذُ بك أن نملَّ معافاتك . فقيل له في ذلك .

فقال : أن يكون الرجلُ في خفض عيش فتدْعُوه نفسهُ إلى سَفر .

(١) السارية : الاسطوانه أو العمود الذي يقام عليه المسجد .
(٢) الدهاقين : المفرد : دهقان : رئيس القرية ، ورئيس الإقليم .
(٣) سورة المؤمنون : ٥٤ .

ودخل إلى مريض قدْ أبلَّ من علّته ، فقال له : إنَّ الله ذكرك فاذكُره . وأقالك(١) فاشكُره .

ويقالُ : إنَّ أوَّل كلامه أنَّه صلَّى يوماً بأصحابه ، ثم انفتل ، وأقبل عليهم ، فقال : أيها الناسُ ، إنيّ أعظُكُم ، وأنا كثيرُ الإسْراف على نفسي ، غيرُ مصلح لها ، ولاحاملُها على المكروه من طاعة ربِّها . قد بلوْتُ نفسي في السَّراء والضَّراء ، فلمْ أجدْ لها كثير شُكر عند الرَّجاء ، ولا كبير صبر عند البلاء ، ولو أنَّ الرجل لم يعظْ أخاهُ حتّى يحكم أمْر نفسه ، ويكمل في الذي خُلق له من طاعة ربّه لقلَّ الواعظونُ الساعون إلى الله بالحثِّ على طاعته ، ولكن في اجتماع الإخوان واستماع حديث بعضهم من بعض حياة للقلوب ، وتذكير من النِّسيان . أيها الناسُ إنما الدنيا دارُ مَن لادار له ، وبها يفرحُ من لاعَقل لهُ ، فأنزلُوها منزلتها . ثم أمْسَك .

---

(١) أقالك فاشكره : يقال : أقلته البيع إقالة : قبلت فسخه للبيع . والمعنى : أنقذك نقدم شكرك له .

ولمّا مات أخوهُ بكى ، فقيل له : أتبكي ياأبا سَعيد ؟ فقال : الحمد لله الذّي لمْ يجعل الحزن عاراً علَى يعقُوب(١)

وقال : إذا خرجت من منزلك فلقيت من هُو أسنُّ منلك فقُل : هذا خيرٌ منّي عبَد الله قبْلي ، وإذا لقيت من هُو دونك في السّنِّ فقل : هذا خيرٌ منّي عصيْتُ الله قبلهُ . وإذا لقيت مَن هُو مثلُك فقل : هذا خيرٌ منّي أعرفُ من نفسي مَالا أعرفُ منه .

وكان يقولُ : ياعجباً لقوم قد أُمروا بالزاد ، وأوذنُوا بالرّحيل ، وأقام أوّلهُم على آخرهم . فليْت شعري ماالذّي ينتظرون ؟

ونظر إلى النّاس في مصلّى البصرة يضحكُون ، ويلعبون في يوم عيد ، فقال : إنّ الله — عزّ وجل — جَعل الصّوم مضماراً لعباده ليستبقُوا إلى طاعته ، ولعمري لو كُشف الغطاءُ لاشْغل محْسنٌ بإحسانه ، ومسيءٌ بإسَاءته عن تجْديد ثوب ، أو ترطيل شعر(٢) :

---

(١) يشير إلى بكاء يعقوب عليه السلام حزنا على يوسف وأخيه حتى ابيضت عيناه .

(٢) رطل شعره : لينه بالدهن وكسره وثناه .

وكان يقول : اجعل الدُّنيا كالقنطرة تجوزُ عليها ولا تعمرُّوها .

وقال: تلقى أحَدهُم أبْيَض بضًّا يملُخُ في(١)الباطل مَلخاً ، ينفض مذرويْه(٢) ، ويضربُ أصْدريه ، يقولُ هأنذا فاعْرفُوني . قد عرفناك ، فمَقتك اللهُ ومقتك الصَّالحون .

وقال : نِعمُ اللهِ أكثرُ من أن تُشكر إلا ماأعان عليه . وذنُوبُ ابن آدم أكثر من أن يسْلم منها إلا ماعفا عنه .

وكان يقولُ : ليس العجبُ ممَّن عطب كيف عطب ؟ إنما العجبُ ممَّن نجا كيف نجا ؟

وكان يقولُ : حَادثُوا هذه القُلُوب فإنَّها سَريعةُ الدُّثُور ، واقدعُوا هذه الأنفس فإنها طُلَعَةٌ(٣) ، فإنَّكم إلا تقدعُوها تنزع بكُم إلى شرِّ غاية .

---

(١) يملخ في الباطل : الملخ – كالمنع : السير الشديد ، والتردد في الباطل وإكثاره .

(٢) المذروان : فرعا الأليتين ، والمنكبين ، وطرفا كل شيء . والمراد بهما هنا فرعا المنكبين . ويقال ذلك للرجل إذا جاء باغيا يتهدد .

(٣) طلعة : كثيرة التطلع إلى الشيء .

وقال لمطرِّف(١) بن عبد الله بن الشِّخِّير : يامطرّفُ ، عظْ أصحابك . فقال مطرّفُ : إنيِّ أخافُ أن أقول مَالا أفعلُ . فقال الحسنُ : يرحمك اللهُ وأيُّنا يفعلُ مايقُولُ ؟ يودُّ الشّيطانُ أنه ظفر بهذهِ منكم ، فلمْ يأمرْ أحدٌ بمعروف ، ولم ينه عن منكر .

وكان يقولُ : ماحَاجةُ هؤلاءِ ، السلطان إلى الشُرَط . فلمَّا ولِي القضاة ، كثرُ عليه الناس فقال : لابُدَّ للنّاس مِن وزعَةٍ(٢) .

وكان يقُولُ : لِسَانُ العاقِل مِن وراءِ قلبهِ فإن عرض له القولُ نظر ، فإن كان لهُ أن يقول قال ، وإنْ كان عليه القولْ أمْسك ، ولسانُ الأحمق أمام قلبه فإذا عرض لهُ القولُ قال عليهِ أوْ لهُ .

وقال : لو لم يُصب ابنُ آدم إلا الصحة والسَّلامة لأوشكا أن يرداه إلى أرذل العمرُ فحدَّثَ بذلك محمدٍ بن

(١) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف .. كان فقيها ، وكان لوالده عبد الله صحبة ، وكان مطرف من أعبد الناس وأنسكهم . وقد توفي سنة ٨٧هـ .

(٢) وزعة : جمع وارع ، وهو الحابس العسكر الموكل بالصفوف .

جعفر فأعجبه ، وقال : سبحان الله ما أعجب كلام العرب وأشبه بعضه ببعض ؟؟ والله لكأن النمر بن تولب(١) سمع هذا . فقال :

يسرُّ الفتى طولُ السلامة جاهداً
فكيف ترى طولُ السلامة يفعلُ ؟

وقال حُمَيْدُ بنُ ثُور(٢) .

* وحسبُك داءً أنْ تصحَّ وتسلَما *

وكان يدعو ويقولُ : اللهُم أعطنا قوةً في عبادتك ، وبصراً في كتابك ، وفهماً في حكمك ، وآتنا كِفلين(٣) مِنْ رحمتك . بيِّضْ وجوهنا بنورك ، واجعلْ راحتنا في لقائك ، واجعلْ رغبتنا فيما عندك من الخير . اللهمَّ إنّا نعوذُ بك من العجز والكسل ، والهرم ، والجُبْن ، والبُخْل . اللهم إنّا نعوذُ بك مِنْ قلوب

---

(١) هو النمر بن تولب بن أقيش ، شاعر ، مقل ، مخضرم أدرك الجاهلية ، وأسلم فحسن إسلامه ،

(٢) صدر البيت :

(*) أرى بصري قد رابني بعد صحة * وحميد بن ثور شاعر مخضرم

(٣) الكفل : النصيب .

لا تخشع ، وأنْفُس لا تشبع ، اللّهُم إنّا نُعوذُ بكَ أنفسنا وأهلينا وذرارينا من الشّيطان الرّجيم .

وقال : إنّما تعظُ مُسترْشداً ليفهمَ ، أو جاهلاً ليتعلّمُ ، فأمّا منْ وضع سيفه وسوْطهُ وقال : احذرني فما لك وله ؟

وقال : إنّ قوماً لبسُوا هذه المطارفَ العتاق ، والعمائمَ الرّقاق ، وأوْسعُوا دُورهم ، وضيّقُوا قبورهُم ، وأسْمنُوا دوابّهم ، وأهزلوا دينهُم ، طعامُ أحدهمْ غصْبٌ ، وخادمُه سُخرة ، يتكىء على شماله ، ويأكل من غير ماله ، حتّى إذا أدركتْهُ الكظّةُ ، قال : هلميّ يا جارية هاضُوماً ، ويلك !! وهل تحطمُ إلا دينَكَ ؟ .. أين مساكينك ؟ أيْن يتاماك ؟ أيْن ما أمركَ الله به . أين ؟ أين ؟؟ .

ورأى رجلاً يمشي مشْيةً منْكرةً . فقال : يخْلجُ(١) في مشْيه خلَجان المجنُون . للّه في كلّ عضْو منهْ لقمةٌ ، وللشّيطان لعبةٌ .

---

(١) يخلج في مشيه : يضطرب .

كان أبو الحسن اسمه يسار ، واسم أمه خيرة ، مولاة لأم سلمة أم المؤمنين ، وكانت خيرة ربما غابت فيبكي الحسن فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به ، إلى أن تجيء أمه فدر عليه ثدييها . فيرون أن تلك الحكمة ، والفصاحة ، من بركة ذلك . ونشأ الحسن بوادي القرى(١) .

وشكا إليه رجل ضيق المعاش ، فقال : ويحك ! ! أهاهنا ضيق أو سعة إنما الضيق والسعة أمامك .

وقال : لولا قصر همم الناس ما قامت الدنيا .

وقال : يا ابن آدم : إنما أنت عدد أيامك إذا مضى يوم مضى بعضك .

وتذاكروا عنده أمر الصحابة . قال الحسن : رحمهم الله ، شهدوا وغبنا وعلموا وجهلنا ، وحفظوا ونسينا . فما أجمعوا عليه اتبعناه ، وما اختلفوا فيه وقفناه .

وقال : حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم .

---

(٣) وادي القرى : مكان قريب من المدينة ، ولد به الحسن البصري .

وقال : عاشرْ أهلَك بأحسن أخلاقك ، فإن الثّواءَ فيهم قليلٌ(١) .

وقال : السُّؤالُ نصفُ العِلْم ، ومُداراةُ النّاس نصفُ العَقْل ، والقصدُ في المعيشة نصفُ المعيشة . وما عال مُقْتصِدٌ .

وقال : خفِ اللّه خوفاً ترى أنَّك لو أتيتهُ بحسَناتِ أهْل الأرض لم يقبلْها منْك وارْجُ اللّه رجاءً ترى أنَّك إنْ أتيتهُ بسيِّئاتِ أهْل الأرض غفرها لك .

وقال : ما استوْدَع اللّهُ رجلاً عقْلاً إلاّ استنْقذهُ بهِ يوماً ما .

وقال : المْؤمنُ لا يَحيفُ على مَنْ يُبغْض ، ولا يأثمُ فيمَنْ يحب .

ودخل إليهِ أمْردُ حسَنُ الوجْهِ : فالتفت إلى أصْحابه ، فقال : لقد ذكّرَني هذا الفتى الحُور العِين .

ووُلِدَ لهُ غُلامٌ فقال لهُ بعْضُ جُلسائهِ :

---

(١) الثواء فيهم قليل : الإقامة بينهم قصيرة .

بارك اللّه لكَ في هبتِهِ، وزادَكَ في نعْمتِهِ. فقال الحسنُ: الحمدُ للّهِ على كلِّ حَسنة، ونسألهُ الزيادَة مِنْ كلِّ نعْمةٍ، ولا مرْحباً بمَن إنْ كُنْتُ مُقِلاً أنْصبنَي، وإن كُنْتُ غنيّاً أذْهلني لا أرْضَى بسَعْيي له سَعْياً، ولا بكدّي عليه في الحياة كدّاً، حتى أشْفِق عليه بعدَ وفاتي منْ الفاقةِ، وأنا في حَال لا يصِلُ إليَّ مِنْ همّهِ حزنٌ، ولا مِنْ فرَحه سُرُورٌ.

وقال: عِزُّ الشَّريف أدبُهُ، وعِزُّ المؤمنِ استِغْناؤه عن الناسِ.

وقال: العامُ في الصِّغر كالنَّقْش على الحجَر، وفي الكبرَ كالرَّقْم على الماء.

وقال: ما أنْعَمَ اللّهُ على عبدٍ نعْمةً إلا وَعَليْهِ فيها تبِعةٌ إلا سلَيمان فإنَّ اللّه قال: «(هذا عطاؤنا فامنُنْ أو أمْسِكْ بغيْر حساب)»(١).

(١) سورة ص ٣٩.

وقال : لا أبالك ، إنْ لم تكُنْ حليماً فتحلَّمْ فإنَّه قلَّ رجلٌ يتشبَّهُ بقوم إلاَّ أوْشك أنْ يكُون منْهُمْ .

وقال : لا تشْترينَّ عَداوَة رجل بمودَّةِ ألْف رجُل.

وقيل أهلك فلانٌ فجْأةً . فقال : لوْ لمْ يهْلِكْ فجأةً لمرض فجْأةً .

وقال : مَنْ زهِدَ في الدُّنْيا ملكها ، ومَنْ رغِب فيها عبدَها .

قال له رجلٌ : يا أبا سَعيد ؛ ما تقُولُ في الغِناء ؟ قال : نِعْم الشيءُ الغِنَى تصلُ بهِ الرَّحِمَ ، وتفُكُّ بهِ العانِي ، وتُنفِّسُ به عن المكرُوب .

قالَ : لستُ عنْ هَذا أسْألُكَ ، إنَّما أسْألُكَ عَن الغِنَاء . قَالَ : ومَا هُو أتعرفُ منْهُ شيئاً ؟ قالَ : نعَمْ : قالَ : فهاتِهِ : فانْدَفَع يُغَنِّي ، ويَلْوي شِدْقيْهِ ، ومِنخَريْهِ ، ويكسِرُ عيْنيْهِ : قَالَ : فَبُهِتَ الحسَنُ ، وجَعَل يعْزُبُ عنهُ بعْضُ عقْله حتّى فعَل كَمَا فَعَل الرَّجلُ بتحريك عَينيْهِ ،

وكَسَّرَ حاجبَيهِ ، ثم قالَ لما تَنَبَّهَ مِنْ سِنَتِهِ : أمْسِكْ ياهذا ، قَبَّح اللهُ هَذَا ، مَا كنْتُ إلاَّ في حُلْمٍ .

قالُوا : وَلِيَ الحسَنُ القضَاءَ فَمَا حُمِدَ . يريدُ أنَّه لَوْ حُمِدَ إنْسانٌ في ولايَة أوْ قَضاء لُحمِدَ الحسَنُ ؛

وقال : يا بْنَ آدَمَ تعفَّفْ عنَ مَحارم الله تكُنْ عابداً ، وارْضَ بمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ مِنْ الرِّزْق تكُنْ غَنيّاً . وصَاحِب الناسَ بما تُحبُّ أنْ يُصاحِبُوكَ بهِ تكُنْ عَدْلاً ، وإيَّاكَ وكثْرَةَ الضَّحِكِ فإنَّه يُميتُ القَلْبَ . لقَدْ كانَ قَبلَكَ أقْوامٌ جَمَعُوا كثيراً ، وأمَّلوا بَعيداً ، وبَنَوْا شَديداً ، فأصْبحَ جمْعُهم بُوراً ، ومَسَاكنهُم قُبوراً ، وأمَلُهُم غُرُوراً .

وقالَ : يا بْنَ آدَمَ لاَ تُجاهِدِ الطَّلَبَ (١) جهادَ الغَالِب ، ولاَ تَتَّكلْ علَى القَدَر اتِّكَالَ المُسْتَسْلِم ؛

(١) الطلب : الجري والسعي وراء الرزق ، والمراد : لا تحاول الإلحاح في الحصول على طلبتك .

فإنَّ ابتغاءَ الفضْل مِنَ الشِّرَّةِ (١) ، والإجمالَ في الطَّلب مِنْ العِفَّةِ ، وليسَتِ العِفّةُ بدافعةٍ رزْقاً ، ولا الحِرصُ بجالبٍ فضْلاً ، وإنَّ مِن الحِرْص اكتسابَ الإِثْم .

* * *

(١) الشرة : شرة الشباب : حرصه ونشاطه .

البــاب العــاشر

نُكَتٌ مِنْ كلامِ الشِّيعَة

خطَبَ عبْدُ الملك ، فلمَّا بلَغ إلى العظَة قامَ إليه رُجُلٌ من آل صُوحانَ (١) . فقالَ : مَهْلاً مَهْلاً . تأْمُرونَ فلاَ تأْتَمرونُ ، وتَنْهَوْنَ ولا تنتهُون ، وتعظُون ولا تتَّعظُونَ . أفَنَقْتَدي بسيرتكُمْ في أنفُسكُم أمْ نُطيع أمْرَكُمْ بألْسنَتكمُ ؟ فإنْ قُلْتُم : اقتَدُوا بسيرتنَا فأنىَّ ؟ وكَيْفَ ؟ ومَا الحجَّةُ ؟ ومَا النصيرُ منَ الله باقتداءِ سيرَة الظَّلَمَة الفَسَقة ، الجَوَرَة الّذين اتّخَذُوا مالَ الله دُوَلاً (٢) ، وعبيدَهُ خَوَلاً (٣)

(١) آل صوحان : ينسبون إلى صعصة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي من سادات عبد القيس من أهل الكوفة كان خطيبا بيناً عاقلا له شعر .

(٢) اتخذوا مال الله دولا : جمع دولة بالضم ، أي جعلوه متداولا بينهم ، مرة لهذا ومرة لهذا .

(٣) خولا : الخول : ما أعطاك الله من النعم – محركة – والعبيد والإماء وغير ذلك من الحاشية ، وهو يطلق على الواحد والجمع والذكر والأنثى .

وَإِنْ قُلْتُم : اقبلُوا نَصيحتَنَا ، وأطيعُوا أمْرَنَا ، فكيْفَ يَنْصَحُ لغيره مَنْ يَغُشُّ نَفْسَهُ . أمْ كيْفَ تَجبُ الطَّاعةُ لمنْ لمْ تَثْبتْ عنْدَ الله عدالَتُه ؟ وإنْ قلْتُمْ خُذُوا الحكمَةَ من حيْثُ وجَدتُموهَا ، واقْبلُوا العظَةَ ممَّن سَمعتُموهَا فَعلامَ وَلَّيْنَاكم أمْرَنَا ، وحَكَّمْنَاكُمْ في دمَائنَا وأمْوالنَا ؟ أمَا علمتُمْ أنَّ فينَا مَنْ هُوَ أنْطَقُ منْكُم باللغَات ، وأفْصَحُ بالعِظَاتِ ؟ فَتحلْحلَوا (١) عنها أولاً ، فأَطْلِقُوا عِقَالَها ، وخَلُّوا سَبيلَها يَبتَدِرْ إليْهَا آلُ رَسولِ الله صلى اللهُ عليه وعليهم الذينَ شَرَّدْتُموهُمْ في البلاد ، وفرَّقتُموهُمْ في كُلِّ وَاد ؛ بل تثبت في أيْديكُمْ لانْقضَاءِ المُدْةِ وبُلُوغ المُهْلةِ ، وعِظَمِ المحنةِ . إن لكُلِّ قائم قَدَراً لاَ يعْدُوهُ ويوْماً لا يخْطوه ، وكتاباً بعدَه يتلُوهُ «(لا يُغادِرُ صغيرةً ، ولا كَبيرةً إلاَّ أحْصاها)» (٢) .

---

(١) أي تحولوا .

(٢) سورة الكهف : ٤٩ .

«(وسَيَعْلَمُ الذين ظلموا أيَّ مُنْقَلَب يَنْقَلِبون)» (١) .
قال ثُمَّ أجْلِسَ الرَّجُلُ فطُلِبَ فَلَمْ يُوجَدْ .

قال يونس (٢) : قلت للخليلِ (٣) : ما بالُ أصْحابِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم كأنهم بنو أُمٍّ وإخوة ، وعليٌّ كأنَّه ابن عَلَّة (٤) فقالَ لي : منْ أين لكَ هذا السؤال ؟ فقلْت : أُريد أن تجيبني . قالَ عَلَى أنْ تكتم عليَّ ما دمتْ حياً . قلْت : أجَلْ . قالَ : تقدَّمَهم إسلاماً ، وبذَّهم شَرَفاً ، وفاقَهمْ عِلْماً ، ورَجَحَهم حلْماً ، وكانَ أكثَرَهم زهْداً ، فحسدوه والناسُ إلى أشكالِهم أميل .

سُئِلَ أحمدُ بنُ حنبل (٥) عَنْ قول الناسِ :

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ وأولها : « إلا الذين آمنوا وعملو الصالحات
(٢) هو يونس بن حبيب من أعلام النحاة في العصر العباسي .
(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض ، وصاحب كتاب العين وكتاب الخيل .
(٤) العلة : الضهرة
(٥) هو الإمام أبو عبيد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي الأصل . ولد ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ١٦٤هـ . وكان إمام المحدثين .

عليٌّ قَسِيمُ الجنَّةِ والنَّار . فقَالَ : هذا صحيحُ لأنَّ النَّبيَّ عليه السلامُ قالَ لعليٍّ : « لا يحبُّكَ إلا مؤمِنٌ ولا يُبغضُكَ إلا مُنَافِقٌ » والمؤمِنُ في الجنَّةِ والمُنافِقُ في النَّار .

* * *

الباب الحادي عشر

كَلامُ الخوارج (١)

مِنْ كَلامِ أبي حمْزَةَ (٢) : تَقْوَى اللهِ أكرمُ سَرِيرة ، وَأفْضَلُ ذَخِيرة ، مِنْها ثِقَةُ الوَاثِق ، وعليْها مِقَةُ الوَامِق . ليعمل امرؤ في فِكَاكِ نَفْسِهِ وهو رَخيٌّ (٣) اللَّبَب ، طويلُ السَّبَب ، وليعرِفَ مَمدَّ يَدِه ، ومَوْضِعَ قَدَمِه ، وليَحْذَرِ الزَّلَلَ والعِلَلَ التي تقْطَعُ عَنِ العمَل . رَحِمَ اللهُ عَبْداً آثَرَ التَّقْوىَ ، واسْتَشْعَرَ شِعَارَهَا واجْتَنَى ثِمارَها . باعَ دارَ النَّفَدِ بدار الأَبَدِ . الدُّنْيَا كرَوْضَة اعتَمَّ مَرْعَاهَا ،

---

(١) الخوارج : هم أتباع أقدم الفرق الإسلامية . وترجع أهميتهم إلى أقوالهم ، في نظرية الخلافة ، وفي الإسلام الصحيح ، وهل يكون بالإيمان والعمل ؟ وقد ترتب على معتقدهم هذا قيامهم بثورات محلية عكرت صفو السلام في الدولة الإسلامية .

(٢) أبو حمزة هو : يحيى بن المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السليمي البصري ، ثائر فتاك ، من الخطباء القادة .

(٣) المراد : وهو في مقتبل عمره .

وأعْجَبَتْ مَنْ يَراهَا ، تَمُجُّ عروقُها الثَّرَى ، وتنطفُ(١) فروعها النَّدَى ، حتَّى إذا بَلَغَ العُشْبُ إناهُ (٢) ، وانْتَهَى الزِّبْرج (٣) منتهَاه ، ضعفَ العمُودُ ، وذَوى العُودُ ، وتوالَى مِنَ الزَّمان مالا يعود ، فَمحتَ الرِّياحُ الورقَ ، وفرَّقَتْ ما اتَّسَقَ ، «(فَأَصْبحَ هَشِيماً تذْرُوهُ الرِّياحُ « وكانَ اللهُ علَى كُلِّ شيءٍ مُقْتَدِراً)» (٤)

كان شَبِيبُ (٥) يقُولُ : الليلُ يكْفيكَ الجبَانَ ونِصْفَ الشُّجَاع .

أُتِيَ الحجَّاجُ بامْرَأة مِنْ الخَوارج ، فقالَ لِمنْ حَضَر : ما ترونَ فِيها ؟ قالُوا : اقتُلْها . فقالَتْ :

---

(١) تنطف فروعها : تنطفت : تقرملت ، ووصيفة منطفه أي مقرطة .

(٢) بلغ أناه : — ويكسر — بلغ غايته أو نضجه وإدراكه .

(٣) انتهى الزبرج منتهاه : الزبرج — بكسر الزاي— الزينة من وشي أو جوهر .

(٤) سورة الكهف : ٤٥ .

(٥) شبيب الخارجي هو : شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني ، أبو الضحاك من أبطال العالم ، وأحد كبار الثائرين على بني أمية ومات غرقا .

جُلَساءُ أخيكَ خيرٌ مِنْ جُلَسائكَ : قال : ومَنْ أخي ؟ قالَتْ : فِرْعَوْنُ : لمَّا شاوَرَ جُلساءَهُ في مُوسى «(قَالُوا أَرْجِهْ وأخاهُ وابْعثْ في المدائِنِ حاشرين)» (١) فأمرَ بقتْلِهَا .

مرَّ رجلٌ من الخوارج بدارٍ تُبْنى ، فقال : مَنْ هذا الذي يُقيم كفيلا ؟

أخذ ابنُ زيادٍ ،ابنَ أديَّةَ (٢) : أخاأبي بلال ، فقطع يديه ، ورجليه ، وصلبه على بَابِ دارِه فقال لأهله وهو مصْلوبٌ : انظروا إلى هؤلاء الموكَّلين بي فأحسِنُوا إليهم فإنهم أضيافكم .

أُتيَ عتَّابُ (٣) بنُ ورْقاء بامرأة من الخوارج فقال لها : يا عدوةَ الله ، ما دعاكِ إلى الخروج ؟ أمَا سمعتِ اللهَ تعالى يقول :

---

(١) سورة الشعراء : ٣٦ .

(٢) عروة بن أدية هذا هو الذي قتله عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان فيمن قتل من الخوارج سنة ٥٨هـ .

(٣) هو عتاب بن ورقاء الرياحي .

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينـــا
وعلى المُحْصَنات جرُّ الذُّيول

فقالت : يا عدوَّ الله، أخرجني قلةُ معرفتك بكتاب الله.

خُطْبَةُ قَطَرِيّ بنِ الفُجَاءةِ (١)

أمَّا بعدُ : فإني أحذِّرُكم الدنيا فإنها حُلْوةٌ خَضِرةٌ ، حُفَّتْ بالشهواتِ وراقتْ بالقليل ، وتَحبَّبتْ بالعاجلة ، وتحلَّت بالآمال ، وتَزيَّنت بالغُرور ولا تَدُومَ حَبْرتها(٢) ، ولا تُؤْمَنُ فجيعتُها ، غرَّارةٌ ضرَّارةٌ ، وحائلةٌ زائلةٌ ، ونافدةٌ بائدةٌ ، أكَّالةٌ غوَّالة ، لاتعدُو — إذا تناهت إلى أمنية أهلِ الرغبة فيها ، والرِّضا عنها — أنْ تكونَ كما قال اللهُ تعالى : « كماءٍ أنزَلْناهُ من السماء ، فاختلطَ به نبَاتُ الأرض فأصبحَ هَشِيماً تذْروه الرياحُ وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقْتَدِراً(٣) » .

---

(١) هو أبو نعامة قطري بن الفجاءة ، واسمه جعونة بن مازن بن يزيد ، والفجاءة أمه وكان أطول الخوارج أياما وأحدهم شوكة وكان شاعرا جوادا وخطيبا مشهورا وقد توفي سنة ٨٧٨ .

(٢) الحبرة : النعمة .

(٣) سورة الكهف : ٤٥ . وأولها « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا » .

مع أنَّ أمْراً لم يكُنْ منها في حَبْرة(١) إلا أعقَبَتْه بَعدها عَبرة ، ولمْ يلْقَ مِنْ سَرَّائها بطْناً إلاَّ منحتْه مِنْ ضَرائها ظهْراً ، ولم تَظله غيمْةُ رَخَاءٍ إلاَّ هَطلتْ عليه مُزْنَةُ بلاء ، وحَرِيَّةٌ إذا أصبحَتْ له منتصِرةً ، أنْ تُمسيَ له خاذلةً متَنكِّرة ، وإنْ جانبٌ منْها اعْذَوْذَبَ واحْلَوْلَى أمرَّ عليه منها جانبٌ وأَوْبَى(٢) .

وإنْ آتتْ امرَأً مِنْ غضَارتِها ورقاً أرهقتْه مِنْ نوائبها تعباً ولم يُمْسِ منها امرُؤٌ في جنَاحِ أمْنٍ إلاَّ أصبحَ مِنْها على قَوادمِ خوف . غرارةٌ ، غرورٌ مافيها ، فانيةٌ فانٍ مَنْ علَيْها . لاخَيْرَ في شيءٍ مِنْ زَادِها إلاَّ التّقوى . مَن أقلَّ منها استكثرَ مما يؤمِّنُه ، ومَنْ استكثر منْهَا استكْثَرَ مِمّا يُوبِقُه(٣) ويطيل حُزنه ، ويُبْكي عينَه ، كَم واثقٍ بها فجعتْه ، وذي طمأنينة إليها قد صرعتْه ، وذي احتيال فيها قد خَدَعتْه ، وكمْ

---

(١) الحبرة : البهجة والنضارة .

(٢) أوبى : أي صار فيه الوباء فهو مسهل من أوبأ .

(٣) يوبق : يهلك .

ذي أبَّهة فيها قد صيَّرته حقيرا ، وذي نَخْوة قد ردَّتْه ذَليلا ، ومِنْ ذي تاج قد كبَّتْه لليدين ، وللفَم .

سلطانُها دُوَلٌ ، وعَيشُها رَنق(١) وعذبها أجَاجٌ، وحُلوُها صَبِرٌ(٢) ، وغذاؤها سِمامٌ ، وأسْبابها رِمامٌ(٣) ، وقطَافُها سَلَع(٤) ، حيُّها بعَرَضِ موت ، صحيحُها بعَرَضِ سقْم ، منيعُها بِعَرضِ اهتضَام . مَليكُها مسْلُوب ، وعزيزُها مغْلوبٌ ، وسَليمُها مَنْكُوب ، وجارُها مَحْروبٌ(٥) ، مع أنَّ وراءَ ذلك سكراتِ الموت ، وهولَ المطَّلَع ، والوقوفَ بينَ يَدي الحكم العدل « ليَجْزِيَ الذَّينَ أساءُوا بِما عَملوا ويَجْزِيَ الذَّينَ أحْسنُوا بالحُسْنَى(٦) » .

ألستُم في مسَاكن مَنْ كانَ قبْلكم أطْولَ

---

(١) عيشها رنق : كدر .

(٢) حلوها صبر : الصبر ككتف : عصارة شجر مر .

(٣) أسبابها رمام : واهية .

(٤) وقطافها سلع : السلع – بتحريك اللام – شجرمر .

(٥) محروب : مسلوب .

(٦) سور النجم : ٣١ .

أعماراً ، وأوضح منكم آثاراً ، وأعدّ عديدا ، وأكثف جنوداً ، وأشدّ عنودا .

تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد ، وآثروها أي إيثار ، وظعنوا عنها بالكره والصّغار فهل بلغكم أنّ الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية ، أوْ أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب ؟ بل قد أرهقتهم بالفوادح ، وضعضعتهم بالنوائب ، وعقرتهم بالفجائع . وقد رأيتم تنكّرها لمن دان لها ، وآثرها وأخلد إليها ، حين ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر المسند(١) .

هل زوّدتهم إلا السّغب ، وأحلّتهم إلا الضنك ، أوْ نوّرت لهم إلاّ الظلمة أو أعقبتهم إلاّ النّدامة ؟ أفهذه تؤثرون أمْ على هذه تحرصون ؟ أم إليها تطمئنّون ؟

يقول الله عزّ وجل : « مَنْ كان يُريد الحياة الدنيا وزينتها نُوَفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبْخسون(٢) » . فبئست الدارُ لمنْ أقام فيها .

---

(١) آخر المسند : المراد الدهر يقال لا آتية أبد المسند أي أبداً .

(٢) سورة هود : ١٥ .

فاعلمُوا — وأنتم تعلمون — أنكم تَارِكُوها لابُدّ ، فإنّما هي كما وصفَها اللهُ باللّعب ، واللّهو . وقد قال الله تعالى : « أتَبنُون بكُلّ رَيْع آيةً تَعبَثُون وتتّخذُون مصانعَ لعلّكم تَخْلُدون وإذا بَطَشْتُم بطَشْتُم جَبّارين »(١) .

ذكر الذين قالوا : « مَنْ أشدُّ مِنّا قوةً(٢) » ثم قال : حُمِلُوا إلى قُبورهم فَلا يُدعَوْن رُكْباناً ، وأُنْزِلوا فلا يُدعَوْن ضِيفَاناً ، وجعل الله لهم من الضّريح أجْناناً(٣) ، ومن التّراب أكْفانا ، ومن الرُّفات جيراناً ، وهم جِيرةٌ لا يُجيبون داعياً ، ولايمنعون ضَيماً . إن خَصبوا لم يَفْرحُوا ، وإن قَحطوا لم يقْنطوا . جَميعٌ وهم آحاد ، جِيرةٌ وهم أبْعادٌ ، مُتَناءُون لايزورُون ولا يُزَارُون .

---

(١) سورة الشعراء : ١٢٨ — ١٣٠ .

(٢) سورة فصلت : ١٥ « فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة » .

(٣) الأجنان : جمع جنين ، وهو الستر والمراد القبر .

حُلماءُ قد ذهبتْ أضْغانُهم ، وجُهلاءُ قد ماتتْ أحقادهُمْ ، لا يُخشى فجْعهُمْ ، ولا يُرْجَى دَفْعُهُم ، وكما قال الله تعالى : « فتلْكَ مساكنُهم لم تُسْكَنْ منْ بعْدِهم إلاَّ قليلا وكُنّا نحنْ الوارثين(١) » .

واستبدَلوا بظَهْرِ الأرض بطْناً ، وبالسّعة ضيقاً ، وبالأهل غُربةً ، وبالنُّور ظُلمة ، ففارَقُوها كما جاءُوها حُفاةً ، عُراةً ، فُرادَى . غيرَ أنْ ظعنُوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، وإلى خلود الأبَد . يقولُ الله تبارك وتعالى : « كَمَا بَدَأنا أوّلَ خلْق نُعيدُهُ وَعْداً علَينا إنّا كُنّا فاعلينَ(٢) » .

فاحْذَروا ماحذّركُم الله ، وانتفعُوا بمواعظه ، واعتصمُوا بحَبْله . عَصَمنا اللهُ وإياكم بطاعته ، ورزَقنا وإياكُم أداءَ حقّه .

قالوا : لمّا أخذ (أبو) بَيْهس(٣) الخارجيُّ ،

---

(١) سورة القصص : ٥٨ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٤ .

(٣) هو أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعي الخارجي وأتباعه يسمون البيهسية إحدى فرق الخوارج .

وقُطِعتْ يداهُ ، ورِجْلاهُ ، تُرِاهُ يتمرَّغُ في التُّراب . فلمَّا أصْبح قال : هل أحدٌ يُفْرِغُ عليَّ دَلْوين ؟ فإنّي احتلمتُ في هذه اللّيلة . هذا إنْ كان صادقاً فهو عجيبٌ ، وإنْ كان قالهُ استهانةً بمَنْ فعلَ ذلك فهو أعجبُ .

قال بعضُهم : سمعتُ أبا بلال في جنازة وهو يقولُ : ألا كلُّ ميتةٍ ظنُونٌ(١) إلاّ ميتةَ الشّجّاء . قالوا : وماميتةُ الشّجّاء ؟ قالَ : امرأةٌ أخذهَا زيادٌ فقطعَ يديْها ، ورجليها ، فقيل لها : كيف تريْنَ ياشجّاءُ ؟ قالتْ : قد شغَلني هولُ المطّلَع عن بَرْدِ حديدكم .

قال الحجاجُ لامرأةٍ من الخوارج : اقْرئي شيئاً من القرآن . فقالتْ : « إذا جاء نَصْرُ الله والفتْحُ ، ورأيتَ النّاسَ « يخرجون(٢) » فقَالَ : ويحك يدخلُون .

قالت : قد دَخلُوا ، وأنتَ تُخْرِجُهم .

---

(١) كل ميتة ظنون والمراد كل ميتة تدل على ضعف الميت إلا هذه المرأة الخارجية .

(٢) سورة النصر : ١ ، ٢ .

وقال الحجَّاجُ لأخرى : لأحْصدنَّكُمْ حصْداً .
قالَتْ : أنْت تحصُدُ ، واللهُ يزْرعُ ، فانْظُرْ أيْن قُدْرةُ المخْلُوقِ مِنْ قُدرةِ الخالق ؟

رأتْ أخرى منهُمْ رجلاً بَضّاً فقالَت إنيِّ لأرَى وجْهاً لم يُؤَثِّرْ فيه وُضُوء السَّبرَات(١) .

كان شَبيبُ الخارجِي(٢) يُنْعَى لأمِّه : فيُقَالُ : قُتِلَ : فَلاَ تُصَدِّقُ ، إلىَ أنْ قِيلَ لَهَا : غَرِقَ فَولْوَلَتْ ، وصدَّقَتْ : فَقِيلَ لَهَا في ذلِكَ . فَقَالَتْ إنّي رأيتُ حين ولَدتُهُ أنّهُ خَرجَ مِنِّي نَارٌ فَعلِمْتُ أنّهُ لا يُطفِئُهُ إلاّ المَاءُ .

وقَفَ رجُلٌ عَلى أبي بيهَسَ وقَدْ أُمِرَ بقَطْع يدَيْهِ ورجْليهِ فقال : ألاَ أُعطِيكَ خَاتِماً تتختَّمُ بِهِ ؟ فقالَ لَهُ أبو بيْهسُ : أشْهَدُ أنّكَ إنْ كُنت مِنَ العَرب فأنت مِن هذيل ، وإن كنت مِن العجَم فأنت بَرْبرِيٌّ . فسُئِلَ عَنه فإذا هوَ منْ هذيل وأُمهُ بَرْبرِيّةٌ .

---

(١) السبرات : جمع السبرة – بفتح السين ، وهي الغداة الباردة .
(٢) هو شبيب بن يزيد الخارجي صاحب الشبيبية .

أتى رجلٌ منَ الخوارج الحسنَ البصري ، فقال لهُ : ما تقولُ في الخوارج قالَ : هُمْ أصْحابُ دُنياً ، وقالَ : ومن أينَ قُلتَ وأحدهُمْ يمشي في الرمح حتّى ينكسرَ فيه ، ويخرج من أهله وولده ؛ فقالَ الحسنُ : حدّثني عَن السُّلطان أيمنعُكَ من إقامَة الصَّلاة ، وإيتاءِ الزَّكاة ، والحجِّ والعُمْرة ؟ قالَ : لاَ : قالَ : فأراهُ إنَّما منَعَكَ الدُّنيا فقاتلتَ .

نزَل رجُلٌ منَ الخوارج علَى أخٍ لهُ منهُمْ في استتارةٍ منَ الحجَّاجِ ، وأرادَ صاحبُ المنزل شُخُوصاً إلى بلدٍ آخرَ لحاجة لهُ ، فقالَ لامرأته : يا زرقاءُ أُوصيكِ بضَيْفي هذا خيراً . وبَعُدَ لِوجهته . فلمَّا عادَ بَعْدَ شهر قالَ لَها : يا زرقاءُ . كيْفَ رأيْتِ ضَيْفَنَا ؟ قالتْ ما أشْغَلَهُ بالعمى عَنْ كُلِّ شَيء . وكانَ الضّيفُ أطبَقَ عينَهُ فلمْ ينْظُرْ إلى المرْأة والمنزل إلى أنْ عادَ زَوْجُها .

اجْتَمعَ ثلاثَةٌ مِنَ الخوارج فعقد اثْنان لِواحِدٍ ، وخرَجُوا يمشُونَ خلفَهَ يَلْتمِسونَ شيئاً يركَبُهُ ،

فجعلَ الاثنانِ يتلاحيان(١) ، فالتفتَ إليهما وقالَ : ما هذه الضوضاءُ التي أسمعُها في عسكري ؟؟

كبرَ رجلٌ منهم وهرمَ حتى لم يكنْ به نهوضٌ ، فأخذَ منزلاً على ظهرِ الطريق ، فكلما جاءَ مطرٌ وابتلتْ الأرضُ أخذَ زجاجاً ، وكسرهُ ، ورماهُ في الطريق ، فإذا مرَّ إنسانٌ وعقرَ(٢) رجلَهُ الزجاجُ قالَ الخارجيُّ مِنْ وراءِ الباب ، لا حُكْمَ إلاّ لله ثم يقولُ : اللّهمَّ إنَّ هذا مجهودي .

لقيَ رجلٌ بعضَ الخوارج بالموقفِ عشيةَ عرفة(٣) فقال لهُ : مَنْ حجَّ في هذه السنةِ مِنْ أصحابكم ؟ فقالَ : ما حجَّ غيرِي . فقالَ لهُ : إنما باهى اللهُ عزَّ وجلَّ ملائكتهُ في هذه السنةِ بشقِّ محملِه .

أحضرَ الحجاجُ رجلاً مِن الخوارج ، فمنَّ عليهِ ، وأطلقهُ ، فلما عادَ إلى أصحابهِ ، قالُوا لهُ : إنَّ اللهَ

---

(١) يتلاحيان : لحاه يلحوه : شتمه .

(٢) عقر الزجاج : أي جرحه ، والعقر : الجرح .

(٣) أي يوم عرفة آخر النهار ، وهو يوم التاسع من ذي الحجة .

مخلّصك من يده ليزيدك بصيرة في مذهبك ، فلا تقصّر في الخروج عليه . فقال . هيهات . « غلّ يداً مطلقها ، واسترقّ رقبة معتقها(١) » .

وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد ، وله آداب محفوظة عنه .

كان يقول : إذا أفضيت بسرّي إلى صديقي فأفشاه لم ألمه لأني كنت أولى بحفظه .

وكان يقول : لا تفش إلى أحد سراً . وإن كان لك مخلصاً إلاّ على جهة المشاورة .

وكان يقول : كن أحرص على حفظ السرّ صاحبك منك على حقن دمك .

وكان يقول : أقلّ ما يدلّ عليه عائب النّاس معرفته بالعيوب ولا يعيب إلاّ معيب .

وكان يقول : المال غير باق فاشتر به من الحمد ما يبقى عليك .

---

(١) غل يدا مطلقها ، واسترق رقبة معتقها ، غل يدا : أي وضع فيها الغل واسترق رقبة : أي ملكها بالرق ويضرب لمن يستعبد بالإحسان إليه .

وكان يقول : بَذْلُ المالِ في حقِّه استدعاءٌ للمزيد من الجَواد .

وكانَ يُكثِرُ أنْ يقولَ : لو ملكت الدُّنْيا بحَذَافيرها(١) . ثم دُعيتُ إلى أنْ أستقيلَ(٢) بها خطيئةً علي لفعَلْت .

ولمَّا أُتيَ عبيدُ اللّه بن زياد بعروةَ بنِ أُديَّة — وكانَ قد أُصيبَ في سَريَّةٍ(٣) للعلاء بنِ سُويد في استتاره — قال له عبيدُ اللّه : جهَّزْتَ أخاكَ عليَّ : فقال : واللّه لقد كنتُ به ضَنيناً وكانَ لي عزًّا ، ولقد أردتُ له ما أُريده لنفسي ، فعزَم عزْماً فمضَى عليه ، وما أُحبُّ لنفسي إلاَّ المقامَ وتَرْكَ الخروج . قال له : أفأنتَ على رأيه ؟ قال : كنَّا نعبد ربًّا واحداً . قال أمَا لأمثِّلَنَّ بكَ . قال فاختَرْ لنفسك منَ القصاص ما شئْت . فأمرَ به

(١) بحذافيرها : جمع حذفور أو حذفار ، وهو أعلى الشيء وناحيته والمراد جميعها .

(٢) أستقيل خطيئة علي : أطلب الصفح عن خطيئة حسبت علي .

(٣) السرية : القطعة من الجيش .

فقطعوا يديه ورجليه . ثم قال : كيف ترى ؟ قال أفسدتَ عليَّ دنياي وأفسدتُ عليك آخرتك .

وفي كتاب لنافع بن الأزرق(١) كتبه إلى قعدة الخوارج : ولا تطمئنوا إلى الدنيا فإنها غرارة ، مكارة، لذتها نافدة ، ونعيمها بائد . حُفت بالشهوات اغترارا ، وأظهرت حبرة ، وأضمرت عبرة ، فليس لآكل منها أكلة تسره ، ولا شربة تؤنقه إلا دنا بها درجة إلى أجله ، وتباعد بها مسافة من أمله . وإنما جعلها الله داراً لمن تزود منها إلى النعيم المقيم ، والعيش السليم ، فلن يرضى بها حازم داراً ، ولا حكيم بها قرارا ، فاتقوا الله ، «(وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)» (٢) والسلامُ على من اتبع الهدى .

ولما حاربهم المهلب بسلى ، وسليرى(٣) فقتل

(١) نافع بن الأزرق هو: نافع بن الأزرق الحنفي صاحب فرقة الأزراقة من الخوارج .

(٢) سورة البقرة : ١٩٧ .

(٣) في معجم البلدان : سلى وسليرى، - بكسر السين وتشديد اللام فيهما وقصر الألف كذلك : جبل بمناذر من أعمال الأهواز .

رئيسهم : ابن الماخور(١) اجتمعوا علي الزبير بن علي من بني سليط ، وبايعوه ، فرأى فيهم انكساراً شديداً ، فقال لهم : اجتمعوا . فحمد اللّه وأثنى عليه، وصلّى على محمد صلى اللّه عليه — ثم أقبل عليهم فقال: إن البلاءَ للمؤمنينَ تَمحيصٌ وأجرٌ ، وهو على الكافرين عقوبةٌ وخزْي ، وإنْ يُصَبْ منكم أميرُ المؤمنين فما صار إليه خيرٌ مما خلّف . وقد أصبتم فيهم مسلمَ بن عُبَيْس ، وربيعاً الأجْذم ، والحجّاجَ بن بَاب ، وحارثةَ(٢) ابنَ بَدْر ، وأشجيتم بالمهلّب ، وقتلتم أخاه المعارك . واللّه يقول لأخوانكم من المؤمنين : «(إنْ يَمْسَسْكم قَرْحٌ فقد مَسّ القومَ قَرْحٌ مثلُه وتلكَ الأيامُ نداولُها بيْنَ الناسِ)»(٣)فيوم سلّى كان لكم بلاءً وتمحيصا،ويوم سولاف(٤) كان لهم عقوبة ونكالا. فلا تُغْلَبُنّ عن الشُّكرِ

---

(١) عبيد الله بن الماخور أمير الخوارج وكانوا يسمونه أمير المؤمنين وقد قاتله المهلب بن أبي صفرة بجيش كبير قتل فيه ابن الماحور هذا وسبعة آلاف معه .

(٢) هو حارثه بن بدر الفزاري ، كان ذابيان وجهارة وكان شاعرا عالما بالأخبار والألقاب .

(٣) سورة آل عمران ١٤ .

(٤) سولاف — بضم أوله وسكون ثانيه وآخره فاء قرية في غربي دجيل من أرض خوزستان .

في حينه . والصَّبْر في وقته . وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض والعاقبة للمتقين .

ولمّا استردّ مصعبٌ المهلبَ من وَجْه الأزارقة ، وولاه الموصلَ(١) شاور الناسَ فيمن يستكفيه أمْرَ الخوارج ، قال قومٌ ، وَلِّ عبيدَ اللّه بنَ أبي بكرة . وقال قوم : ولِّ عمرَ(٢) بنَ عبيد اللّه بنِ مَعْمَر . وقال قوم : ليس لهم إلا المهلبُ فارْدده إليهم .

كانَ بالمدينة رجلٌ منَ الخَوارج قالَ بعْضهم : فرأيته يَحْذفُ قناديلَ المسْجدِ بالحَصَى ، فيكْسرَهَا ، فقلْت له : ما تصْنَعُ ؟ قَالَ : أنَا — كَما تَرَى — شيْخٌ كبيرٌ ، لاَ أقْدر لهُمْ عَلَى أكثْرَ منْ هَذَا ، أغرِّمُهُمْ قنْديلاً ، قنْديلَيْنِ في كل يَوم . وصلَّى اللّه على محمد وآله .

---

(١) الموصل : إحدى مدن العراق تقع في الشمال .

(٢) عمر بن عبيد الله بن معمر : ولاه مصعب بن الزبير قتال الخوارج بعد المهلب بن أبي صفرة .

وهذا مُخْتَصَرٌ عمله الصَّاحِبُ رحمة اللّه وسماه
(الكَشْفُ عن مناهجِ أصنافِ الخَوارجِ)

الحمد للّه رب العالمين. وصلى اللّه على النبي محمد، وآله أجمعين . سألتَ أنْ أذكرَ لكَ ألقابَ طوائفِ الخوارج ، وذَرْواً من اختلافها . وأنا أثبتُ ما يحضر حفْظي . علـى أنَّ هذه الألقابَ تجمع أصولا ، وفروعاً : فربَّ طائفة لحقَها لقبٌ ثم تفردَ من جملتها فريقٌ فلحقَهم لقبٌ آخر .

والذي يجمعهم من القول تكفيرُ أميرِ المؤمنين(١) — صلواتُ اللّه عليه — وتكفيرُ عثمانَ ، وإنكارُ الحَكَمينِ(٢) والبراءةُ منهما ، وممّن حكَّمهما أو تولّى أحداً ممن صوَّبهما. وأولُ من حَكَّمَ بصفّينَ عُروةُ بنُ حُدَيرٍ : أخُو أبي بلال مرْداس ، وقيل عاصمُ المحاربيّ ، وأوّلَ مَن تشَرى(٣) رجلٌ من يشكُرَ ، وكان أميرُهم — أولَ

(١) هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
(٢) الحكمان هما : عمرو بن العاص ، وأبو موسى الأشعري .
(٣) تشرى : تفرق : أو لعله صار من فرقة المحكمة التي لقبت أنفسها الشراة فيكون معنى تشرى : حكم .

ما اعتزلوا — عبدَ اللّه بنُ الكَوَّاء ، وأميرُ قتالهم شبثُ ابن ربعيٍّ ، ثم بايعوا لعبدِ اللّه بنِ وهب الراسبيّ .

ذكرْ ألقابَ فرَقهم مع جُمَلٍ منْ مذاهبهم

الأزارقةُ : أصحابُ نافع بنِ الأزرق(١) ، ويبرؤون من القَعَدَةِ .

النَّجْديَّة : أصحابُ نَجْدةَ(٢) بنِ عامر الأسَدي . تتوَلّى أصْحَاب الكَبائر منَ الخوارج إذْ لمْ يُصِرُّوا . ومَنْ أصرَّ منهم فَهُو مُشْرِكٌ عنْدَهُمْ .

الإباضيَّة : أصحابُ عبد اللّه بنِ إباضٍ التَّميميّ . فأما عبدُ اللّه بنُ يحيى الإباضي الملقّبُ بطالبِ الحق فهُوَ منْسُوبٌ إليهِمْ . ومعَهُ خَرَجَ أبُو حمزَةَ الخارجيُّ .

الصّفريَّة : أصحابُ زيادِ بنِ الأصْفرِ . وقيلَ أصحابُ عبْد اللّه الصفَّارِ

(١) هو نافع بن الأزرق الحنفي رئيس جماعة الأزراقة . وكانت الخوارج قبله على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشيء والشاذ .

(٢) هو نجدة بن عامر الأسدي الحروري الحنفي من بني حنيفة من بكر بن وائل .

العَطويَّة: أصْحابُ عطيةَ بنِ الأسْود الحنفيّ منْ المنكرينَ علَى نَافع .

العَجَاردةِ : أصحابُ عبدِ الكَريم بنِ عجرد ، وهم عَطوية ، إلا أنهم يوجبُونَ دُعاءَ الأطفَالِ عندَ بُلُوغهم والبراءةَ منهُمْ قبْلَ ذلكَ .

الميمْونيَّةُ : ميْمونٌ هذَا عبدٌ لعبدِ الكَريم بنِ عجردَ . ويقولُ بالعَدْلِ ويَرَى قتْلَ السُّلطانِ خاصَّة ، ومَنْ رَضيَ ظُلْمهَ ، وأعَانَهُ دُونَ سائر النَّاس ويُحكَى عنْهُمْ أنَّ التَّزوّجَ ببنَات الابْنِ وبنَات البنَات ، وبنَات بنَات الأخَوات وبنات بني الإخوَةِ جائزٌ ، وأنَّ سُورةَ يوسُفَ ليستْ منَ القرآنِ ، وأكثَرُ مَنْ بسجِستْانَ ميمْونيَّةٌ ، وعَجاردِةٌ . وقيلَ ميمونُ رجلٌ منْ أهْلِ بَلْخ .

الخلفيَّة : يقولُون بالجَبْرِ (١) ، ويخالفُون الميْمونيَّةَ في العَدْلِ .

---

(١) أي أن الإنسان مجبور على كل ما يأتيه من خير وشر وليس له اختيار في أفعاله .

الحمزية : أصحاب حمزة بن أدرك . يقولون بالعدل . وله فارقوا الخليفية .

الخازمية : وهم الشعيبية أصلهم عجاردة ، وهم أصحاب شعيب يقولون : إن الولاية والعداوة صفتان في ذات القديم . وهم مجبرة .

المعلومية : من الخازمية يقولون : من لم يعلم الله بجميع أسمائه ، وعرفه ببعضها فهو عارف به .

المجهولية يقولون : من لم يعلم الله عز وجل بجميع أسمائه فهو جاهل به .

الصلتية : عجاردة أصحاب عثمان بن أبي الصلت : يقولون : إذا استجاب الرجل للإسلام برئنا من أطفالهم حتى يدركوا .

الثعالبة : عجاردة ، وصاحبهم ثعلبة ، خالف عبد الكريم بن عجرد فيما قاله في الطفل .

الأخنسية : أصحاب ، الأخنس يحرمون البنات ، والغيلة ويقفون عمن في دار التقية حتى يعرفوه .

العَبْدية : رأوا أخْذَ زكاةِ أمْوالِ عبيدهم إذا استَغْنَوا ، وإعْطاءهُم إذا افتقروا .

الشَّيبانيةُ أصحابُ شَيبانِ بنِ سَلَمة .

الزيادية : أصحابُ زيادِ بنِ عبد الرحمن .

العُشْريَّة : وهم الرَّشيدية ، كانوا يرون فيما سُقِي بالأنهار الجارية نصفَ العَشر ، وخالفت الزياديةَ في إيجابها العُشرَ .

المكرمية : أصحاب أبي مكرم . قالت : تارك الصلاة كافرٌ . ومن أتى كبيرةً فهو جاهلٌ بالله . وقالت بالموافاة .

* * *

الباب الثاني عشر

الغَلَطُ والتَّصحيف (١)

قال بعضهم : خَالِفْ تَذْكُرْ . فقيل له : إنّما هو تُذْكَر فقال ؛ : هذا أول الخِلاف .

وقرأ بعضهم في كتاب : أنّ النبيّ عليه السلام بَلَعَ قَدِيداً ، وإنّما بَنَع قُدَيداً(٢) .

وقرأ آخرَ : أنّه كان يُحِبُّ العسَل يومَ الجمعة ، وإنّما هو « الغُسْلَ » .

وقرأ آخر : أنه كان يكره النّوم في القِدْر ، وإنّما هو الثُّوم .

---

(١) التصحيف لغة : الخطأ والتحريف هو الخطأ كذلك ، غير أن بعض الباحثين يرى التصحيف خاصا بالخطأ الناشىء عن نقط الحروف زيادة أو نقصا . أما التحريف فخاص بالخطأ في حروف الكلمة تقديما أو تأخيرا أو صورة أو ضبطاً .

(٢) قديد . اسم موضع قرب مكة .

وقرأ آخر : ولا يرث جميلٌ(١) إلاَّ بُثينةَ ، وإنما هو لا يُورَّثُ حميلٌ(٢) إلا ببيِّنة .

وقال آخر : إذا أردْتَ أن تُنْعظ(٣) فادخلِ المقابرَ ، وإنما هو تتَّعظُ .

وقرأ رجلٌ على ابن مجاهد : بل عَجَبْتَ ، ويَسْجرون(٤) . فقال : أحسنْتَ ، مع العَجَنْ يُسْجَرُ التَّنُّور .

كتب صاحبُ الخبر بأصْبهانَ إلى محمد بنِ عبد الله بنِ طاهر : إنَّ فلانًا القائدَ يَلْبَسُ خُرْنحيةً ، ويقعد مع النساء فكتب إلى العامل : ابعث إليَّ بفُلانٍ وخرنحيته فصحّفَ القارئ . وقرأ : وجزَّ لحيتَهُ ، ففعل ذلك به ، وأشْخصَهُ .

---

(١) هو جميل بن معمر صاحب بثينة التي أغرم بها وشبب بها في شعره وكان في أيام دولة بني أمية مثالا للغزل العذري العفيف .

(٢) الحميل : الذي يحمل من بلده صغيراً ولم يولد في بلد الإسلام .

(٣) أنعظ الرجل : علاه الشبق والرغبة في الجنس الآخر .

(٤) سجر التنور : أحماه . وهو يشير إلى الآية الكريمة « بل عجبت ويسخرون » .

وكان كافي الكُفاة يكرهُ أنْ يكونَ في مخاطباتِ النِّساء حراستُها ونظرُها وعقابُها ، ويقول : لا يُؤمَنُ أنْ يُصَحَّفَ فيقرأ : خِراسَتُها ، وعَقْابُها ، وبظرها .

وكان حمّادٌ الراويةُ(١) لا يقرأُ القرآنَ فاستقرىء فقرأ ، ولمَ يَزِلّ إلاّ في أربعة مَواضِعَ : عذابي أُصيبُ به منْ أساءَ . وما كانَ استِغفارُ إبراهيم لأبيه إلاّ مَوْعدة وعداها أباه . ومِن الشَّجر ومما يغْرسون . بل الذين كفَروا في غِرَّةٍ وشِقاق(٢) .

وقد رُوِي أنه صحَّفَ في نيِّف وعشرين موْضعاً كلها متشابهة وأنا أذكُرها جميعاً مِنْ بعدُ بإذن اللّه .

---

(١) حماد الراوية : هو حماد بن ميسرة . وقيل بن سابور مولى بني شيبان ، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها .

(٢) صحة الآيات :

« عذابي أصيب به من أشاء » سورة الأعراف : ١٥٦ .

« وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » سورة التوبة : ١١٤ .

« ومن الشجر ومما يعرشون » سورة النحل : ٦٨ .

« بل الذين كفروا في عزة وشقاق » سورة ص : ٢ .

غضب كاتبُ المأمون على غلامه فرماه بالدَّواةِ ، وشَجَّه ، فلما رأى الدَّمَ يسيلُ قال : صدَق اللّه تعالى : والذين «(إذا ما غَضبوا هم يَغْفِرون)»(١) . فبلغ ذلك المأمونَ . فأنَّبه . وقال : ويابَكَ ! أمَا تُحسِنُ أن تقْرأ آيةً مِن القُرآنِ ؟ فقال : بلَى . واللّهِ إني لأقرأ مِن سُورة واحدة ألفَ آية(٢) .

قال بعضُهُم : قرأ عبدُ اللّه بنُ حَنبل في الصَّلاة : اقرأ باسمِ ربِّك الذي خُلِق(٣) .

فقيل له : أنت وأبوك في طَرفي نقيض . زعَم أبُوك أنَّ القرآنَ ليس بمخْلوق ، وأنت قد جعلْت ربَّ القرآنِ مخلوقاً .

---

(١) صحة الآية « والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون » سورة الشورى : ٣٧ .

(٢) وجه العجب في هذه الإجابة : أن القرآن ليس فيه سورة عدد آياتها ألف آية .

(٣) صحة الآية « اقرا باسم ربك الذي خلق » سورة العلق : ١ ببناء خلق للمعلوم .

وحُكي أنَّ المحامليَّ(١) المحدث قرأ : وفاكهةً وإبّاً(٢) . فقيل له : الألفُ مفتوحةٌ . فقال : هو في كتابي محفوظٌ مضبوطٌ .

وحُكِي أنَّ ابنَ حاتم قرأ : فصيامَ ثلاثةِ أيامٍ في الحجِّ وتِسْعةٍ إذا رجعتُم ، تلكَ عشرةٌ كاملةٌ(٣) .

كان اسمَ أبي العتاهية(٤) « زيدٌ » فنقش على خاتمه أبا زيد « ثق » فكانَ الناس يتنادَلُونَه : أنا زِنْديق .

قال بعضُهم : سمعتُ ابْنَ شاهين المحدِّثَ في جامع المنْصور يقول في الحديث : نَهى النَّبيُّ عليه السلام

---

(١) هو القاضي أبو عبيد الله الحسن بن إسماعيل بن محمد الضبي من الثقات لم يكن أشد منه في عصره مع الصدق والستر والتوثق . توفي ببغداد سنة ٣٣٠هـ .

(٢) وصحة الآية « وفاكهة وأبا » سورة عبس : ٣١ .
والأب : الكلأ أو المرعى أو ما أنبتت الأرض والخضر .

(٣) صحة الآية « فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم » سورة البقرة : ١٩٦ .

(٤) أبو العتاهية هو : إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ بالكوفة . توفي سنة ٢١١هـ .

عن شقيقِ الحطب . فقال بعض الملاّحين : يا قومُ ، فكيف نعملُ والحاجةُ ماسّةٌ ؛ وهو شقيق الحطب .

قال : وسمعتُه مرةً أخرى وهو يفسّر قولَه تعالى : « (وثيابك فَطَهِّر) » فقال : قيل لا تَلْبسها على غادرة . وهو لا تلبسها على عَذِرة(١) .

وكان كيسانُ مستملي ابن الأنباري ، وكانَ أعمَى القلبِ ، فَسمعَ ابنُ الأنباري وهو يقول : كيسانُ يسمعُ غيرَ ما أقولُ ، ويكتبُ غير ما يَسمعُ ويقرأ غيرَ ما يكتُبُ ، ويحفظُ غيرَ ما يقرؤُه .

وحُكي عنه أنه كان يكتبُ ما يسمعُ في الخزف ، ويجمعهُ في حُبّ ، فاشترى راويةَ ماءٍ فغلطَ السّقّاء بينَ حُبِّ الماء وحُبِّ الخَزف ، فصبَّ الماءَ في حبِّ العِلْم فرأيْنا كيسانَ وقد وضع يدَه على رَأسِه ، وذهب علمه كلُّه .

---

(١) عذرة : العذرة : الغائط وانظر سورة المدثر : ٤ .

وقالوا تقدّمتِ امرأةٌ إلى عمرَ فقالت : أَبا غَفَرَ حَفْصٍ اللهُ لكَ(١) . فقال : مالك : أغْفَرتِ ؟ قالت : صلَعَتْ فرقتُك .

ورَوَى أبُو ربيعة المحدِّثُ أنَّ النبيَّ عليه السلامُ كان يغْسِلُ خُصَى الحمار . قيل : ولمَ ذاكَ يا أبا ربيعةَ ؟ قال : كان يُظْهر تواضُعَه بذلكَ . والخبر أنَّه « كانَ يغْسِلُ حَصَى الجمار(٢) » .

قال بعضُ المحدِّثين : حدَّثني فلانٌ عن فُلان عن سَبْعة وسبْعينَ ، يريد عن شُعبَة وسفيان .

كان « يزْدَا نفا ذار » فيه لُكْنةٌ ، وكان يجْعلُ الحاءَ هاءً ، أمْلى على كاتبٍ له : والحَاصلُ ألفُ كُرٍّ . فكتبهاالكاتب بالهاء . كما لفظَها ، فأعادَ عليه الكلام ، فأعاد عليه الكاتب الكتاب ، فلما فطن لاجتماعهما على

---

(١) صحة العبارة أبا حفص غفر الله لك .

(٢) حصا الجمار : الحصيات التي يحذفها الحاج في منى يرمي بها الجمار الثلاث وهذا الرمي أيام العيد من مناسك الحج .

الجهل ، قال : أنت لا تُحسِنُ تكتبُ . وأنا لا أُحسِنُ أملي . فاكتُبْ : الحاصل ألف كرٍّ فكتبها بالجيم معجمةً .

قالتْ أمُّ ولدٍ لجرير لبعضِ ولدِها : وقعَ الجرْذانُ في عجّانِ أمِّكم . أبْدلتْ الذال دالاً وضمت الجيمَ ، وجعلت العجين عجّاناً . وإنما أرادتْ وقعَ الجرذانُ في عَجينِ أمِّكم .

وروَى آخر : عمُّ الرجل ضيقُ أبيه(١) . وإنما هو صِنْوُ .

وروَى آخرُ : لُعِنَ اليهودُ ، حرِّمتْ عليهم الشحومُ فحملُوها . وإنما هو فجمّلُوها(٢) ، أي أذابُوها .

وروى بعضُهم : أنَّ الحارثَ(٣) بنَ كَلَدة كان يقولُ الشمسُ تُثْقِلُ الريحَ ، وإنّما هو تَنْفُلُ الريحَ(٤)

(١) هذا حديث عن النبي عليه السلام . والصنو المثل .

(٢) جمل الشحم : أذابه .

(٣) الحارث بن كلدة من أحذق أطباء الجاهلية وهو من بني ثقيف من أهل الطائف رحل إلى أرض فارس وأخذ الطب من جند يسابور . وقد أدرك الإسلام ، وكان الرسول يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه وقد توفي سنة ١٣هـ .

(٤) الشمس تنفل الريح يقال تفل يتفل - كفرح يفرح - بمعنى تغير والمعنى هنا تغير الشمس رائحة الريح .

وقالوا : كان يجلسُ في مَقْشاة . وإنما هو في مَقْناة(١) .

ورووْا : أنه نُهيَ عن لُبْس القَسيِّ وإنما هو القُسيّ(٢) لضَربٍ من الثياب .

ورووْا : أن أعرابيّاً أتى النّبي صلى اللّه عليه وسلّم وعلى يدِهِ سَخْلَة(٣) تبعَرَ . وإنّما هو تَيْعرُ من اليعَار . وهو صوتُها .

قال بعضُهمْ : قال الرِّياشي(٤) لي يوما — وقد جئتُ مِنْ مجلس ابن أبي الشّوارب : أرني ما أُمْلي عليكُمْ ، فأريتُهُ ، فمرَّ به هذا الحديثُ : آخرِ ما يجازفُ به المؤمن عَرَقُ جَبينه .

---

(١) المقناة : المكان الذي لا تكاد تغيب عنه الشمس .

(٢) نهى عن لبس القسي وإنما هو القسي وذلك لأن القسي هو الدرهم الزائف أما القسي فهو جمع قوس آلة النبل .

(٣) السخلة : ولد الشاة .

(٤) الرياشي : هو أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي اللغوي .

فقال الرِّياشي : ما أحوجَ هؤلاء إلى بعض علْمنا إنما إنما هو يُحارفُ ، والحريفُ : الشَّريكُ ، يقالُ : فلانٌ حَرِيفُ فلانٍ ، أي شريكُه ومُحاسِبُه .

وقال بعضُهم : حضرتُ رجلاً من الكُبراء ، وقد قرأ في المصحف : يا عيسى ابنَ مريم اذكُرْ نِعمَتي عَليك وعلى والديك(١) .

وقرأ بعضهم : والعاديات صُبْحاً(٢) .

وقال آخر : فكذَّبُوهما فَعَارونا بثالث(٣) .

وقيل : إنَّ سليمانَ بنَ عبد الملك كتب إلى عامله على المدينة : أحْصِ المخنَّثينَ . يريدُ : عُدَّهم .

فقرأ الكاتب : اخْصِ ، فَخَصَاهُمْ .

ومِمَّنْ أخْجلَهُ التَّصحيفُ في مجالس الخُلفاء أحمدُ بنُ أبي خالد وزير المأمون ، فإنَّه حضرَ مجلسَه

---

(١) صحة الآية : « إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك » سورة المائدة : ١١٠ .

(٢) صحة الآية « والعاديات ضبحا » سورة العاديات : ١ .

(٣) صحة الآية « فكذبوهما فعززنا بثالث » سورة يس : ١٤ .

للمظالم يقرأ عليه القصص ، وكان فَهِماً ، فمرت به قصة مكتوبٌ عليها : فُلانٌ البَريدي(١) ، فقرأها : الثَّريدي فقال المأمون أبو العباس جائعٌ . هاتوا له ثَريدةً . فقُدِّمت إليه ، وأكرهَهُ على أكلها ، وغسلَ يدَه ، وعاد إلى أن تصفَّح القصَص ، فمرتْ به قصةٌ مكتوبٌ عليها : فلانٌ الحِمْصْي(٢) فقرأها : الخَبيصيّ . فقال المأمون : كان غذاءُ أبي العباس غيرَ كاف ،لابُدَّ للثريدة مِن أنْ تُتبع بخَبيصة(٣) ، فقُدمت إليه ، وأكلها.

* * *

---

(١) البريدي : أي صاحب البريد .

(٢) الحمصي : منسوب إلى حمص إحدى مدن الشام .

(٣) الخبيصة : طعام يصنع من التمر والسمن .

ونذكرُ الآنَ بعضَ ما أُخِذَ على العلماء مِنَ التَّصْحيفِ

قال كَيْسانُ : سمعتُ أبا عبيدة ينشدُ(١) :

مازالَ يَضْرِبُني حتّى خَزَيتُ له
وحالَ من دُونِ بَعْضِ البغية الشَّفقُ(٢)

قال : فقلتُ خزيت خَزَيتَ ؟ ؟ ، وضحكتُ ، فغضِبَ وقال : فكيفَ هُوَ ؟ قلتُ : إنَّما هو خَذَيتُ . قال : فانْخَزَلَ ، وما أحارَ جَواباً .

ورَوَى أيضاً أبُو عُبَيْدةَ أبياتَ لَقيط(٣)في يوم جَبَلةَ

---

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولى بني تيم من قريش . ولد سنة ١١٠ﻫ وهو أجمع سائر الرواة لعلوم العرب وأخبارهم وأنسابهم ، وله مؤلفات كثيرة .

(٢) البيت لأبي شجرة . والتصحيف في خزيت . والرواية : خذيت بمعنى خضعت .

(٣) لقيط بن زرارة من أشراف تميم وفرسانها وقد قتل في يوم جبلة بعد أن تم النصر فيه لعبس وعامر على تميم وغطفان .

يا قَوْمِ قد حرَّقْتُموني باللَّوْمْ
ولم أُقاتِلْ عامِرا قبلَ اليوْمْ

سِيَّان هذَا والعِنَاقُ والنَّــوم
والمَشْرَبُ البارِدُ في ظلِّ الدَّوْمْ

وقال يعني في ظل نخل المُقْل (١) : فقال الأصْمعيُّ : قد أحال ابنُ الحائِك لأنه ليسَ بنجد دَوْمٌ . وجبلةُ بنَجْد ؛ وإنّما الرِّواية في الظِّلّ الدَّوْم ، أي الدّائِم .

وروى الأصمعيُّ بيتَ أوسِ بنِ حَجَر (٢)

أجَوْنُ تدارَكْ ناقَتي بِقِرىً لها
وأكبرُ ظنِّي أنَّ جَوْناً سَيفعلُ

فقال ابنُ الأعرابي : صَحَّفَ الدعيُّ ؛ إنّما هو تدارَكْ نَاقَتي بقُرَابها ، أي مادُمتُ أطْمعُ فيها . وفي مَثَلٍ للعرَب : « الفِرارُ بقُرابٍ أكيسُ » (٣) .

---

(١) المقل : ثمر الدوم .

(٢) أوس بن حجر ، من نمير أحد بطون تميم من فحول الشعراء الجاهليين .

(٣) المثل لجابر بن عمر المازني . ومعنى القراب : الغمد .

ورَوى بَيْتَ الحارثِ بنِ حِلِّزة (١) .

عَنَتاً باطلاً وظُلْماً كما تُعْتَـ
ز عن حَجْرة الرَّبيضِ الظِّباءُ

وقال : العَنزة : الحَرْبةُ يُنْحر بها . فردَّ عليه أبُو عَمْرو وقال : إنما هو تُعْتَر ، من العَتيرة وهي ذَبيحةُ الصَّنم (٢) .

ورُوي بيتُ الحطيئة :

وغَررتَني وزعمْتَ أنَّـ ـكَ لاتَني بالضَّيفِ تأمر

وقال أبو عمرو : إذا صحَّفتُم فصحِّفوا مِثلَ تصحيفه وإنَّما هو لابنٌ بالصَّيفِ تامِرٌ .

ورُوي بيت عنترة (٣) :

---

(١) الحارث بن حلزة بن بكر بن وائل ، اشتهر بمعلقته التي أولها :

آذنتنا ببينهـا أسـماء رب ثاويمل منـه الثواء

(٢) ومعنى البيت : إنكم تأخذوننا بذنب غيرنا كما كانت العرب إذا وجب عليها نذر في شائها ذبحت الظباء مكانها ، فتظلمها بذلك . والتصحيف ظاهر بين تعتز وتعتر .

(٣) هو عنترة بن شداد العبسي نسبة إلى عبس من قيس وهو من الشعراء الفرسان الشجعان .

وآخَرُ منهمُ أجْررْتُ رُمْحي
وَفي البَجَلي مِعْبَــــلةٌ وقيعُ

فقال كيسانُ له : إنما هُو في البجْلي — بإسكان الجيم — منسوبٌ إلى بجْلةَ بطْن مِنْ بَني سُلَيم

ورُوي لذي الرُّمَّةِ (١) :

عَيْنٌ مطحْلبةُ الأَرْجاء طَامِيةٌ
فيها الضَّفادعُ والحِيتانُ تَصْطَخِبُ

فقيل : هو يَصْطحبُ ، لأَنّ الحيتانَ لا تصْطخبُ ، ولا صوتَ لها .

ورُوي لرؤْبةَ :

« شمطاءُ تَنْوي الغيظَ حين تَرْأمُ »

فقيل : إنما هو تَبْوي ؛ أي تجعلُه بمنزلةِ البَوِّ (٢)

---

(١) ذو الرمة : هو غيلان بن عقبة بن نهيس من مضر ويعد من الشعراء المتيمين وصاحبته مية بنت مقاتل المنقري .

(٢) البو ولد الناقة ، وجلد الحوار يحشى تبنا أو ثماما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر .

رَوى أبو عمْرو بنُ العَلاء بيتَ امْرِىء القَيْس (١)

تأوّبني دائي القديمُ فَغلَّسـا

أحاذرُ أن يشتدّ دَائي فأنْكَسَا

فقال أبو زَيد : هذا تصْحيفٌ لأَنّ المتأوِّبَ لا يكونُ مغَلِّساً في حالٍ واحدة لأَنّ غلَّس : أتي في آخر اللّيل ، وتأوّبَ جاءَ في أوّله ، وإنما هُو معلِّساً ، أي اشْتدّ وبرّح .

ورَوى المفضّلُ للمخبّل (٢) :

وإذا ألمّ خيالُها طَرفتْ

عينْي فماءُ شؤونها سَجمُ

---

(٣) وامرؤ القيس أشهر شعراء الجاهلية وقد توفي بالجدري سنة ٥٤٠ قبيل ميلاد الرسول .

(٣) المفضل الضبي بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي ، أبو العباس أديب نحوي لغوي عالم بالشعراء وأيام العرب ، من أهل الكوفة لزم المهدي العباسي وعمل له الأشعار المختارة المسماة (المفضليات) وقد ولد سنة ١٦٨هـ .

فقال له خلفٌ (١) : إنَّما هو طُرِفَتْ عَيْنِي .

فرجَعَ عنْهُ .

* * *

(٤) خلف الأحمر : هو خلف بن حيان وقد أخذ الأصمعي وسائر أهل البصرة عنه ، وكان له قوة عجيبة على تمييز الأشعار وتعيين أصحابها .

هذه حروفٌ وكلماتٌ من المُصَحَّفِ
الذي يستعمله الناسُ عَمْداً لا سهواً

كتب أبو تمام(١) الطائي رُقعةً إلى محمدِ بنِ عبد الملك ابنِ صالح يسأله فيها مُحالاً ، وكتب على عُنْوانها « حبيب »

فأخذه محمد ونقطه « خبيث » .

ورفعَ آخر رقعةً إلى محمد بنِ عبد الله بنِ طاهر (٢) ، وعليها « حريثُ بنُ الفارس » وكان اسمَ الرجل ، فجعلَه محمد « خريتَ في الفراش » وكتب تحته : « بئسما فعلْتَ » .

---

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، ولد بمنبج في بلاد الشام وجاء مصر صغيرا فجالس الأدباء بجامع عمرو ، فأخذ عنهم وتعلم ، وكان فطنا فهما بالشعر .

(٢) هو الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي نائب بغداد . كان جواداً ، جيد الشعر . مات بالجواليق سنة ٢٢٣هـ .

وَقف رجلٌ على الحسنِ البصريّ فقال : أعتمِرُ . أخرْجُ . أبادِرُ . فقال الحسنُ : كذبوا عليه ؛ ما كان ذلك . يريد السائلُ : أعثمانُ أخرج أبا ذرٍ ؟

ومن تصحيف محمد بن طاهر : متمائمِل . يريد : مَنْ ملَّ مَلَّ .

وقال المعتصمُ يوماً لطبّاخٍ له فارسِي : حَاسِبتَ رشيد . فقال : زِنْ نبيذ .

أراد المعتصمُ : جاء شَتيت رسيد ، أي أدَركَ غذاؤك . وقال الآخر : رسيد ، أي أدْرَك .

وقال المتوكّلُ يوماً ليحيى بنِ ماسَوَيْه : بعثْ بيتّي بِقَصْرَين . فقال له يحيى : أخَّر الغداء . أراد المتوكلُ : تعشّيتُ فضرني . فأجابه ابنُ ماسويهِ بالعلاج .

* * *

ومن هذا الجنس
حروفٌ وكلماتٌ من المصحَّفِ عَمْداً لا سهواً

الخِنْصرُ : الحبُ ضَرَ . مَتَى ألجُ بيتِ هند ؟ : ميِّتُ الحب شهيدٌ . نرجسٌ طري : برَّحَ بي نظري . بِطرَف تَستُري : نَمَّ طَرْفي بسِرِّي . طَسْتٌ حسَنٌ : طبيبي : حبيبي . القَبَعْثَرَى وحَلَنْبس (١) : ألفتِ غَيْري وخلَّيتني . فنعت بتكْفيلي : في عينْيكَ قتْلي . وحموه حدَّثك بشأني : حمر خَدَّيك سباني . خشخاشٌ (٢) : حبيبٌ خانَني . مشمشةٌ ثقيلةٌ : مَنْ يَنَمْ يُنبَّه بقُبلة . صينيَّةٌ حَسنةٌ : صَبٌّ نبَّه حَبيبه . محبرَةُ آبنوس : مُحِبٌ زها يبوس .

---

(١) القبعثري ، بالقصر : من معانيها : الجمل العظيم ، الفيصل المهزول — والحلبس — بوزن جعفر : الشجاع ، والأسد ، والملازم للشيء .

(٢) الخشخاش : منوم ، مخدر ، مبرد ، وقشره يفيد في قطع الإسهال .

كأني بيدينك فبعني بحبتين : كل شيء منك في عيني حسن . لبب سرج مضري : ليس ترحم ضري . مسعود : متى تعود ؟ . الثوب يماني بثوب : التوت ثم استوت . سعيد بن جبير (١) : نبتت عند نرجس . فروج مسمسن بحبه : تود جمش (٢) من تحبه . تحت الفيل مروحة خيش : تحب القبل من وجه حسن . حبش بن حنين : حبيبي بت بخير . سكباج (٣) : ثنياك (٤) بساخ . كشكية : كنت نكتة . قلنسوة خضرا : قلبي يتوهج ضرا . لمازح مقال يغم : لما رحم قال : نعم .

* * *

(١) سعيد بن جبير : كان كاتبا وزيرا لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري بأمر الحجاج الثقفي .

(٢) الجمش : المغازلة .

(٣) السكباج : طعام يصنع من اللحم والمرق ، وهو معرب (سكبا) بالفارسية » .

(٤) الثني : الطاقة والقوة . وباخ : سكن . والمعنى : سكنت قوتك .

البــاب الثالث عشـــر

نوادرٌ من النحو واللحن(١)

سمع رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلّم رجُلا قرأ ، فلّحنَ . فقال : أرشدوا أخاكم .

قال الأَصْمَعِيُّ : قلتُ لأَبي مَهْدِيَّه (٢) : كيف تقولُ : لا طِيبَ إلاّ المسكُ ؟ قال : فأينَ أنت عن العنبر ؟ قلت : فقل لا طِيبَ إلا المسك والعنبر . فقال : أين أنتَ عن البان ؟ قلتُ : قُلْ لاَ طِيبَ إلا المِسكُ والعنبرُ والبَانُ . قال : فأَيْنَ أنْت عن أدْهان (٣) مُحْمر قال قلتُ : فقل لا طيبَ إلا المسكُ والعنبر والبان وأدهان مُحمَّر . قال : فأين أنت عن فارة (٤) الإبل صادرةً ؟

---

(١) النوادر : لون جميل من التعبير الأدبي تفتن فيه الأمم ، ويتبارى في حلبته أصحاب الصناعات وكلما كانت النادرة غير مصطنعة ، ولا متكلفة ، كانت أجلب للسرور ، وأمتع للنفس، وأجدر أن يتناقلها الأفراد والجماعات .

(٢) أبو مهدية : أعرابي ، صاحب غريب ، يروي عنه البصريون .

(٣) أدهان محمر : نوع من العشب أطيب رائحة من غيره .

(٤) الفأرة : المسك . وقد تخفف (الفارة) .

عمِلَ بعضُ النَّحْويين كتاباً في التَّصغير ، وأهداهُ إلى رئيس كان يختلفُ إليه ، فنَقَصَ عطيَّتَه ، فصنَّفَ كتاباً في العَطْف ، وأهداهُ إليه ، وكتبَ معه : رأيت بابَ التصغير قد صغَّرني عِنْدَ الوزير ، وأرجُو أنْ يعطِفَهُ عليَّ بابُ العطفِ .

سمعتُ الصاحبَ - رحمهُ اللهُ - يقول : كانَ سببُ اتصالِ ابنِ قريعةَ(١) القاضي بالوزير أبي محمد المهلَّبي أنَّ ابنَ قريعةَ كانَ تَيَمَّمَ رحىً له ، فرفعَ إليه حِساباً ، فيه درهمانِ ودانقانِ ، وحَبَّتانِ ، فدعاهُ ، وأنكرَ عليه الإعرابَ في الحساب .

فقال : أيُّها الوزيرُ ، صارَ لي طَبْعاً ، فلستُ أستطيع له دَفْعاً . فقال : أنا أُزيلُه عنكَ صَفْعاً ثم استدناهُ بعد ذلك ، وقرَّبَه .

قال نحوي لرجل : هل ينصرفُ إسماعيلُ ؟ قال : نعم . إذا صلَّى العشاءَ فما قُعوده ؟

---

(١) أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة ، قاض ، من أهل بغداد .

وحُكي أنَّ جماعةً عند محمد بنِ بحرٍ(١) اختلفُوا في بناء سَراويل ، فدخل البرقيُّ وقال : فيم كنتُم ؟ قالُوا : في بناء سَراويلَ . فما عندَك فيه ؟ قال : مثلُ ذراعِ البكْرِ أو أشدُّ .

قال النوشجانُ(٢) : حضرتُ مجْلِسَ المبرِّدِ ، فسمِعنا واحِداً يقول : في حرامِ أصْبهان .

فقال أبُو العباس : هذا قد شتمَك على مذْهب قول الله تعالى : « واسْأَلِ القريةَ »(٣) .

سمع ذو الرُّمة رجلاً يقول : على فُلان لعْنةَ اللهِ . فقال : لم يرْضَ بواحدة حتى شفَعَها بأخْرى . وذلك أنَّه لما سَمِعهُ مفتوحاً قدَّر أنَّه أرادَ التَّثنِيةَ : لعنتَا الله .

قيل لرجل كان يَكْثُرُ اللَّحنُ في كلامِه : لو كنتَ إذا شككتَ في إعراب حَرْف تخلصْت مِنْه إلى

---

(١) محمد بن بحر الأصفهاني ، وال من أهل أصفهان ، توفي سنة ٣٢٢

(٢) النوشجان : علم فارسي .

(٣) سورة يوسف : ٨٢ . ومعنى اسال القرية : أي أهل القرية .

غيره ، مِنْ غير أنْ تُزيلَ المعنى عن جهته ، كان الكلامُ واسعاً عليكَ . فلَقِيَ رجلا كانَ مشْهوراً بالأدب . فأراد أنْ يسألَه عنْ أخيه ، وخَشِيَ أن يَلْحنَ في مُخَاطَبَتِه ، فذهبَ إلى أنْ يتخلَّص عِنْد نفْسِه إلى الصَّواب . فقال : أخُوك ، أخيك ، أخاك هَا هُنا ؟ فقال له الرجلُ : لا ، لُو ، لِي ، ماهو حاضر .

وقف نحوي على صاحب باذِنْجان ، فقال له : كيف تبيعُ ؟ قال : عِشرين بدانق . قال : ماعليك أن تقولَ : عشرون بدانق ! ! فقدَّر أنَّه يسْتزيدُه . فقالَ : ثلاثين بدانق . فقال : وماعليكَ أن تقولَ : ثلاثون ؟ فما زالاَ علَى ذلك إلى أنْ بلَغَ تِسْعين . فقال : وماعليْكَ أنْ تقُولَ تسعون ؟ فقال : أراكَ تَدورُ على المائتون ، وهذا مالا يكون .

ومر نحوي بقصَّاب — وهو يسْلُخ شاةً — فقال : كيفَ المسْتَطْرَقُ(١) إلى درْب الرَّسِين ؟ فقال القصَّابُ : اصبرْ قليلاً حتى يخرجَ الكرْشُ ، وأدلَّك على الطَّريق .

---

(١) أي كيف الوصول إلى تجار لحم الرؤوس . والرآسون القصابون الذين يبعون لحم الرأس .

وقدّم نحوي خَصْماً له إلى القاضي ، وقال له : لي عليكَ مائتان وخَمْسون درهماً .

فقال لخَصْمه : ماتقول ؟ فقال : أصلحَ اللهُ القاضِيَ ، الطّلاقُ لازمٌ له إنْ كان إلا ثَلاثَمائة . وإنّما تَرك منها خمْسين ليُعلِمَ القاضي أنه نحْويٌّ .

قدِم رجلٌ على بعض الوُلاة ، فقال له : مِن أين أقبلتَ ؟ قال : مِن أَرض اللهُ قال : وأين تُريد ؟ قال : بيتَ اللهُ . قال : ومِمّن أنت لا أمّ لك ؟ قال : مِن « تيم » الله . فأمَر بوجْيء عُنُقِه . فقال : بسم الله . فقال : اتركوا ابن الخبيثة . فلو ترك الرفعَ وقتاً تركهُ الساعة .

قال أبو العَيْناء : دخل رجلٌ إلى عَليل : فقال له : لا إله إلاّ اللهُ ، وإن شئتَ لا إلهٌ إلاّ اللهُ ، والأولى أحبّ إلى سيبويهِ (١) . فقال أبو العليل : حرَمني اللهُ أجرَه إن لم يكن مَشهدُك له أشدَّ عليّ مِن موته .

(١) سيبويه : من الموالي ، واسمه أبو بشر عمرو بن عثمان ، نشأ بالبصرة ، وتعلم الفقه ، ثم طلب النحو حتى برع فيه وألف كتابه الذي لم يسبق إليه ، وقد اشتهر هذا الكتاب حتى صار لفظ « الكتاب » علما عليه . وقد توفي سيبويه سنة ١٨٣هـ .

قال رجلٌ لآخر : تأمرُ « بشيئا » ؟ قال : بتقوى اللهِ ، وإسقاط الألف .

قال خلَفٌ : قلتُ لأعرابيٍّ : أُلقِي عليكْ بيتاً ؟ قال : على نفسك فألقِه .

قال رجلٌ من البلديِّين لأعرابي — وأراد مسألته عن أهلِه — كيف « أهلِكَ ؟ » .

قال بكسْر اللام فقال الأعرابي : صَلْباً(١) . لأنه أجابه على فهمه ، ولم يعلمْ أنه أرادَ المسألة عن أهله .

سُئِل نحويٌّ عن تصغير عُبَيْد الله . فقال : ليس في سَجْدتَي السَّهو سَهوٌ(٢) .

وذُكر أنَّ مُعاوية قال : كيف أبو زيادٍ ؟ فقالوا : ظريفٌ على أنه يلحنُ .

فقال : أو ليس ذاك أطرف له ؟ أرادوا اللّحن الذي هو الخطأ . وذهب معاوية إلى اللّحن الذي هو الفِطْنةُ .

---

(١) الصلب : قتلة معروفة ، وهي أن يشد الرجل من يديه ورجليه على جذع .

(٢) يريد أن المصغر لا يصغر ، كما أن الساهي عن سجدتي السهو لا يسجد للسهو .

قالوا : كان سبب عَمَل أبي الأسود الدُّؤلي(١) النَّحوَ وهو أول من وضعهُ ، وقيل إنَّ أميرَ المؤمنين عليّاً — عليه السلامْ — جعل له مِثالاً فبنى عليه واحتَذاه — أن أبا الأسود سمع رجلا يقرأ : « إن الله بريءٌ مِن المشركين ورسولِه(٢) » بالخفض . وسمع ابنته تقول : ماأطيبُ الرُّطَب ؟ وهي تُريد التَّعجب ، وظنَّ أنها تريد الاستفهام ، فعمل شيئاً من النَّحو ، وعرضهُ على أمير المؤمنين عليه السلام . فقال : ماأحسنَ هذا النحوَ الذي أخذتَ فيه . فسُمِّي نحْوا .

مرَّ الشعبيُ بناس من الموالي يتذاكرون النَّحوَ ، فقال : لئنْ أصْلحتموه إنَّكُم لأوَّلُ من أفسدَه .

ورُوي أن الحجاجَ قرأ : إنا مِن « المجرمون(٣) » مُنتقِمون .

---

(١) أبو الأسود الدؤلي : هو : ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس ... وهو من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم . وهو الأصل في وضع علم النحو وعقد أصوله .

(٢) سورة التوبة : ٣ . وصحة اللفظ رفع رسوله بدلا من الخفض وأول الآية : « وأذان من الله ورسوله ... » .

(٣) صحة الآية « إنا من المجرمين منتقمون » . سور السجدة : ٢٢ .

وكان محمد بنْ سليمانَ يقول في خُطبته : إن اللهَ وملائكتُه(١) يرفع الملائكة . فقيل له في ذلك . قال : فخرّجُوا لها وَجها ، ولم يدع الرَّفع .

* * *

(١) صحة الآية : «إن الله وملائكته» بفتح التاء سورة الأحزاب : ٥٦

الباب الرابع عشر

نَوادِرُ المُخَنَّثِينَ (١)

قال بعضُهم : شهدتُ مجلساً فيه قينة تغنّي ، فذهبتْ تتكلّفُ صيحةً شديدةً فانقطعتْ . فصاحتْ من الخجل : اللصوصَ اللصوصَ . فقال لها مُخنّثٌ كان في المجلس : والله يازانيةُ ماسُرق من البيت شيءٌ غيرُ حَلقِكِ .

استوهب رجلٌ من مخنّث في الحمّام خِطمياً(٢) ، فمنعَه . فقال : سُبحان الله ! ! تمنعني الخطميّ وقفيزٌ منه بدرهم ؟ ؟ فقال المخنّثُ : فاحسبْ حِسابك أنت على أربعة أقفزة بدرهم ، كم يصيبك بلا شيء ؟

قال المتوكل لعبادة : ماتقول في تَطْبيل سَنانَ المخنّث ؟ قال : هو حسنٌ ، ولكنّه مثلُ الهيْضة(٣) يأتي بأكثرَ مما يُحتاجُ إليه .

---

(١) المخنثون : هم الذين يتشبهون بالنساء ، فيتكسرون في مشيتهم ويلينون في آحاديثهم ، ويبالغون في رقتهم .

(٢) الخطمي – بفتح الخاء وكسرها – ضرب من النبات يغسل به .

(٣) الهيضة : معاودة الهم والحزن ، والمرضة بعد المرضة .

سمع آخرُ رجلاً يقولُ : دعا أبي أربعةَ أنفسٍ ، وأنفقَ عليهم أربعمائة دينار ، فقال : يابنَ البَغيضةِ لعلّه ذَبحَ لهم مُغَنّيتين ، وزامرةً ، وإلاّ فأربعمائة في « أيْش » أنفقَها ؟

قال شيخٌ لقَرْقَر المخنَّثِ : أبُو مَنْ أنت ؟ قال : أمّ أحمد . فديتُك ! !

تاب مخنثٌ ، فلقيه مخنَّث آخرُ ، فقال : ياأبا فلان : أيْش حالُك ؟ قال : قد تُبتُ .

قال : فمن أين معاشُك ؟ قال : بقيتْ لي فضيلةٌ من الكَسْب القَديم فأنا أتمزّزُ لها(١) .

قال : إذا كانت نفقتُك مِنْ ذلك الكَسْب فلحمُ الخنْزير طريٌّ خيرٌ من قَديد .

رأى عبادةُ دابةَ مُخارِق ــ وهي تُقرْمِط مَشْيها(٢) ــ فقال : يامخارقُ برذونُك هذا يمشي على استحياء .

---

(١) أتمزز : يقال : مزه بمعنى مصه والتمزز : تمصص الشراب قليلا قليلا .

(٢) دابة تقرمط مشيها : القرمطة : مقاربة الخطو ، ومعنى تقرمط مشيها : تقارب في خطوها . وهذا كناية عن بطء سيرها .

قُدِّم إلى عُبادةَ رغيفٌ يابسٌ ، فقال : هذا نُسِج في أيام بني أميةَ ولكنْ بلا طراز .

نَظَرَ مخنَّثٌ إلى مسجد صغيرٍ لطيفٍ ، فقال لآخر : أما تريدُ هذا المسجد ؟ ما أملحَهُ ، لا يَصلحُ والله إلاّ أن يُحْمل في السَّفر .

نظر مخنثٌ إلى رجل مِنْ ولدِ أبي موسى الأشعري يَمْشي وهُو يتبخْترُ ، فقال : انظروا إلى مشيَةِ مَنْ خدَعَ أباه عمرُو بن العاص .

تَقَرَّى(١) مخنَّثٌ فأتىَ جبلَ(٢) لُكام على أن يتعبَّد فيه ، فأخذ زادَه وصَعِدَ ، وسار على سهل ، فنفدَ زادُه وجلس قد أعيَا فرفع رأسَه فإذَا بينَه وبين الجبل مسافةٌ ، وتطلَّع إلى أسْفلَ ، فإذَا هُوَ قد قطَعَ أكْثره ، فنظر إلى الجبل وقال : واشماتتي بكَ في يوم أراكَ كالعِهْن المنْفُوش .

جلس قومٌ في مجْلس — ومعهُم مخنَّثٌ — وقال

(١) تقرى : تتبع .
(٢) جبل لكام — بضم أوله : جبل بالشام .

رجلٌ منهم : أنا أشتهي كشكيةً حامضةً ، وضرطَ . فقال المخنثُ : قطع اللهُ ظهرَ الكشكيّةِ : ما أسرعَ ما تنفخُ البطنَ !!

لقي مخنث آخر ليودّعه ، فقال : أحمدُ اللّه على بُعْدِ سفرِكَ ، وانقطاعِ أثرِكَ ، وشدّةِ ضررِكَ . فقال له : أنا أستودعك العمَى . والضّنى ، وانقطاعَ الرّزق من السّما .

وقال مخنّثٌ لآخر : أراني اللهُ في وجهِكَ السّاطورَ ، وفي عينيكَ الكافورَ ، وفي شقِّ استكَ النّاسورَ(١) .

قال علاّنُ شادْق — وكان قبيحاً جداً — مررتُ بمخنّث يعزلُ على حائط ، فقال لي : مِنْ أينْ أتيتَ ؟ قلتُ : مِن البَصْرَةِ . فقال . لا إله إلاَّ اللّهُ !! تغيّر كُلُّ شيء حتى هذا !! كانتْ القرودُ تُجلبُ مِن اليمن . الآن تجيءُ مِن العراق .

وحجَّ بمخنّثٌ فرأى إنساناً قبيحاً يرمِي بالجِمار ، فقال له المخنّثُ : بأبي أنتَ .. ليتَ أشيرُ عليك أنْ

---

(١) والناسور مرض معروف .

تعودُ إلى هذا المكان . قال : ولِمَ ؟ ألستُ مسْلماً ؟ قال : بلى ، ولكنْ لا أرى لك أن تبْخل على أهْل النار بهذا الوجْهِ .

نظرَ مُخنّثٌ إلى رجل قصير على حِمار صَغير ، فقال : هُما توْأمان .

وقال بعضُ المخنثين : كان لي أُستاذٌ مخنّثٌ يقالُ له زائدةُ ، فمات . فرأيتهُ في النّوم فقلتُ له : ما فعل اللهُ ربُّك بك ؟ قال : أدخلني النار .

قلت : فمَنْ توْرُك(١) فيها ؟

قال : هيهات !! انقلبتْ المسألةُ أنا « توْرُ » فِرعون .

ركبَ المتوكّلُ يوما زَلاّلاً(٢) ومعه جماعةٌ ، فعصفَت الريحُ ، وفزعَ الناسُ . فقال عبادة . يا أميرَ المؤمنين . أما كُنيزُ(٣) دُبّةَ فإنه لا يخافُ الغرق . فقال المتوكّلُ : وكيفَ ذاك ؟

---

(١) التور : من معانيه الرسول بين القوم .

(٢) الزلال : نوع من السفن .

(٣) كنيز : مغن مشهور في عصر المتوكل العباسي .

قال : لأنه يسبحُ على رَقٍّ . وكان كنيزٌ مخنثاً آدَرَ(١)

كان بعضُ ولد الفضل بنِ الربيع يتخنّثُ ، فوكَل به أبوه غلاماً يمنعُه مِن نَتْف لحيته ، فبات ليلة . فلما أصبح رآه منتوف اللحيةِ ، فقال : أهلكتني — واللّهِ — أيْن لحيتُك ؟ قال .. «(فطاف عليها طائفٌ مِنْ رَبِّك وهُمْ نائمون . فأصْبَحَتْ كالصَّرِيم)»(٢) .

أُدْخِلَ مخنثٌ على العُرْيان بنِ الهيثم — وهو أميرُ الكوفة — فقالُوا : إنه يَفعلُ ويصنعُ . فقال له العريانُ : يا عدوَّ اللّهِ . لمَ تفعلُ هذا ؟ قال : كذَبوا عليَّ — أيها الأمير — كما كذَبوا عليكَ . فغضب العريانُ ، واستوى جالساً ، وقال : وما قِيلَ فيَّ ؟ قال: يُسمُّونك العُرْيانَ وعليك عِشرون قطعةَ ثياب . فضحِك . وخلّاه .

قال هيتُ(٣) المخنّثُ لعُمَرَ بنِ أمِّ سلمةَ : إن فتحَ اللّه عليكُم الطّائِف(٤) فسلْ رسولَ اللّه صلى

---

(١) وكان آدر : الآدر : من يصيبه فتق في إحدى خصييه .

(٢) سورة القلم : ١٩ ، ٢٠ .

(٣) هيت المخنث : أحد المخنثين المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم

(٤) الطائف من نواحي مكة المكرمة ،وجوها جميل وبها بعض البساتين.

اللّه عليه وسلّم أن يهبَ لك بادنةَ بنتَ غيلان بن سلَمة ، فإنها كحلاءُ ، سموعٌ ، نجلاءُ ، خُمصانةٌ ، هيْفاء(١) إنْ مشتْ تثنّت ، وإن جلست تدنّتْ ، وإن تكلّمتْ تغنّت ، تُقبِلُ بأربع ، وتدبرُ بثمان ، فخذيْها كالإناء المكفأ .

فروي أنّ كلامَه بلغَ رسولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فمنع المخنّثين من الدّخول على النساء .

* * *

(١) خمصانة هيفاء : ضامرة البطن ، دقيقة الخاصرة .

البــاب الخامس عشــر

نوادرُ جُحا(١)

حكى الجاحظُ أنّ اسمهُ نوحٌ ، وكُنيته أبو الغُصن ، وأنه أرْبي على المئة .

ثم أدْرك أبا جعْفر ، ونزلَ الكوفةَ .

قيلَ لجحا : أتعلمتَ الحسابَ ؟ قال : نعمْ . فما يُشْكلَ عليّ شيءٌ منه. قال له : اقْسِمْ أربعةَ دراهمَ على ثلاثةَ . فقال : لرجلين درهمان ، درهمان ، وليس للثالث شيءٌ .

وأراد المهديُّ أنْ يعبث به فدَعا بالنِّطع(٢) والسَّيفِ ،

(١) في كتب الأدب العربي شخصيتان عرفتا بالنوادر والملح . وكل منهما يسمى جحا : الأولى جحا العربي والثانية جحا التركي ، وقد اختلف مؤرخو الأدب العربي في إثبات شخصية جحا العربي نظراً لكثرة ما روي عنه من نوادر تختلف في الزمان والمكان وفي الدلالة على ذكائه الخارق ، أو على غبائه المفرط ، أو على غفلته وحمقه .

(٢) النطع : بساط من الجلد .

فلما أُقْعِد في النِّطع ، وقام السيّافُ على رأسه وهزّ سيفه ، رفع إليه رأسَهُ . فقال : انظرْ لا تُصيبْ محاجمي(١) بالسّيفِ ، فإني قد احتجمتْ . فضحك المهديّ وأجازه .

وماتت لأبيه جاريةٌ حبشيّةٌ : فبعث به إلى السُّوق ليشتري لها كفناً ، فأبطأ عليه حتى أنفذ غيره ، وحمل الكفنَ ، وحُمِلتْ جنازتُها ، فجاء جُحا — وقد حُملتْ — فجعل يعدو في المقابر ، ويقول : رأيتم جنازة جارية حبشية ، كفنُها معي ؟

وجمحت به بغلةٌ يوماً ، فأخذتْ به في غير الطريق الذي أرادَه ، فلقيه صديقٌ له . فقال : أينَ عزمتَ يا أبا الغُصْنِ ؟ فقال : في حاجةٍ للبغْلة .

ومرت به جنازة ، فقالَ : باركَ اللهُ لنا في الموت وفيما بعدَ الموتِ . فقيل : إنها جنازةُ نَصْرانيّ . فقال : إذنْ لا باركَ اللهُ لنا في الموت ، ولا فيما بعد الموت .

---

(١) المراد بها مكان الحجامة عند جحا .

وصلّى بقوم ، وفي كُمّه جَرْوُ كلْب ، فلما ركعَ سقط الجرو ، وصاح ، وتنحنحَ الناسُ . فالتفتَ إليهم ، وقال : إنّه سلوقيٌّ (١) عافاكم اللهُ .

وحمل جرّةً خضراءَ إلى السوق يبيعُها . فقالوا : هي مثقوبةٌ . فقال : ليس تسيلْ ، فإنّه كان فيها قُطنٌ لوالدتي . فما سالَ منه شيءٌ .

وأعطاه أبوه درهماً يزنُه ، فطرحَهُ في الكفّة ، وطرَحَ في الكفّةِ الأُخرى سَنْجة درهمين ، وهو يحسبهما سَنْجةَ درهم ، فلم يستويا ، فطرح سَنجةَ الدّرهم على رأس الدّرهم ، فكانَ أقلَّ ، فطرح حبّتين أيضاً ، ثم قال لأَبيه : ليس فيه شيءٌ ، ويَنقُص حبّتين .

ونظر يوماً إلى السّماء ، فقال : ما أحْلَقها بالمطر لو « كان » متغيمةً .

ورأوهُ يوماً في السوق يَعْدو فقالوا : ما شأْنُك ؟ قال : مرّت بكم جاريةُ رجلٍ مخضوبِ اللحيةِ ؟

واجتَازَ يوماً بباب الجامع فقال : لِمَنْ هذا القصر ؟

---

(١) سلوقي : نوع من الكلاب غالي الثمن .

قالوا له : هـَذا مسجدُ الجامع . قال : رحِمَ اللهُ جامعاً . ما أحسنَ ما بَنَى مسجدَه ؟ ؟

وذهبتْ أمُّه في عرس . وتركتْه في البيْت ، وقالتْ له : احفَظِ البابَ . فجلَس إلى الظهر . فلما أبطأتْ عليه قامَ ، فقلَع البابَ ، وحملَه على عاتِقِه .

وماتتْ خالتُه ، فقالوا : اذْهبْ ، واشتر لها حَنُوطا (١) . فقال : أخْشى ألاَّ ألحقَ الجنازةَ .

وتبخَّر يوما فأحرقتْ ثيابُه . فقال : واللهِ لا تبخرتُ أبداً إلاَّ عُرْياناً .

* * *

(١) الحنوط — كصبور : كل طيب يخلط للميت .

البـــاب السادس عشـــر

نَوادِرُ أشْعَبَ(١)

كان يقول : كلْبي كلبٌ سَوْء ، يبصبصُ للأضياف وينبحُ أصحابُ الهدايا .

وأشعبُ هذا هو الموصوف بالطمع . وقيل له : ما بلغ مِنْ طمعك ؟ قال : لم تقُلْ هذا إلاّ وفي نفْسِكَ خيرٌ تصنعه لي .

ومِن عجيب أخباره أنه لم يمتْ شريفٌ قط من أهل المدينة إلا استعدَى (٢) أشعبُ علَى وَصيّته ، أو وارثه ، وقال له : احلف أنه لمْ يُوصِ لي بشيء قبل موته .

وقيل له: لقدلقيتَ رجلاً من أصْحاب النّبي صلى الله

(١) أشعب : هو أشعب بن جبير . ولد سنة تسع للهجرة ومات في أيام المهدي ، وكان أطيب أهل زمانه عشرة ، وأكثرهم نادرة ، وكان أقوم أهل دهره لحجج المعتزلة ، وكان من القراء حسني الصوت ، وكان قد نسك وغزا وروى الحديث عن عبد الله بن جعفر .

(٢) استعدى : استعان ، واستنصر .

عليه وسلم ، فلو حَفظتَ أحاديث تتحدّثُ بها؟؟ قال : أنا أعلمُ الناسِ بالحديث . قيل : فحدّثنا . قال : حدّثني عِكرمةُ (١) عن ابن عباس ، قال : خلّتَان لا تجتمعان في مؤمن إلاّ دخلَ الجنةَ . ثم سكتَ . قيل له : هاتِ ، ما الخلّتان ؟ قال : نسِي عكرمةُ إحداهُما ، ونسيتُ أنا الأُخرى .

قال بعضُهم : قلت له : لو تحدثتَ عِندي العَشيّةَ ! ! فقال : أخافُ أن يجيء إنسانٌ ثقيل : قلتُ : ليس معنا ثالثٌ . فمضَى معي . فلما صلّيتُ دعوتُ بالعَشاء ، فلم يلبثْ أنْ جاء صديق يدقّ البابَ ، فقال أشعَبُ : ترُى قد صِرْنا إلى ما نكْرهُ ؟ قال : قلتُ له : عِنْدي فيه عشرُ خِصال لا يُكرهُ منها خَصْلةٌ ، فإن كرِهتَ واحدةً لمْ آذَنْ له . قال . هات . قلتُ : أُولاهُن أنه لا يأْكلُ . فقال التّسعُ الباقيةُ لك . أدْخِله .

وكان أشعبُ لا يُغِبُّ (٢) طعام سالم بنِ عبد الله بن عُمَر (٣) فاشتهى سالمٌ أنْ يأْكل مع بناتِه . فخرج إلى

---

(١) هو عكرمة بن عمار اليمامي روى الحديث عن طاوس وجماعة .

(٢) لا يغب : أغب القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً .

(٣) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان معاصراً لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

بُستان له ، فجاء أشعب فَخَبَّرَ بالقصة ، فاكْتَرى جملاً بدرهم . فلما حاذَى حائطَ البستان . وثبَ ، فصار عليه فغطَّى سالمٌ بناتِه بثوبه . وقال : بناتي بناتي . فقال أشعبُ : إنك لتعلَم « ما لنا في بناتك من حقٍّ وإنَّك لتعلم ما نُريد » (١) .

قيل : بغَتْ أمُّ أشعب ، فضُربتْ ، وحُلِقتْ ، وحملت علَى بعير يُطاف بها ، وهي تقول : منْ رآني فلا يزْنينَّ . فأشرفتْ عليها ظريفةٌ من أهل المدينة . فقالت لها : إنك لمطاعةٌ ! ! نهانا اللهُ عنهُ ، فما ندعُه ، ونَدعهُ لقولك ؟ ؟

كان زياد بنُ عبدِ الله الحارثيُّ علَى شُرطةِ المدينةِ ، وكان مبخَّلاً على الطَّعام فدعا أشعبَ في شهر رمضانَ ليفطرَ عنده ، فقدَّمتْ إليه في أول ليلة بَصَّاليَّةٌ معْقُودَةٌ ، وكانتْ تُعجبه ، فجعل أشعبُ يُمعِنُ فيها — وزيادٌ يلمحه — فلما فَرغوا من الأكل قال زيادٌ : ما أظُنُّ

(١) مقتبس من الآية « وقالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد » سورة هود : ٧٩ .

أن لأهل السِّجن إماماً يصلِّي بهم في هذا الشهر فليُصَلِّ بهم أشْعَبُ . فقال أشْعبُ : لو غَيَّر ذلك — أصلحك الله — ؟ قال : وما هُو ؟ قال : أحْلِفُ أنيِّ لا أذوقُ بصلاتِهِ أبداً . فخجلَ زيادٌ ، وتغافلَ عنه .

قال أشعَب : جاءتني جاريةٌ بدينار ، وقالتْ هذه وَديعةٌ عندكَ . فجعلتُه بيْن ثِنْي الفراش . فجاءتْ بعد أيّام فقالتْ : بأبي . الدينارَ . فقلتُ : ارفعي الفراشَ ، وخُذي ولدَهُ . وكنتُ تركتُ إلى جَنْبه دِرهماً . فتركتِ الدينَارَ ، وأخذت الدرَهم وعادتْ بعد أيام فوجدتْ معهُ درهماً آخرَ ، فأخذته .

وعادت في الثَالثة كذلك . فلما رأيتُها في الرابعة بكيتُ . فقالتْ : ما يُبْكيكَ ؟ قلتُ ماتَ دينارُك في النِّفاس . قالت : وكيف يكون للدينار نِفَاسٌ ؟ ؟ قلتُ : يا فاسقةُ تُصدِّقين بالولادة ، ولاَ تصدقين بالنِّفاس ! ! !

سأل سالم بنُ عبدِ الله بن عمر أشعبَ عنْ طمعِه ، فقال : قلتُ لصبيان مرَّةً : اذهبُوا . هذا سالم قد فتح

بيتَ صدَقَة عمرَ حتَّى يُطعمكم تمراً . فلمَّا احتبسوا ظننتُ أنه كما قلتُ لهم فغدوتُ في أثَرهم .

وقيل له : ما بلغ مِنْ طَمَعِكَ ؟ قال : أرى دُخانَ جاري فأُثْرِدُ (١) .

وقيل له أيضاً : ما بلغَ من طمعك ؟ قال : لم أر اثنين قطُّ يتسارّان إلاّ ظننتُ أنهما يأمران لي بشيء .

وقيل أيضاً : ما بلغ من طمَعكَ ؟ قال : ما رأيتُ عروساً بالمدينة تُزفُّ إلاّ كنستُ بيتي ، ورششتُه طمَعاً في أن تُزفَّ إليَّ .

ووقف علَى رجل خَيزُراني — وكان يعمل طَبقاً — فقال له : وسِّعْه قليلاً . قال الخَيزُرانيّ : وما تُريد بذلك ؟ كأنَّك تُريد أنْ تشتريَه ؟ قال : لا ، ولكنْ يشتريه بعضُ الأشرافِ ، فيُهدي إليَّ فيه شيئاً .

* * *

(١) أثرد : ثرد الخبز فتة .

البـــاب السابع عشـــر

نَوادِرُ السُّؤّالِ

قال بعضهم : رأيتُ سائلاً ببغدادَ في الزيّاتين – وهم أنْصَبُ (١) منْ في الأَرض – يسأل ، ويقول : تَصَدَّقوا عليَّ حُبّاً وكرامةً لأَمير المؤمنين عليٍّ بنِ أبي طالب . وليس يلتفتُ إليه أحد ، ولا يُعطيه شيئاً . فدفعتُ إليه درهماً ، وقلتُ في نَفْسي : إن هذا المسكين لا يعرف هؤلاء ، وبُغْضَهم لعليٍّ – عليه السلام – فأخذ الدرهمَ منّي ، وقال : يا صاحبَ الصَّدَقةِ ، إنْ كنتَ تصدَّقتَ بها عليَّ وفي قلبك بُغْضٌ لأَبي بكر ، وعمرَ، وعثمانَ ، وفلانٍ ، وفلانٍ ومعاويةَ خالِ المؤمنين رديفِ المصْطفَى، وكاتبِ الوحي فقطعَ اللهُ يديكَ ورجلَيْكَ وأعمى عَيْنيكَ .

قال : فأخذَتْهُ الدراهمُ مِنْ كل جانبٍ ، وبقيتُ أنا متحيِّراً . ثُمَّ مضَى فلحظتُه . فَعلِم ما في قلبي . فقال

---

(١) نصب : احتال.

يا فتى . على رِسْلِكَ !! عندك أنَّ هؤلاء القرانِنة (١) لا يصدِّقون عليَّ إلاَّ بمثل هذه الحيلة .

جاء سائلٌ إلى قوم فسألهم ، فردُّوا عليه ، وألح عليهم فردُّوا . فألحَّ ، فخرجَ إليه بعضُهم فقال: عافاك اللهُ . أما سمعتَ الرَّدَّ ؟ قال : ولكنكم غممتُموني فأردفُ أنْ أغمَّكم يا قرانِنةُ .

أُعطِيَ سائلٌ كسرةً صغيرة . فقال : رحمَ الله من تمَّمها لُقمةً .

قال بعضهم : رأيتُ ببغداد مكفوفاً يقول : من أعطاني حبَّةً سقاهُ اللهُ من الحوض على يَدِ معاويةَ . فتبعته حتى خلوتُ به ، واطمأنَّه ، وقلتُ : يا كذا (٢)، عزلتَ أميرَ المؤمنين عن الحوض . فقال : أردتَ أن أسقيهُمْ بحبة على يد أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام ؟ لا ، ولا كرامةَ .

---

(١) القرانئة : المفرد قرنان : الديوث المشارك في قرينته .

(٢) يا كذا : كناية عن مناداته بلفظ قبيح ..

سأل أبو فرعونَ رجلاً ، فمنعه . فألحَّ عليه فأعطاه فقال : اللهم اخزنا وإياهم . نسألهم إلحافاً، ويعطوننا كرهاً ، فلا يبارك الله لنا فيها ، ولا يأجرهم عليها .

وقف سائل على باب، فقال : يا أهلَ الدار . فبادر صاحبُ الدار قبلَ أن يتمَّ السائلُ كلامه ، وقال : صنعَ اللهُ لكَ . فقال السائلُ : يا بنَ البظراء كنتَ تصبرُ حتى تسمعَ كلامي عسى جئتُ أدعوك إلى دعوة .

وقف أعرابيٌّ سائلٌ على باب ، وسأل . فأجابه رجلٌ : ليس ها هنا أحدٌ . قال : إنك لأحدٌ او جعلَ اللهُ فيك بركةً .

قال الجماز (١) : سمعتُ سائلاً يقول : مَنْ يعطيني حبَّاً لأمينين : جبريل ومعاوية ؟

وكان آخر يقول مَنْ يعطيني قطعةً حبّاً لهندٍ (٢) حماة النبي .

---

(١) الجماز : هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد عطاء بن ياسر وكان من أحلى الناس حكاية وأكثرهم نادرة .

(٢) هي هند أم معاوية ، وزوج أبي سفيان وقد تزوج الرسول — عليه السلام — ابنتها أم حبيبة .

ووقف سائلٌ بباب (المافروخي) عاملِ الأَهواز ، وسأل فأعطَوْه لقمةً مِنْ خُبز ، فسكتَ ساعةً ، ولم يبرحْ . ثم صاحَ ، وقالَ : هذا الدّواءُ لأيّ شيءٍ ينفعُني ؟ وكيف آخذُه ؟

وقف سائلٌ على باب قوم فقال : تصدّقُوا عليَّ فإني جائع . قالوا : لم نَخبزْ بعدُ . قال : فكفٌّ سَوِيق ؟ قالوا : ما اشترينا بعدُ . قال : فشربةَ ماء فإني عطشانُ . قالوا : ما أتانا السقّاء بعدُ . قال : فيسيرَ دُهْن أضعهُ على رأسي . قالوا : ومِنْ أين لنا الدهنُ ؟ فقال : يا أولادَ الزّنى ، فمَا قعودُكم ها هُنا ؟ ؟ قومُوا وسَلُوا معي .

وقف سائل على باب دارٍ فقال : تصدّقوا عليَّ . فقالو جاريةٌ من الدار : ما عِندنَا شيءٌ نعطيكَ ، وستِّي في المأتم . فقال السائلُ : أيُّ مأتم أعظَم مِنْ مأتمكُم إذا لم يكن عِندكم شيءُ ؟ ؟

وقفَ آخر بباب فقال : أوسِعُوا عليَّ مما رزَقكم اللهُ فإنيِّ في ضِيقٍ . فقالَ صاحبُ الدار : إن كُنتَ في الدهليز في ضيق فادخل الدار فإنــه أوســع لك فقال السائل : إنّما قُلت : تأمر لي بشيء . قالَ : قد أمرتُك أنْ تشتريَ لابني قَلنسوة .

* * *

البــاب الثامــن عشــر

نوادِرُ المعلِّمين

قال بعضُهم : مررتُ ببعضِ سِكَكِ البصرةِ وإذ معلِّمٌ قد ضربَ صبيّاً ، وأقام الصبيانَ صفّاً ، وهو يقولُ لهم: اقرؤُوا . ثم جاء إلى صبيٍّ بجنب الصبيِّ الذي ضربه ، فقال : قُل لهذا يقرأ ، فإنِّي لستُ أكلِّمه .

قال أبُو عثمان : كان ابنُ شُبرمة لا يقبلُ شهادة المعلِّم ، وربّما قبل شهادةَ المؤدِّب .

وكان يحيى بنُ أكثمَ أسوأ رأياً فيهم .

وكان السِّنديُّ بنُ شاهك لا يستحلِفُ المكَاريَ(١) ، ولا الحائكَ ، ولا الملاّحَ ، ويجعلُ القولَ قولَ المدَّعِي ويقولُ : اللَّهم إنِّي أستخيرُكَ في الحمَّال ومعلِّمِ الكُتَّاب .

---

(١) المكاري : الذي يؤجر الناس الدواب يقال كاراه مكاراة ، وكراه : استأجره .

وصفَ بعضُهم معلِّماً فقال : هو أفرهُ الناسِ وَصيفاً(١) ، وأكثر همّ رغيفاً .

قال بعضهم : مررْتُ بمعلم وإذا صبيانُه يلعبُون ويقتَتِلُون ؛ فقلتُ للمعلّم : ما بالُ صبيانِكَ ليسُوا يَفْرَقُون منك !! قال : وأنا أيضاً لستُ أفرقُ منهم .

قال : وقال غلامٌ لأبيه : لا أريد هذا المعلّمَ . فقال له أبُوه : ما لَهُ ؟؟ قال : يصْنَعُ بي أمراً عظيما . قال : يستخدِمُك ؟ قال : أشدّ مِنْ ذلك . قال : فيضربُك ؟ قال : أشدّ منْ ذاك . قال : فيعفجُك(٢) ؟ قال : أشدّ مِن ذاك . قال : فأيّ شيء ويلك يفعلُ بك ؟ قال : يأكُل غدايَ .

قال : كان معلمٌ يُقيمُ الصبيانَ صفّين ، ويتّكىء صبيين بيديه ، ويقولُ : أربعةُ وأربعةٌ : ستّةٌ . فقلت له : إذا كانَ أربعةٌ وأربعةٌ ستةً ، فكم يكونُ ثلاثةٌ وثلاثةٌ ؟ قال : صدقتَ . لم آخذْ جذْره .

---

(١) هو أفره الناس وصيفاً : أحذقهم خادماً .
(٢) يعفج : يلوط .

وكان لأبي دواد المعلّم ابنٌ ، فمرض ، فلما نزَعَ قال : اغسلوه . قالوا . لم يمتْ بعد . قال : إلى أن يُفرَغَ من غَسله ما(١) قد ماتَ .

وقال شريكُه : تعلّم الصبيانَ وعليك قميصٌ جديدٌ فيسوّدونه عليك ؟ قال : قد اشتريتُ قطناً ، وقلت لأهلنا : يغزلُون قميصاً خلَقاً(٢) .

قال : مررتُ يوماً بمعلّم — والصبيانُ يحذِفُون عينَه بالقصَب — وهو ساكتٌ فقلت : ويحكَ !! أرى منك عَجَباً . فقال : وما هُو ؟ قلتُ : أراكَ جالساً والصبيانُ يحذفُون عَينك بالقصب !! فقال : اسكتْ : ودَعهُم . فما فَرحي والله إلاّ أنْ يُصيبَ عَينيَ شيءٌ ، فأُريكَ كيفَ أنتِفُ لحَى آبائهم .

كان بحمص معُلّم يُكنَى أبا جعفر يتعاطَى علمَ الحساب ، فصارتْ إليه يوماً امرأةٌ ، فقالتْ : يا أبا جعفر :

---

(١) (ما) هنا لا معنى لها ولعلها زائدة والمراد : إلى أن يتم غسله يكون قد مات .

(٢) خلقاً : بالياً .

قفيزُ دقيقٍ بثمانيةِ دراهم كم يُصيبُني بأربعة دراهمَ ؟ فقال لها ، بعد أن فكّرَ : في هذه المسألةِ ثلاثةُ أقوال : أحدهما أنْ تُعطي الرجُل أربعةً أخرى ، وتأخُذي قفيزاً ، والآخر : لكِ قفيزٌ إلا بأربعةِ دراهم . والثالث : تدفعين دِرْهمَ درهمَ ، وتأخذين مَكُّوكَ(١) مكُّوكَ حتى تستوفين(٢) .

وصار إليه ثلاثةُ « روز جارتين(٣) » قد أخذوا أجرتَهم دِرهمين فقالوا : يا أبا جعفر ، كيف نَقتسم الدّرهمين ونحنُ ثلاثةٌ ؟ قال : أسقطوا منكم واحداً ، وخُذوا دِرهماً درهماً . قالوا : سبحانَ اللّه !! كيفَ نُسقِط أحدَنا وقد عمِلَ ؟ قال : فزيدوا واحداً وخذوا نِصْفَ نصفَ . قالوا : كيف نزيد فينا من لم يعمل ويأخذ كرانا ؟ قال : فخذوا نِصْفاً نصْفاً واشتروا بالباقي تمراً ، وكُلوه .

---

(١) المكوك — كتنور — : مكيال يسع صاعا ونصف صاع .

(٢) في هذه العبارة من الخطأ النحوي ما هو ظاهر ويستوي في ذلك عبارة المعلم وعبارة السائله

(٣) لفظ فارسي . ولعله علم على نوع من العمال

وسألته امرأةٌ ، فقالت : أربعةُ أرطال تمر بدرهم ، كم يُصيبُني بدانق ونصف ؟ ففكّر ساعةً طويلةً ، وأدخلَ يديه تحت ذَيلِه ، وجعلَ يحسِبُ بهما ثم أخرج يديْه وقد جمعهُما ، وقال : كُتلةٌ مثلُ هذه كبيرةٌ .

قال بعضهم مررتُ بمعلم وهو جالسٌ وحده ، وليس عِندَه من الصّبيان أحدٌ ، فقلتُ له : يا معلّمُ ، ما فعل صبيانُك ؟ فقال : خلْف الدّور يتصافَعُون . فقلتُ : أريد أن أنظرَ إليهم . فقال : إن كان ولا بُدَّ فغطِّ رأسَكَ ، لا يحسبُونك أنا فيصفعُوك .

قال : ورأيت مُعلِّماً وقد جاء غلامان قد تعلَّق أحدهما بالآخر ، وقال : يا معلِّمُ ، هذا عضَّ أُذُني . فقال الآخرُ : واللّهِ ما عضَضْتُها ، وإنّما هو عضَّ أُذن نفْسِه . فقال له المعلم : يا بنَ الخبيثةِ . صار جَمَلاً حتى يعضَّ أذنَ نفسِه ؟

وقال : رأيتُ معلماً بالكوفة — وهو شيخٌ مخضوبُ الرأس واللِّحْيَةِ — وهو يجلس يبكي فوقفتُ عليه ،

وقلتُ : يا عمّ : مِمّ تبكي ؟ فقال : سرقَ الصبيانُ خُبْزي .

قال : وسمعتُ معلّما وهو يقرىء صبياً «(وما أمْرُنَا إلا واحدةٌ كلَمحٍ بالبَصَرِ)»(١) والصبيُّ يقول : كلمح بالبَصَلِ فقال له : يا فاعلُ ، أحسبُكَ تشتهي بصَلِيّةً .

قال : وقرأ صبي على معلّم «(الذين يقولون لا تُنفقُوا على مَنْ عند رَسُولِ اللّهِ)» (٢) فقال المعلمُ : من عند أبيك القَرْنَان(٣) أوْلى ؛ فإنه كثيرِ المال يا بنَ الفاعلة ، هو ذا ؟؟ تُلْزِمُ النبيَّ نفقةً لا تَجِبُ عليه . أعجبكَ كثرةُ ماله ؟؟

قال : ورأيتُ معلما وقد جاء صبيٌّ ، فصفَعه صفعةً محكمةً . فقال له المعلمُ : أيهّما أصْلبُ : هذه أمْ التي صَفَعْتُكَ أمْسِ ؟

---

(١) سورة القمر : ٥٠ .

(٢) سورة (المنافقون) ٧ وأولها « هم الذين يقولون » .

(٣) القرنان : الديوث المشارك في قرينته .

قال : وكان بالمدينة معلِّم يُفْرط في ضرْبِ الصبيان ، ويشتمهُم . فلاموه على ذلك ، فسألني أنْ أقْعدَ عنده ، وأشاهدَ حالَه معهم ، فقعدْتُ عنده ، فإذا بصبيٍّ يقول : يا معلمُ : «(وإنَّ عليك اللعنةَ إلى يومِ الدينِ)»(١) فقال : عليكَ وعلى أبويْكَ .

وجاء آخرُ ، فقال : يا معلم : «(فاخرجْ منها فانك رجيمٌ)» (٢) قال : ذاكَ أبُوك الكَشْخَانُ(٣) .

وجاء آخر ، فقال : يا معلِّم : «(إني أريد أن أنْكِحَكَ)»(٤) قال : انكح أمَّك الفاعلةَ .

وقال آخرُ : يا مُعَلِّمُ : «(ما لنا في بَنَاتِكَ من حقٍّ)» (٥) قال: لا ، ولا كرامةَ . فلا يزالُ معهم في مثل هذا وهو يَضْرِبُهم ، ويُزَنِّيهم(٦) .

---

(١) سورة الحجر : ٣٥ .

(٢) سورة الحجر : ٣٤ وأولها : « قال ... »

(٣) الرجل الكشخان : الديوث .

(٤) سورة القصص : ٢٧ . وقرأها أنكحك بفتح الهمزة .

(٥) سورة هود : ٧٩ وأولها « قالوا لقد علمت » .

(٦) يزنيهم : يقذفهم بالزنا .

قال : ومررت بمعلِّم وقد جاء صبي صغير ، فصفعه . فقلت له : لِمَ تَدَعُ هذا الصبيَّ يجترىءُ عليك ؟ فقال : دعْهُ فإني أشكُوه غدا إلى أبيه .

واستفتحَ غلامٌ ، فقال : يا معلِّم «(إن أبي يدعوكَ)»(١) فقال : هَاتُمْ(٢) نعْلِيَ . فقال الغلامُ : إنما استَفْتحتُ . فقال : قد أنكرتَ أن يُفْلِح أبُوك .

قال معلم لغلام : قُلْ «(قد أفْلح مَنْ زَكَّاهَا . وقد خَابَ مَن دسَّاها)»(٣) . فقال : وقد داس مَنْ خبَّاها . فلم يزل يكرِّرُ ذلك عليه إلى أن أعْيَتْه العِلَّةُ . فقال المعلم : وقد داسَ مَنْ خبّاها . فقال الغلامُ «(وقد خاب مَنْ دسَّاها)» . فقال المعلم لأبيه : وقد قلتُ لكَ إنه لا يُفْلِح .

* * *

---

(١) سورة القصص : ٢٥ .

(٢) الصحيح نحوا : هاتوا .

(٣) سورة الشمس : ٩ ، ١٠ .

الباب التاسع عشر

نوادرُ الصِّبْيانِ

قال رجلٌ لابنه : ما أراكَ تُفْلِح أبداً . فقال الابنُ : إلاّ أنْ يرزقَني اللّهُ مؤدِّباً غيرَك .

قال بعضهم : أحضِرتُ لتعليم المعتزّ – وهو صغيرٌ – فقلت له : بأيِّ شيء تبدأُ اليوم ؟ فقال : بالانصرافِ .

قال بعضهم : رأيتُ أعرابياً يعاتبُ ابناً له صغيراً ، ويذكر حقَّه عليه . فقال الصبي : يا أبَتِ إنَّ عظِيمَ حقِّك عليّ لا يُبطلُ صغيرَ حقّي عليك ، والذي تَمُتُّ به إليّ أمتُّ بمثله إليك ، ولست أقولُ : إنا سواءٌ ، ولكن لا يجْمُل الاعتداءُ .

عرْبدَ(١) غلام على قوم ، فأراد عمُّه أنه يعاقبَه ، ويؤدِّبَه ، فقال له : يا عمِّ : إني قد أسأتُ ، وليسَ معي عقْلي ، فلا تُسِيء بي ومعَك عقلُك .

---

(١) العربدة : سوء الخلق .

ونظر دَميمٌ يوماً في المرآة ، وكان دَميماً ، فقال : الحمدُ للّه ، خلقني فأحسن خلْقي وصوّرني فأحسن صورتي ، وابنٌ له صغيرٌ ، يسمع كلامه . فلمّا خرجَ سألهُ رجلٌ — كان بالباب — عنْ أبيه فقال : هو بالبيتِ يكْذبُ على اللّهِ .

كان الفتحُ بنُ خاقان — وهو صبي — بين يدَي المعتصم (١) ، فقال له ، وعرضَ عليه خاتَمَهُ : هل رأيتَ — يا فتحُ — أحسنَ من هذا الفَصّ ؟ قال : نعم : يا أميرَ المؤمنين اليدُ التي هو فيها أحسنُ منه .

وعاد المعتصمُ أباه — والفتحُ صغيرٌ — فقال له : داري أحسنُ أمْ دارُ أبيك ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، دارُ أبي مادُمتَ فيه (٢) .

---

(١) المعتصم العباسي : هو ثامن خلفاء العباسيين ببغداد ، ويدعى أبا إسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي وقد حارب الروم وانتصر عليهم ، وفتح عمورية سنة ٢٢٣هـ وفي هذا الفتح نظم أبو تمام قصيدته المشهورة . وقد توفي سنة ٢٢٧هـ .

(٢) أي في الدار ، والدار مؤنثة وقد تذكر .

قال ابنُ أبي ليلى : رأيتُ بالمدينة صبيًّا قد خرجَ من دار ، وبيده عُودٌ مكشوفٌ . فقلتُ له : غطّه لا ذُعِرْتَ. قال : أوَ يُغَطَّى من اللهِ شيءٌ ؟ لا تَلِفْتَ .

قال البلاذُري : أدخِل الركاضُ وهو ابنُ أربع سنين إلى الرّشيد ليعجبَ من فطنته ، فقال له : ما تحبُّ أنْ أهَبَ لك ؟ قال : جميلَ رأيك فإني أفوزُ به في الدُّنيا ، والآخره ؛ فأمر له بدنانيرَ ودراهمَ فصُبَّتْ بين يديه . فقال : اختر الأحبَّ إليك . قال : الأحبُّ إلى أمير المؤمنين ، وهذا مِنْ هذَين ، وضربَ يدَه إلى الدّنانير فضحكَ الرشيدُ ، وأمر أن يُضَمَّ إلى وَلَدِه ، ويُجْرَى (١) عليه .

اجتازَ عمرُ بنُ الخطاب — رضي الله عنه — بصبيان يلعبون ، وفيهم عبدُ الله ابن الزّبير فتهاربُوا إلاَّ عبدَ الله

---

(١) يجري عليه : أي يرتب له جراية : أي راتب .

فإنه وقفَ . فقال له عمرُ : لِمَ لمْ تَفِرّ مع أصحابك ؟ قال : لم يكُنْ لي جُرمٌ فأفرَّ منكَ ، ولا كان الطريقُ ضيِّقاً فأوسِّعَهُ عليكَ .

* * *

البــاب العــشرون

نوادرُ للعبيدِ والمماليكِ

ولى بعض الأمراء مولىً بعد غيبة طويلة فقال : أنت في الأحياء بعد . فقال : وأنا أستخير أن أموت قبل مولاي الأمير .

قال الدارميّ (١) لغلامه : بأبي أنت وأمّي لو كان العتقُ مثلَ الطلاقِ لسرّرناك بواحدةٍ (٢) .

اعترض بعضهم غلاماً أرادَ شراءَه فقال يا غلام : إنْ اشتريتُك تُفلح ؟ فقال : فإن لم تشترِ .

قال أبو العيناء : اشتُريَ للواثق (٣) عبدٌ فصيحٌ من البادية ، فأتيناه وجعلنا نكتبُ عنه كلّ ما يقولُ ، فلما رأى ذلك منّا قلّب طرفه وقال : « إنّ تُرابَ قَعْرِها لمُنْتهب » .

---

(١) هو مسكين الدارمي الشاعر .

(٢) يقصد أن العتق لا يتجزأ ولا ينفذ على مرات كالطلاق .

(٣) الواثق : هو أحد خلفاء الدولة العباسية .

يقال ذلك للرَّجُل يُسَرُّ الناسْ برؤيته لا نتفاعهم به وأصل ذلك : أنَّ الحافرَ يحفرُ فإنْ خرجَ التّرابُ مُرّاً علمَ أنَّ الماءَ ملحٌ وإن كان طيّباً علم أنّ الماء عذبٌ فأنْبَطَ (١) وإذا خرج طيّباً انتهبه الصبيان .

اشترى بعضُ الهاشميّين غلاماً فصيحاً فبلغ الرّشيدَ خبرُه ، فأرسلَ إليه يطلبه . فقال يا أميرَ المؤمنين : لم أشتره إلاّ لكَ ، فلمّا وقف الغلامْ بين يدي الرّشيد قال له : إنَّ مولاكَ قد وهبكَ لي . فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ما زِلْتُ ولا زُلْتُ .

قال : فسّرْ . فقال : ما زِلتُ لكَ وأنا في ملكه ولا زُلتُ عن ملكه ، فأعجبَ الرّشيدُ به وقدّمه .

قال أبو العيناء : مررت بسُوق النخّاسين (٢) بالبصرة ، فإذا غلامٌ يُنادَى عليه ثلاثين ديناراً والغلامُ يُساوي خمسمائة دينار ، فاشتريته وكنت أبني داراً فدفعت إليه عشرين ديناراً على أن يُنفقها ، فلم أزل أصُكُّ عليه

(١) نبط الماء : نبع ، والمراد هنا : استنبط الماء وأخرجه .

(٢) النخاسة : تجارة الرقيق .

حتى أنفقَ نحوَ العشرة . ثم صككتُ بشيءٍ آخر . فقال لي : فأين أصلُ المال ؟ قلت : ارفعْ إليَّ حِسابك ، فرفعَ حِساباً بعشرة دنانير . فقلت : فأين الباقي ؟

قال : اشتريت ثوبا مُصْمتاً (١) وقطعته . قلت : من أمرك بهذا ؟

قال : إنَّ أهل المُروّات والأقدار لا يعيبون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعودُ زينةً عليهم . قال : فقلتُ في نفسي : اشتريتُ الأصمعيّ وابنَ الأعرابيّ ولم أدرِ . وكانت في نفسي امرأةٌ أردتُ تزوّجها فقلت يا غلامُ فيك خيرٌ . قال : وهل الخيرُ إلاّ فيَّ . فقلتُ له : قد عزمتُ على كذا . وتزوجتها ودفعتُ إلى الغلام ديناراً وقلتُ له : خُذ لنا سمكاً هازبي (٢) ، فأبطأ واشترى مارماهي (٣) فأنكرت عليه خلافي . فقال يا مولاي : فكّرتُ فإذا بُقْراطُ (٣) يقول : الهازبي يُولّد السّوداءَ والمارماهي

(١) الثوب المصمت : الذي لا يخالط لونه لون آخر .

(٢) والهازبي : الثعباني .

(٣) السمك المارماهي : المعروف بالقرموط .

أقلُّ غائلةً . قلت : لا الذي بُقراط أنت أم جالينوس (١) وأدخلته البيت وضربته عشرةً ، فلما قام أخذني وضربني سبعةً وقال يا مولاي : الأدبُ ثلاثةٌ وسبعةٌ لها قِصاص ، فغاظني ورميته فشججتُه (٢) ، فمضى إلى ابنةِ عمي وقال لها : « الدينُ النصيحةُ » وقال النبيُّ صلّى الله عليه : « من غشَّنا فليس منّا » . وقال : « مولى القوم منهم » : وأُعلِمُكِ أنَّ مولايَ تزوّج واستكتمني ، فلمّا أعلمتُه أني مُعرفتُكِ ما فعلَ شجّني ، فوجّهتْ إليَّ بنتُ عمّي بغلمانٍ ، فبُطِحْتُ في الدّار وضُرِبْتُ وسمّته النّايح ، فما كان يتهيّا لي كلامه . فقلت : اعتقه ، فلعلّه يمضي عنّي ، فلزمني ولذّ بي وقال : الآن وجبَ حقّكَ عليّ ، ثم إنّه أرادَ الحجّ ، فجهّزته ، فغاب عني عشرين يوماً ورجعَ فقلت : لم رجعْتَ ؟ فقال : قُطِعَ علينا وفكّرتُ ، فإذا الله جل وعز يقول :

---

(١) بقراط وجالينوس : من أكابر الأطباء .

(٢) شجني : جرحني في رأسي .

«(وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)» (١) .

وكنتُ غير مُستطيعٍ وإذا حقُّكَ أوجبُ عليّ فرَجَعْتُ ثم إنه أراد الغزو فجهّزتُه ، فلما صار على عشرةِ فَراسخَ بعتُ ما كان لي بالبصرة وخرجت عنها خوفاً أن يرجَع وصرتُ إلى بغداد .

قال بعضهم : استعرضْتُ غلاماً فقلت له : يا غلام تحبُّ أن أشتريك . فقال : حتى أسألَ عنك .

أعتق عبدُ الله بنُ جعفر (٢) غلاما ، وقال الغلامُ : أكتُبْ كما أملي .

قال : فَأَمْلِ . قال : اكتُبْ : كنتَ بالأمس لي ، فوهَبْتُكَ (٣) لمن وهَبَكَ لي ، فأنت اليومَ واليومَ صرتَ مثلي فكتبَ ذلك واستحسنه وزاده خيراً .

---

(١) سورة آل عمران : ٩٧ ، أولها « فيه آيات بينات مقام إبراهيم » .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

(٣) ضمير الرفع يعود على عبد الله بن جعفر .

قال حَمَّادُ بنُ إسحاق الموصلي : كان لأبي غلامٌ يستقي الماء لمن في داره على بغلَيْن ، فانصرف أبي يوماً وهو يَسرُقُ البغلَ وقد قَرُب من الحوض الذي يصُبّ فيه الماء . فقال : ما خبرُكَ يا فتحُ (١) ؟ قال : خبري أنّه ليس في الدّار أشقى منّي ومناك .

قال : وكيف ؟ قال : لأنك تُطعمهم الخُبز وأنا أسقيهم الماء ، فضحك منه وقال : فما تحبُّ أن أصنعَ بك ؟ قال : تعتقني وتَهَبُ لي هذين البغلين ، ففعلَ ذلك .

* * *

---

(١) اسم الغلام .

فهارس السفر الثالث

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

٥٠٠٠ ط ١/٥/١٩٩٧

طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٧

سعر النسخة داخل القطر
٢٢٥ ل.س

في الاقطار العربية ما يعادل
٤٥٠ ل.س